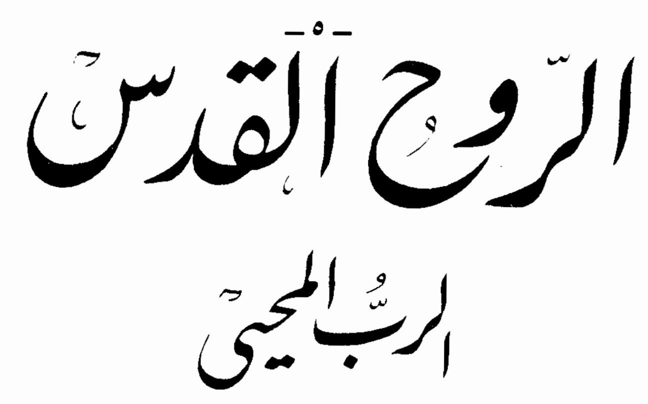
دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

بمناسبة مرور ١٦٠٠ سنة على انعقاد المجمع المسكونى الثانى
(القسطنطينية) بخصوص تحديد لاهوت الروح القدس
(سنة ٣٨١م ــ سنة ١٩٨١م)

الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية



(في كتابين)

الكتاب الثانى

الأب متى المسكين

سلسلة: الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

صدر منها:

١ ــ أعياد الظهور الإلهي.
٢ ــ الصوم الأربعيني المقدس.
٣ ــ مع المسيح في آلامه حتى الصليب.
٥ ــ الروح القدس الرب المحيي.
وسيصدر فيما بعد الكتاب الرابع عن أعياد القيامة.

كتاب: **الروح القدس الرب المحيي ــ الكتاب الثاني.**
المؤلف: **الأب متى المسكين.**
الطبعة الأولى: ١٩٨١.
مطبعة دير القديس أنبا مقار ــ وادي النطرون.
ص. ب. ٢٧٨٠ القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٨١/٣٣٤٥.
الترقيم الدولي: ٨ ــ ٥٥ ــ ٧٣٢٠ ــ ٩٧٧

الفهـــرس العـــــام

الكتاب الأول

المحتويات

الكتاب الثاني

المحتويات

كتاب

البارا كليت

الروح القدس في حياة الناس

(سنة ١٩٦١)



المحتويات



من هو الروح القدس

جوهر إلهي عاقل لا حدود لمقدرته، لا نهاية لعظمته...

فوق الإحساس الزمني وغير خاضع للدهور...

واهب لخيراته الخصوصية...

كل الخليقة تتجه نحوه في عوز وفقر شديد لتقديسه...

كل الخلائق التي تتنفس الحق هي تابعة له بالضرورة وملتحقة به، ينعشها بالإلهام ويقودها برفق حتى يبلّغها غايتها الكاملة.

هو المتقن لكل الأشياء والساكب الحياة على العالم...

حضرته كلية في الزمان والمكان فلا وجود لشيء إلا به...

مصدر التقديس والنور الذي لا يُدرك إلا بحاسة العقل الروحي...

يشرق ذاته على الخليقة العاقلة الباحثة عن الحق، فتتمثله كطاقة استعلان واستنارة للرؤيا...

حسب طبيعتنا الحسية لا يمكن أن ندنو منه، ولكنه مدرك بانتباهة العقل المنعطف ناحية الخير...

الأشياء مملوءة طبيعياً بقوته، ولكنه لا يتصل شخصياً إلا بالخليقة المنفتحة له...

ليس لعطائيته مقياس واحد، ولكنه يقسّم مواهبه حسب نسبة الإيمان...

في جوهره بسيط، في طاقته متعدد ومتنوع!

موجود بكله وتمامه في كل واحد، وكله موجود في كل مكان...

يتوزع بلا انقسام في صفاء وبغير اضطراب...

يتقاسمه آخذوه دون أن يفقد كلّيته، كشعاع النور الذي يوصل لك الشمس في رفق وتلطف وكأنما هي مشرقة لك وحدك مع أنها مشرقة على الدنيا كلها...

فالروح هكذا لكل من يتقبله، يكون كأنه له وحده مع أنه باعث لنعمته بكفاية وكمال لكل بني الإنسان...

الكل يتعزى به كقدر طاقته لا كقدر طاقة الروح في ذاته...

هو القوة التي تقيم الحياة.

وهو الذي بواسطته اقتبل الإنسان حالة التبني وتحول فيه الموت إلى عدم الموت...

مقتطفات من رسالة القديس باسيليوس

القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات
نطق بهذه الكلمات بعد قبوله رعاية كنيسة نزيانز:

أنا فتحتُ فمي واجتذبتُ لي الروح القدس، ثم أعطيته نفسي وكل ما فيَّ...!! نشاطي كله وسكوني، كلامي وصمتي، الكل سلَّمته للروح القدس ولا أطلب إلا أن يسندني ويقودني... يوجِّه عقلي ولساني ويدي إلى الحق كما يشاء... ويضبطني في حدود الصواب والمنفعة...

أنا آلة الله، آلة عاقلة، آلة مشدودة متناغمة باليد الحاذقة يد الروح القدس...

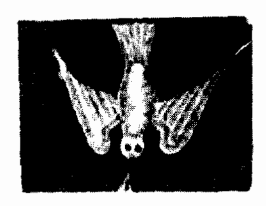
بالأمس كان عمل الروح فيَّ منحبساً في السكوت، وكنت أنا منحصراً بدهشي وتأملاتى عازفاً عن الحديث...

واليوم وقّع الروح في أعماقي أول أنغامه لأنطق به وأُعلّم، فانقلبت تأملاتى كلاماً ودهشي حديثاً للناس!!

أنا لست مكثراً للكلام كمن يحب الأحاديث عندما ألمح الروح منعطفاً فيَّ نحو السكوت...

ولا أنا مكثر في الصمت كجاهل يضبط شفتيه في وقت يلزم فيه الكلام...

أنا أفتح بابي وأُغلقه وفق «عقل» الله و«كلمته» و«روحه»، الله الواحد بلاهوته...



الفصل الأول

الإسم ومَدلوله العملي

معنى الپاراكليت

١ ــ الإتجاه الأول لمعنى الپاراكليت: محامي البشرية وشفيع الكنيسة.

٢ ــ الإتجاه الثاني لمعنى الپاراكليت: المعزِّي.

٣ ــ تقابل المعنى الأول مع المعنى الثاني.

البـــاراكلـيت

παράκλητος

هو الإسم الخصوصي الذي أطلقه الرب على الروح القدس الأقنوم الثالث لله الواحد.

وكلمة باراكليت، كلمة يونانية قديمة، مكونة من مقطعين، الأول «**بارا**»: παρά ويفيد الملازمة ــ والثاني «**كليتوس**»: κλητος ويفيد الدعوة للمعونة (1).

أما المعنى النهائي للكلمة فهو ينحصر في اتجاهين:

١ ــ الإتجاه الأول:

لغوي ويتخذ قوته في ميدان التطبيق العملي، أي في عمل الروح القدس بالنسبة لحياتنا الحاضرة، وهنا يكون معنى الباراكليت: **الشفيع أو المحامي.**

٢ ــ الإتجاه الثاني:

وجداني ويتخذ قوته في ميدان التفسير الروحي القائم على عمل الروح القدس في داخلنا وهنا يتجه معنى الباراكليت إلى **التعزية والراحة.**

ونحن سنعرض أمام القارىء كلا الإتجاهين في حدود ما تحتمله كلمة «باراكليت»، لا بصورة بحث علمي لأن هذا ليس اختصاصنا، وإنما على مستوى عملي ليستوعب القارىء هذين الإتجاهين في حياته العملية والباطنية معاً، أي ليتخذ الروح القدس شفيعاً له ومحامياً في جهاده مع الدنيا، ثم معزياً له ومريحاً لنفسه وروحه...

---

(1) Biblical Encyclopædia.

الإتجاه الأول لمعنى الپاراكليت:

حسب مفهوم اللغة اليونانية القديمة واستعمالاتها كما وردت في النصوص التفسيرية، نجد المعنى ينحصر في الصفة القضائية للشخص الذي يمكّنه القانون من **الدفاع والمحاماة والشفاعة عن آخر**(٢).

وقد وردت في إصطلاحات الربيين اليهود بهذا المعنى، وبالذات في كتابات العلاّمة فيلو اليهودي (٣) [وإنما كانت تنطق باللغة العبرية هكذا: «البيراقليطا»، وهذا النطق عينه هو الذي اشتُق منه نطق الكلمة باللغة العربية «البراقليط» لأن اللغة العربية تميل إلى الأخذ من اللغة العبرية القديمة أكثر من اللغة اليونانية] كما رأينا سابقاً في كلمة «العنصرة» (٤).

ووردت أيضاً بهذا المعنى في كتابات الآباء الرسوليين وبالذات في رسالة برناباس (٥).

وتوجد وثيقة في كنيسة ڤيينا ليوسابيوس القيصري وردت فيها كلمة الپاراكليت كصفة أُطلقت على شخص تبنى مسئولية الدفاع عن المسيحيين المتهمين بمسيحيتهم... وهي مقالة ممتعة فيها ينعت المسيحيون هذا الشخص واسمه «فتيوس إيب أجاثوس» بالپاراكليتي لأنه **حامى عنهم وتشفع لهم جهاراً** معرِّضاً حياته للهلاك، فبرهن بشجاعته النادرة أنه كان يلبس حقاً الپاراكليت **الروح المتشفع**(٦).

وهذه الوثيقة تصور كلمة «الپاراكليت» تصويراً واقعياً حياً إنما على مستوى بشري... ونحن لو رجعنا إلى الكتاب المقدس، لوجدنا هذا التصوير حقيقة واقعة، إنما على مستواه الإلهي الأصيل، إذ نقرأ عن الپاراكليت نفسه هكذا:

---

(2) Ibid.

(3) Loesner, *Observ. ex. Phil.*, p. 496.

(٤) راجع كتاب «العنصرة» في القسم الخاص به من هذا الكتاب.

(5) *Epistle of Barnabas*, A.N.F. Vol. I, ch. 20.

(6) *Clark's Theol. Lib.*, 4th Ser., Vol. VII, p. 215.

ـ «ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم، وتُساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم وللأمم، فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به، **لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم**» (٧).

وهكذا يتجسم عمل الروح القدس «الپاراكليت» كمدافع ومحام يترافع في اللحظة المناسبة عن قضية مسيحيتنا......!!

وهنا يتجه المعنى بوضوح إلى الناحية العملية من حيث جهادنا المسيحي مع العالم. كذلك لو فحصنا كلمة الپاراكليت في جميع المواضع التي ذكرت فيها في الكتاب المقدس، نجدها تتجه غالباً ناحية وظيفة المحاماة والتشفع النيابي عنا على مستوى إلهي غالب تجاه مواقف العالم الحرجة وفي محاكم الفكر البشري...

أما محور تشفع الروح القدس ومرافعاته فيتركز في الشهادة لحقيقة شخص المسيح ولصدق مسيحيتنا...!!

فكما أن المسيح هو پاراكليت (شفيع) البشرية لدى الله الآب: «إن أخطأ أحد فلنا پاراكليت (شفيع) عند الآب، يسوع المسيح البار» (٨).
هكذا الروح القدس هو پاراكليت (شفيع) مسيحيتنا ضد العالم... «ومتى جاء الباراكليت الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً» (٩).

وأول تطبيق لهذا الوعد نجده واضحاً جيلاً في الأصحاح الرابع من سفر الأعمال:
ـ «وبينما هما يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون متضجرين من تعليمهما الشعب وندائهما في يسوع بالقيامة من الأموات، فألقوا عليهما

---

(٧) مت ١٠: ١٧ ـ ٢٠.
(٨) ١يو٢: ١ وكلمة پاراكليت ترجمت إلى شفيع.
(٩) يو١٥: ٢٦، ٢٧، وهنا كلمة پاراكليت بقيت بدون ترجمة.

الأيادي ووضعوهما في حبس... وحدث في الغد أن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم اجتمعوا إلى أورشليم مع حنان رئيس الكهنة وقيافا... وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة، ولما أقاموهما في الوسط جعلوا يسألونهما: بأي قوة و بأي إسمٍ صنعتما أنتما هذا؟ فحينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال: ...» (١٠).

إذن فقد تمم المسيح وعده، و باشر الپاراكليت عمله كمحامٍ وشفيع من الدرجة الأولى، أو على الأصح بصفة فائقة، لأن الكتاب يقول معقِّباً على خطاب بطرس الرسول و «محاماته»، أن الجميع تعجبوا لما سمعوا كلام بطرس و يوحنا وعجزوا عن أن يفسروا سر قوة الكلام لأنه كان معروفاً لدى الجميع أن بطرس و يوحنا «إنسانان عديما العلم وعاميان» (١١).

والپاراكليت الروح القدس سيظل كإسمه محامي البشرية الفائق وشفيع الكنيسة المجاهدة في محنة الدنيا ما بقيت الدنيا وما بقيت محاكم الدنيا وما بقيت قسوة الإنسان على أخيه الإنسان... «يمكث معكم إلى الأبد» (١٢).

ولينتبه القارىء، فلابد من المحنة، ولكن لابد من النصرة، ونصرتنا منصبَّة في الشهادة للمسيح من عمق الألم والإضطهاد والإتهام، وشهادتنا ناطقة بقوة الروح القدس پاراكليت الإنسان، المحامي الأول، نائب البشرية العام... ولا يندهش القارىء من تعبيراتنا، فترجمة پاراكليت باللاتينية هي «أدڤوكاتوس» و بالفرنسية «أڤوكات» (١٣)!!

الإتجاه الثاني لمعنى الباراكليت:

يميل جمهرة آباء الكنيسة الأولى المتضلعين بشئون التأويل والتفسير لكلمات الوحي، وأخصهم القديس أثناسيوس والقديس غريغوريوس النزينزي والقديس كيرلس الأورشليمي والقديس يوحنا ذهبي الفم والعالم أوريجانس، أن يعتمدوا كلمة

(١٠) أع ٤: ١ـــ٨.　　(١١) أع ٤: ١٣.　　(١٢) يو ١٤: ١٦.　　(١٣) أي محامي.

الپاراكليت على أنها تفيد معنى التعزية .

وقد اعتمدوا ذلك على أساس كتابي كما ورد في سفر الأعمال بوضوح : «وأما الكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلام ، وكانت تُبنى وتسير في خوف الرب ، **وبتعزية** الروح القدس كانت تتكاثر» (١٤).

وهنا نجد أن كلمة «بتعزية» παρακλήσει تفيد عمل الپاراكليت الذي ينصبُّ على معنى العزاء والتشجيع دون أي ميل إلى معنى الدفاع والمحاماة، لأن الكنائس «كان لها سلام» .

كذلك فإن الفعل «يعزِّي» παρακαλέω لم يرد في أسفار العهد الجديد قط بمعنى المحاماة أو الدفاع ، إذ ورد حوالي مائة مرة بمعنى يعزي أو يشجع أو «يشير على» .

كذلك أيضاً ورد فعل «يعزي» بصيغة الأمر في العهد القديم في إفتتاحية الجزء الثاني من سفر إشعياء هكذا : « παρακλεῖτε παρακλεῖτε τὸν λαόν μου »
وترجمتها «عزوا عزوا شعبي» (١٥)... التي هي في الواقع نبوة العهد الجديد ، وتشير في غموض لذيذ إلى انسكاب الروح القدس المعزي...

وهذه النبوة بالذات كان لها رنين روحي عجيب في قلوب الأنبياء ، وقد امتد صدى رنينها حتى سمعان الشيخ : «وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر **تعزية** إسرائيل» (١٦).

وهكذا نرى أن كل المعاني المشتقة من كلمة «پاراكليت» تتجه روحياً نحو التعبير عن التعزية الباطنية عوض الألم أو في الألم !...

تقابل المعنى الأول مع المعنى الثاني :

لا يظن القارىء أنه يوجد اختلاف في تفسير معنى «الپاراكليت» ، فالمحاماة

---

(١٤) أع ٩ : ٣١. (١٥) إش ٤٠ : ١. (١٦) لو ٢ : ٢٥.

والتشفع الذي اضطلع به الروح القدس عن الإنسان في ضيقات ومحن الدنيا هي نفسها أساس عزاء الإنسان.

ومن وجهة نظر عملية نحن لا يمكن أن نتقبل روح العزاء إلا بعد المحنة أو في صميمها، وسيان إن كانت هذه المحنة هابطة علينا من العالم الباغض للحق، أو هي نابعة من أعماق أنفسنا عندما نرتد عن رزانة المحبة وحق المسيح؛ نعم سيان فالروح القدس يعزي بأن يشفع لنا ضد العالم أو ضد أنفسنا!

الپاراكليت يترافع عن الحق، وفي ترافعه يبكت بشدة، يبكت كل ما هو خارج عن الحق سواء كان العالم أو كانت أنفسنا.

إن وظيفة الپاراكليت كمتشفع لا تنطوي على معنى التستر على الإثم في أية صورة كانت، فهو شديد الوطأة في تشفعه، شديد الإقناع في تعزيته... ولكن يستحيل أن نبلغ إلى أعماق تعزياته إلا إذا بلغ هو أولاً إلى أعماق تبكيتنا في معرض مرافعاته عن الحق والبر والدينونة والتعفف...

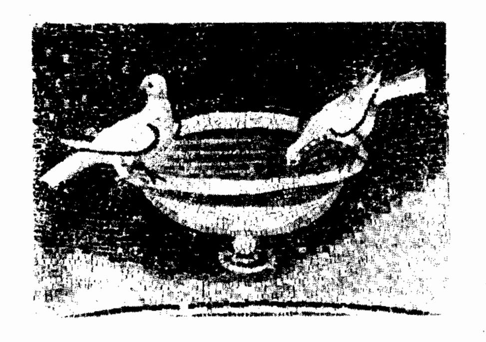
ونجد هنا ضرورة مُلحَّة أن نوجه الفكر إلى أن الپاراكليت كمحامٍ أو «أڤوكاتو» لا يسلبه حقه في الإتهام!! فهو ليس على مستوى المحامين في هذه الدنيا الذين يجاهدون في تبرئة موكليهم حتى ولو كانوا على عيب!...

فالپاراكليت لا يشفع في موكله كمحامٍ عنه إلا بعد أن يقوم أولاً بالتبكيت كقاضي عدالة الله!!

هو يصفي عيوب الإنسان بتعنيف شديد قبل أن يطلب له البراءة...، لذلك إن هو تشفع فهو ضمين العزاء... وإن هو عزَّى فعلى أساس تبرئة ذمة الإنسان أمام الله...

وهكذا يرى القارىء أن لا خلاف على وجه الإطلاق بين معنى الپاراكليت معزياً ومعناه شفيعاً... وكل معنى يلتزم بالآخر أشد الإلتزام.

والـقـديـس أغـسـطـينوس يقف مصالحاً بين المعنيين في ثقة واختصار فيقول: [إن المعزي والمحامي كلاهما تفسير لمعنى الپاراكليت](١٧).



(17) St. August., *On Gospel of John,* Tract. XCIV, N.&P.N.F., 1st. Ser., Vol. VII, p. 367.

الفصل الثاني
رسالة الپاراكليت

رسالة الپاراكليت يوضحها العهد الجديد في ثلاثة اتجاهات:

الأول: الپاراكليت في حياة المسيح.
الثاني: الپاراكليت في حياة الكنيسة(*).
الثالث: الپاراكليت في حياة الناس.
وسنقتصر في هذه الرسالة على الإتجاه الثالث...

على أننا سنوفّي الإتجاهين الآخرين في المناسبات القادمة إن يشاء الله...

(*) كتاب «المواهب الكنسية» ــ (إرجع للقسم الخاص به في هذا الكتاب).

الپاراكليت في حياة الناس

أولاً : الإنسكاب

«ينزل مثل الندى على الجزة، ومثل الغيوث الزارفة على الأرض» (مز٧٢: ٦).

[هكذا صار لنا الوعد من قِبَل الأسفار السماوية...
ينسكب ندى الروح القدس كما ينسكب المطر على الأرض فيرويها.
الرب جاء ومعه المطر، وها نحن نستقي سراً من الروح القدس.
هذا ندى السماء الحق، هذا مطر النعمة النازل علينا.
لا تحكمه قوة غريبة ولا يحده قانون...
هو الصاحب لسلطانه، يقسِّم العطايا و يعطى من يريد](١).

القديس أمبروسيوس

كان ضمن طقوس اليوم الأخير من عيد المظال، كما يقول التلمود(٢)، أن يذهب رئيس الكهنة مع رهط من بقية الكهنة واللاويين في احتفال رسمي إلى بركة سلوام، ويملأون جَرَّة فضية من ماء البركة و يعودون ليصبُّوها فوق المذبح أمام الشعب تذكاراً لإرواء شعب إسرائيل من الصخرة أربعين سنة.

وكان ضمن الطقس أن يهتف المرنمون بآية إشعياء النبي:
ــ «فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص،
صوِّتي واهتفي ياساكنة صهيون لأن قدوس إسرائيل عظيم في وسطك»(٣).

كان هذا يجرى بينما كان المسيح واقفاً في وسطهم يراقب سكب الماء من بطن

(1) St. Ambrose, *On the Holy Spirit,* N.&P.N.F., 2nd Ser., Vol. X.
(2) Dachs, pp. 371, 372.

(٣) إش١٢: ٣، ٦.

الجرّة و يستمع لنشيد الماء. وفي ختام الطقس وقف ليعلن اكتمال النبوة وتفسير النشيد فنادى بصوت عظيم وقال:

ــ «إن عطش أحد فليُقبل إليَّ و يشرب.

«من آمن بي تجري من بطنه أنهار ماء حي.

«قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه.

«لأن الروح القدس لم يكنْ قد أُعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد...» (٤).

لقد تم قول الرب، وانسكب الروح القدس يوم الخمسين.

يقول القديس اغريغوريوس الناطق بالإلهيات في كيفية انسكاب الروح هكذا:

[تسليم الألسنة النارية يوم الخمسين كان استعلاناً كاملاً للروح القدس، إذ هنا نجده ليس حاضراً بقوته فقط وإنما نقول إنه أتى وحضر جوهرياً، متحداً معنا، ساكناً فينا.

إذ يلزم أنه كما كان الإبن يحيا معنا في حالة جسدية، هكذا يتعيَّن أن الروح القدس يُستعلن ظاهراً في أجسادنا أيضاً.

وكما ذهب المسيح عائداً إلى مكانه الخاص، يلزم أن يأتي الروح القدس إلينا حتى لا نُحرم من «المعزِّي» = «الپاراكليت».

و«الپاراكليت» هنا إسم لربوبية واحدة متساوية مع المسيح في الجوهر الواحد] (٥).

انسكاب الروح القدس كان على الكنيسة أولاً، ثم على الجميع.

الكنيسة شربت أولاً، فخرج من بطنها أنهار ماء أروت ولا تزال تروي كل العطاش إلى البر...

---

(٤) يو ٧: ٣٧ـــ٣٩.

(5) St. Greg. Naz., *On Pentecost*, N.&P.N.F., 2nd Ser., Vol. VII, p. 383.

الروح القدس بشبه الماء يروي «وجميعنا سُقينا روحاً واحداً» (٦). ولكن لا يرتوي من الروح إلا العطاش... «إن عطش أحد فليقبل إليَّ» (٧).

وفي ذلك يقول القديس أغسطينوس:

[نحن لا نذهب بأرجلنا وإنما باشتياقات قلوبنا، نحن لا ننتقل من مكاننا بل ننجذب بحبنا، إن الحركة هنا باطنية لا تتعلق بالجسد وإنما بالإنسان الداخلي، هي حركة قلبية تنزع إلى الهجرة بالنفس إلى وطن أفضل، هي نقلة تدفعها المحبة...

إن عطش أحد فليقبل إليَّ:

نحن مدعوون بهذا النداء، ليس لنا أن نتعوق ونتساءل عن المعاني، فكلام الرب واضح... فالعطش عطش داخلي، كذلك الفيض هو من القلب الخفي، والحركة هي من جهة إنساننا في الداخل.

البطن هي الوعي القلبي، فإذا شرب الإنسان الروح تطهرت أعماقه ولمستها الحياة الأبدية وتفجّرت من أعماقه المياه الحية بشبه أنهار...] (٨).

والقديس يوحنا ذهبي الفم يكمل المعنى بقول حسن:

[**إن عطش أحد فليقبل إليَّ:**

المسيح يقول: أنا لا أضطر الناس أن يأتوا إليَّ، ولا أنا أجذبهم بغير إرادتهم، ولكن إن كان أحد يضطرم فيه الشوق إليَّ وتلهبه غيرة المحبة نحوي، هذا أنا أدعوه...

«تخرج من بطنه أنهار ماء حي»:

يشير بذلك إلى عظم النعمة ووفرتها «كينبوع حي» أي أن الذي يؤمن

(٦) ١كو١٢: ١٣.   (٧) يو٧: ٣٧.

(8) St. August., *On Gospel of John*, N.&P.N.F., 1st. Ser., Vol. VII.

بالمسيح تسكنه النعمة بغزارة. والرب يسمي النعمة «ماءً حياً»، لأن النعمة إذا دخلت العقل وتأسست في القلب فإنها تظل تعمل وتتفجر كتفجُّر المياه الشديدة من الينبوع بدون توقف، أو كجريان أنهار كثيرة بلا عدد.

ونحن إذا إنتبهنا إلى الحكمة المتدفقة من القديس اسطفانوس ورجاحة منطق بطرس الرسول وغيرة بولس المتأججة ندرك تماماً صدق تعبير الرب كيف أن النعمة تسير في طريقها لا يعيقها عائق، فلا غضب الجماهير ولا تهديدات المضطهدين ولا مؤامرة الشياطين تعطلها ولا حتى ميتات كثيرة على طول المدى... لأن النعمة تتدفق من القلب غير عابئة بالعوائق كنهر جارف محمول على تيار شديد يجرف أمامه كل ما يعترض تياره...](٩).

ولكي ندرك قيمة الروح القدس بالنسبة لحياتنا في العالم يلزمنا أن نعود إلى حالة شعب الله في البرية وبأي رمز عرف عمل الروح القدس في حياتهم:

ــ «ولم يكن ماء ليشرب الشعب، فخاصم الشعب موسى وقالوا أعطونا ماءً لنشرب. فقال لهم موسى لماذا تخاصمونني، لماذا تجربون الرب...

وعطش هناك الشعب إلى الماء، وتذمر الشعب على موسى وقالوا: لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا؟»(١٠).

هذا هو رمز حياتنا: برية قاحلة نسير فيها، عالم مجدب وليس فيه قطرة واحدة من النعمة أو عزاء الروح، موت أكيد إن لم يسقينا الله بنفسه. الروح القدس هو لحياة النفس كالماء لحياة الجسد، إذا لم نشرب الروح القدس كالماء تذبل حياتنا بالنسبة لله ونموت روحياً.

أيها القارىء، ليس المهم أن نخرج من عبودية فرعون (الخطية) فقط! أو نكتفي بأن نعبر البحر الأحمر (المعمودية) الفاصل بين مذلة العبودية وحياتنا الجديدة، بل المهم

---

(9) St. John Chrysos., *On Gospel of John*, N.&P.N.F., 1st. Ser., Vol. XIV.

(١٠) خر١٧: ١ــ٣.

كل المهم أن نحصل على الماء (الروح) لنشرب ونرتوي لئلا نموت.

أذكر حالة الشعب التائه في برية سيناء وكيف استبد به العطش حتى صرخ، واذكر أن هذه الأمور حدثت كلها لتكون مثالاً لنا...

أين الماء:

«الروح والعروس يقولان تعال،
ومن يسمع فليقل تعال،
ومن يعطش فليأتِ،
ومن يُرِدْ فليأخذ ماء حياة مجاناً...» (١١).

العروس هي الكنيسة والكنيسة تنادي بالروح القدس [و بغير الكنيسة يستحيل أن تسمع صوت الروح القدس] (١٢).

الكنيسة مبنية على الصخرة، الصخرة التي اسقت شعب الله في البرية لأن الصخرة قديماً وحديثاً هي المسيح كما استعلنت لبولس الرسول...

وهكذا من تحت عتبة الكنيسة، عند مدخل بيت الله يوجد سر **المياه الحية...:**
«ثم أرجعني إلى مدخل البيت (الهيكل) وإذا بمياه تخرج من تحت عتبة البيت... والمياه نازلة من تحت جانب البيت الأيمن عن جنوب المذبح» (١٣).

الروح والعروس يقولان لك تعال...
تعال كما أنت، إن كنت عطشاناً إشرب وإن كنت متسخاً اغتسل...

الكنيسة تعرِّفك سر الشرب، تسقيك الروح مجاناً، تغسلك فتبيض أكثر من الثلج...

* * *

---

(١١) رؤ٢٢: ١٧.

(12) Tract. XXXII.

(١٣) حز٤٧: ١.

الماء ليس للشرب فقط، هو للإغتسال أيضاً والتطهير.

الصخرة كانت تُخرج ماءً للعطشان ليشرب، والمتسخ ليغتسل، والصخرة كانت المسيح! والماء كان الروح.

ـ «وأرُش عليكم ماءً طاهراً فتطهرون من كل نجاستكم، ومن كل أصنامكم أطهركم، وأعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديداً في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم، وأجعل روحي في داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي وتعملون بها» (١٤).

في سر الروح أنت تغتسل وتتطهر، في لحظة، في لمحة بصر.

تعالَ بنجاساتك وخطاياك عليك، تعالَ بقلبك واشتياقات روحك كما علمنا القديس أغسطينوس. تعالَ، وفي الخفاء إخلع أعمال الظلمة، إخلع جسم خطايا البشرية! إخلعه بالمشيئة، وحينئذ يرفعه عنك الروح بالحقيقة.



(١٤) حز٣٦: ٢٥ــ٢٧.

ثانياً: الحلول والإمتلاء

موضوع حلول الروح القدس على المؤمنين والإمتلاء منه موضوع خطير للغاية، أهملته الكنيسة في وعظها وخدمتها مع أنه حقيقة قائمة في صميم كيانها، فالكنيسة قائمة بالروح وتحيا من ملئه.

فإن كانت الكنيسة هي جسد المسيح السري، فالروح القدس هو ملء هذا الجسد وحياته، والكنيسة نفوس المؤمنين.

وللقديس إيرينيئوس قول مشهور في هذا الإعتبار: [أينما وُجدت الكنيسة وُجد الروح القدس، وأينما وُجد الروح القدس وُجدت الكنيسة](١٥).

وفي نفس المعنى يتكلم القديس باسيليوس: [أينما يأتي المسيح يسبقه الروح القدس أمامه](١٦).
وأيضاً يتكلم القديس اغريغوريوس النيسي مدعِّماً هذا القول: [الإنسان يستحيل عليه أن يفهم المسيح كإبن الله بدون الروح القدس](١٧).

ولكن لشدة الأسف أصبح المؤمنون بسبب إهمال المعرفة بأصول الحلول والإمتلاء من الروح القدس يطلبونه كأنه ليس فيهم، وآخرون لا يطلبونه ظانين أنهم ليسوا أهلاً لحلوله وملئه؛ وكلا الوضعين خطأ، وعلى هذا الخطأ تحيا الغالبية العظمى...

* * *

وموضوع هذه الرسالة هو في الواقع محاولة عملية، نجهد فيها لجعل القارىء يتلامس مع حقيقة الحلول والإمتلاء، لعلنا نبلغ ما فاتنا ونعوِّض عن سنين كثيرة أكلها الجراد...

---

(15) St. Iren., *Contra Haeres.*, III, 24, P.G. VII, p. 966.
(16) St. Basil, *On the Holy Spirit*, N.&P.N.F., 2st. Ser., Vol. VII.
(17) St. Greg. Nyss., *Contra Maced.*, 12, P.G. XLIV, p. 1316.

ونحن نبدأ بيوم الخمسين، فالصلة الكائنة بين يوم الخمسين وحلول الروح في أي زمان ومكان وعلى أي إنسان صلة دائمة ومستمرة لا علاقة للزمان بها، فيوم الخمسين هو يوم البشرية كلها، هو كيوم الصليب أو كيوم القيامة تماماً، لا يحتاج إلى تكرار. نحن لا نطلب أن يُصلب الرب غير اليوم الذي صُلب فيه، ولا نطلب أن يقوم المسيح من الأموات مرة أخرى، لأنه صُلب مرة ومات مرة وقام مرة وهو حي إلى أبد الآبدين...

كذلك نحن لا نطلب أن يتكرر يوم الخمسين، بل نطلب ونسعى أن تحل علينا قوته، وقوته ليست غريبة عنا كما أن قوة القيامة ليست غريبة عنا.

فكما أخذنا بالمعمودية والمسحة و بقية الأسرار قوة موت الرب وقيامته، كذلك تماماً أخذنا قوة يوم الخمسين وهي فينا باتحادنا بالروح القدس كالصليب وكالقيامة... ولا نحتاج إلا أن تصبح هذه القوة عاملة فينا، لأنها متعطلة بسبب الجهل بها.

واستيعابنا لقوة يوم الخمسين هو المعبَّر عنه بالملء من الروح القدس، وهو غاية الحياة المسيحية ورسالة الكنيسة وقصد الإنجيل. وهو يتم على ثلاث درجات أو ثلاث مراحل من الحلول:

الأول: حلول الروح القدس بكلمة الإنجيل.

الثاني: حلول الروح القدس بالأسرار.

الثالث: حلول الروح القدس بالصلاة.



١ : الحلول بالكلمة

«ولما ابتدأت أتكلم حل الروح القدس»(١).

علاقة الحلول بالكلمة عند الرسل:

كلمة الإنجيل عند الرسل لم تكن مقروءة من كتاب ولا منقولة وإنما كانت منطوقة من الروح القدس مباشرة، فكانت هي بنفسها حالة حلول بالروح القدس في الإنسان (الرسل). أي أن الكلمة الإنجيلية هي في جوهرها حالة حلول مجسمة في نطق تَسَجَّل ككلمة.

الإنجيل كله كُتب على نور مصباح الله، وخَطَّته أيدي كانت تسوقها النعمة، فكانت الأيدي تكتب بلا حذر أو احتياط، وكانت الكلمات شهادة لمصدرها.

كلمة الرسل هي عينها شاهدة لحقيقة حلول الروح القدس فيهم، والذي يهمنا جداً في هذا هو أن الكلمة أصبحت مرتبطة بهذا الحلول ارتباطاً صميمياً، بحيث أن كل من يتعمق الكلمة يكتشف فيها الروح القدس، أو بالحري يدخل ضمناً في حالة حلول!

فكل من يتذوق الكلمة يتذوق الروح، وكلما تعمق القارىء في الإنجيل تعمق في الروح الكاتب للإنجيل!

وبذلك صار الإنجيل واسطة حلول للروح القدس لأنه بالحلول مكتوب!

ويستحيل أن يتم حلول الروح القدس في أي عمل أو خدمة أو سر من أسرار الكنيسة إلا إذا قُرئت كلمة الإنجيل!

والكنيسة تستمد من الإنجيل كيانها، وكيان الكنيسة حياة، وحياة الكنيسة

(١) أع ١١: ١٥.

نفوس تحيا لله لأنها تعيش على الكلمة، والكلمة استمرار لحالة حلول بالروح القدس دائم ومستمر.

الكنيسة تدعى رسولية لا من أجل أسماء الرسل ولا من أجل فضائلهم، بل لأنها لا تزال قائمة على الكلمة التي نطقوها كما هي، وكلمتهم حية لأنها مكتوبة بالروح القدس.

فالإنجيل المكتوب من الرسل هو حالة إلهام تسجّلت تسجيلاً أكثر من أن يكون حرفياً أو كلامياً، فالإلهام إحساس بالحق. والإحساس بالحق لا ترسمه مجرد الحروف والكلمات. لذلك فقراءة الإنجيل إن لم توصل إلى حالة إحساس بالحق وإحساس بالروح لا تكون هي كلمة الإنجيل، ولا تكون قد بلغت الغاية من كتابة الإنجيل! لأن الكنيسة لا تقول أنها كانت رسولية، بل هي الآن رسولية، وهي لا تكون رسولية إن لم تكن تعيش الآن وتحس بالحق الرسولي.

إذن فكلمة الإنجيل هي الصلة الحية بين حاضر الكنيسة وأصولها الأولى حتى إلى المسيح شخصياً...

فإذا استطعنا أن نستوعب كلمة الإنجيل بقبول وانفتاح ذهني نصير في الروح أو ندخل في حالة حلول تجعلنا نتواجه أمام الفكر الرسولي، بل نقول في جرأة أننا نبلغ إلى فكر المسيح نفسه: «أما نحن فلنا فكر المسيح» (٢).

علاقة الحلول بالكلمة عند الآباء:

عندما نقول «الآباء»، فنحن نقصد الفكر الآبائي المؤيَد بالروح القدس و بالسيرة المقدسة.

فالكنيسة ليست استمراراً لتاريخ وأسماء، ولا لتقليد حرفي ميت، ولا لطقوس

(٢) ١ كو ٢ : ١٦.

وأعياد ومواسم؛ ولا هي أيضاً استمرار صوري للتعاليم الرسولية وحسب.

ولكن الكنيسة بصورة ممتازة هي استمرار لحلول الله معنا، هي حضرة إلهية مشهود لها بالكلمة، هي برهان الروح والقوة يسري في كيان أشخاص ملهمين من جيل إلى جيل يقودون الكنيسة بالروح، و برهان الروح فيهم هو الكلمة حينما يفسرونها إلهياً.

فإن كان برهان الروح القدس عند الرسل هو في نطق كلمة الإنجيل، فبرهان الروح القدس عند الآباء هو تفسيرها على مستوى إلهي.

وتفسير الكلمة حالة حلول لا تقل عن النطق بها!!

واستخلاص العقيدة من نصوص الإنجيل عمل إلهامي لا يقل عن وضع الإنجيل نفسه، لأن في كليهما يبلغ العقل إلى مواجهة الحق.

وإن كانت الكنيسة ظلت إلى الآن رسولية فذلك بسبب الآباء، فالآباء في الكنيسة يعبِّرون عن عقل الرسل، كما عبَّر الرسل عن عقل المسيح!!

وهكذا احتفظ لنا الآباء بتفسيرهم الكلمة واستخلاصهم العقيدة المستقيمة لا بفكر الرسل فحسب بل بفكر المسيح وحق الله.

ولولا آباء الكنيسة الملهمون ما استقرت أسس الإيمان والعقيدة بالصورة التي نحياها اليوم.

فإن كنا نتذوق قوة الكلمة وعمق الإيمان ورصانة العقيدة وأسرار التدبير فلنذكر أثناسيوس وكيرلس الإسكندري وغر يغور يوس و باسيليوس إلى الأبد...

ونحن، أيها القارىء، لا نريد أن نخوض في الدفاع عن العقيدة ولا عن الآباء، ولكن نريد فقط أن ننبه الذهن إلى قيمة الفكر الآبائي في تفهُّم الكلمة الرسولية وكشف أسرار اللاهوت، فالعقيدة الآبائية السليمة هي مفتاح كلمة الإنجيل وهي في ذاتها حالة حلول للروح القدس.

فإن كنا نعرض الآن لحالة الحلول الذي يتوقه كل إنسان بواسطة كلمة الإنجيل، يلزم أن نشهد بضرورة التعرف على الفكر الآبائي والعقيدة الحقة، لأنه كما قلنا أن هذه بنفسها تعتبر حالة حلول للروح القدس يلازم الكلمة، ونحن لا نستطيع أن نفصل كلمة الإنجيل عن العقيدة وفكر الآباء، لأن كلمة الإنجيل قد وصلتنا حية ومحفوظة في إطار من الفكر والعقيدة الآبائية.

بل نريد أن نقول أيضاً إن الكلمة قد وصلتنا حية فعَّالة تدعمها نماذج حية من الآباء الذين قدموا حياتهم ثمناً للمحافظة على مفهومها السليم.

علاقة الحلول بالكلمة عند المؤمنين:

الآن، قد فتحنا أمام القارىء درب الإنجيل الذي يوصله إلى يوم الخمسين، وإلى يوم القيامة والصليب، ليأخذ من الكلمة و بالكلمة حالة وجود في الرب وفي الروح.

الكلمة هي في واقعها الإنجيلي نُطق الروح القدس الكاشف لأسرار المسيح والحق والله «ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» [٣].

ولكن الكلمة لا تزال أكثر من نُطق، هي صوت الروح القدس، هي صوت المسيح، هي صوت الله الآب.

وإلى هنا، أيها القارىء، نتوسل إلى الله أن يكمل عجز تعبيرنا لندرك العلاقة الكائنة بين أذنك والكلمة، بين قلبك وسماع ذلك النطق، بين نفسك والروح القدس في الإنجيل.

ولكن نقول لك الحق ولا نكذب أن كل قراءة تكملها تكميلاً روحياً بانفتاح قلب ووعي هي حالة حلول بالروح القدس أمام المسيح.

القديس إيرينيئوس يشهد لكلمة الإنجيل هكذا:

---

(٣) يو١٦: ١٤.

[اللغة لغة إنسان ملهم ولكن الذي يصيغها و يصورها هو الله الكلمة](٤).
والفيلسوف أثيناغوراس يشهد أيضاً هكذا:

[الروح القدس ينفخ في الإنجيليين كما ينفخ الموسيقي في مزماره، هو يرفع عن الكاتب قدراته الطبيعية الخاصة، و يُدخلهم في حالة جذب إلهي فينطقون و يكتبون ما يطبعه روح الله فيهم](٥).

لذلك نعود مرة أخرى مستخدمين إلهام أثيناغوراس لنقول أن الكلمة ليست نطقَ أو صوتَ الله فحسب، بل نفخة فم!...

فالذي يقرأ الكلمة أو الذي يسمعها يكون كمن يتقبل نفخة الله، وما هي نفخة الله إلا تقبُّل روح الله!!

لذلك يحرضنا القديس يوحنا الرسول في افتتاحية سفر الرؤيا هكذا: «طوبى للذي يقرأ وللذين يسمعون» (٦)!!

أما علامة تقبُّلنا لنفخة الكلمة ودخولنا في حالة حلول الروح فهو انفتاح الذهن لتقبُّل معرفة الحق واستعلان أسرار الله.

وانفتاح ذهن الإنسان لكلمة الإنجيل هو أول حلول للروح القدس لتكميل ملء قامة الإنسان في المسيح يسوع.

وكانت الكنيسة في عصورها الأولى تمتنع عن تعميد أي موعوظ جديد إلا إذا قبل أولاً استنارة المعرفة بكلمة الإنجيل!

إسمع هذا القول للقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات:

[الروح القدس يكمل و يتقن النفس أولاً حتى يهيئها للمعمودية](٧).

---

(4) St. Iren., Apol. I, 36, & II, 10.

(5) Legatio 9.

(٦) رؤ ١: ٣.

(7) St. Greg. Naz., Fourth Oration, N.&P.N.F., 2nd Ser., Vol. VII, p. 817.

وعندما تتبعنا فكر القديس غريغوريوس فيما يختص بالموعوظين، عرفنا من عظاته عن الروح القدس أن الدروس التي ألقاها على الموعوظين قبل معموديتهم شملت أسرار التثليث والتوحيد بالتدقيق، وسر التدبير الإلهي أي التجسد بكل أصوله، ثم عظة كاملة وبليغة عن المعمودية ذاتها ومعانيها الروحية العميقة، وفي ختام دروسه للموعوظين قال لهم الآتي:

[وهذا كل ما يليق أن يعلَن لكم فيما يختص بتقبل سر العماد وقد أخبرتكم بما هو ليس ممنوعاً من أن يسمعه العامة، أما باقي التعليم فستتولى الكنيسة تلقينه لكم في حينه بنعمة الثالوث المقدس، وهو التعليم الذي يلزم أن تحتفظوا به سراً وتودعونه قلوبكم](٨).

كم نحن خجلون الآن لأننا ونحن متعمدون، بل وربما معلمون وواعظون، لم نبلغ إلى انفتاح الذهن أو تقبُّل الإستنارة الروحية بالكلمة ولم نتذوق الروح الذي في الإنجيل.

أن ينفتح العقل للكلمة تنفتح العين للرؤيا، والرؤيا الروحية هي **معرفة** غير المنظور في صورة يقينية. فَهْم الإنجيل هو استيعاب للروح القدس؛ حلول الروح القدس بالكلمة هو مصالحة لقوى التفكير بقوى التعبير في ذهن الإنسان لينطق الحق ويشهد للمسيح.

أيها القارىء، إن كنت تريد أن تبدأ الطريق، ابدأ بالإنجيل، تأدب بكلمة الحياة، إجلس إليها ساهراً كل يوم، إخضع لوحيها واتجاهاتها، استمع لصوتها، تنسم نفختها، تنفس بها كما تتنفس الهواء أو الريح الزكي، لأن الكلمة روح، والروح القدس هو ريح الله يستنشقه القديسون ويتنفسون به.

✽

---

(8) St. Greg. Naz., *Oration on Holy Baptism*, ibid., p. 377.

٢ : الحلول بالأسرار

«ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم».

(أع١٩: ٦).

إن كان حلول الروح القدس بالكلمة ينشىء استنارة ذهنية ووعياً للحق ثم نطقاً وشهادة للمسيح، فحلول الروح القدس بالأسرار ينشىء إتحاداً في طبيعة الله. والإتحاد في طبيعة الله لا يكمل إلا في الدهر الآتي بسر القيامة العتيد أن يُستعلن فينا.

أما في الحاضر فنحن نشترك جزئياً في طبيعة الله، وقليلاً قليلاً على قدر ما يتغير الفاسد فينا إلى قداسة.

بالأسرار يتم الإشتراك في طبيعة الله سراً بنعمة الروح القدس كحالات حلول. ولكن يلزم أن تكون الإرادة واعية لمفهوم السر، وتكون المشيئة حاضرة باشتياق للخلاص، وإلا لا يحدث حلول من النعمة إطلاقاً.

وللقديس غريغوريوس النيسي قول قاطع في هذا الأمر:
[إن نعمة الله لا يمكن أن تنسكب على النفوس التي تتهرب من خلاصها](١).

ولكن ليست النعمة أيضاً تنسكب في الأسرار عن استحقاق ولا عن إرادة للإنسان فقط، وإنما يلزم أن تتلاقى معاً إرادة الإنسان مع إرادة الله، واشتياق الإنسان للخلاص مع إرادة الروح للملء.

وهنا تبرز أهمية الإستنارة بالكلمة، لأن تفتُّح الوعي الروحي بقراءة كلمة الإنجيل يؤهل الإنسان لتقبل السر إذ يهيىء مشيئته للخلاص عن اشتياق من جهة، ومن جهة

(1) *De Instituto Christiano*, P.G., XLVI, p. 289.

أخرى يهيىء هيكله الروحي لحلول الروح القدس في الأسرار للشركة وعطاء الطبيعة الإلهية بالتقديس.

إذن فحلول الروح القدس في ذهن الإنسان بكلمة الإنجيل هو أساس لحلول الروح القدس في هيكل الإنسان بالأسرار للتقديس!!

* * *

الأسرار كلها حالات نتقابل فيها مع طبيعة الله تقابلاً غير منظور بالإيمان، يكون نتيجته أن نصبح في حالة اتحاد أكثر ــ بعمل النعمة ــ وكل سر يؤهلنا إلى حالة شركة خاصة، والروح القدس هو الفاعل في كل الأسرار.

فالأسرار هي ممارسة الحياة الإلهية الجديدة لحساب الدهر الآتى. وحلول الروح القدس فيها على قياس العمل للتغيير والتجديد وإنما بطريقة لا نستطيع أن نعيها عقلياً، وإن كان الأثر يكاد يكون ملموساً. والقديس باسيليوس يلمس هذه الحقيقة هكذا:

[الروح القدس أعطانا قوة التجديد، أما كيف ذلك فهذا أمر يفوق حاسة المنطق العقلي، مع أنه فينا بالسر، أما ثمر التجديد فواضح إذ يهبنا خلاصاً لأنفسنا عظيم القدر، فإذا حاولنا أن نقلل من قيمة هذه الحقيقة نخسر الحياة الأبدية خسراناً شديداً] (٢).

الله حاضر في جميع الأسرار، وحضوره يتم فينا كعمل إلهي في بشريتنا لينقلها بالتجديد المستمر لتصير خليقة جديدة في المسيح من جسد المسيح. والقديس باسيليوس يشرح هذا المعنى أيضاً:

[إن التجديد الذي نجوزه في هذه الحياة وانتقالنا وتغيرنا من حياة أرضية حسب الجسد إلى حياة سمائية روحية إنما يحدث فينا بفعل الروح القدس] (٣).

---

(2) St. Basil, *On the Holy Spirit*, N.&P.N.F., 2nd Ser., Vol. VIII, p. 18.

(3) Ibid., p. 31.

وهكذا تصير هياكلنا روحية مهيأة ومقدسة لحلول أكثر وامتلاء من الروح، حتى أن الرب يقول أنه يأتي «وأتعشى معه» (٤)، وفي موضع آخر يقول: «إليه نأتي وعنده نصنع منزلاً» (٥)، لأن الهيكل البشري إذا تقدس بفعل الأسرار بعمل نعمة الروح القدس فإنه يصير موضعاً لله يستريح فيه، القديس غريغوريوس يقول هذا:

[الله يستريح بين قواته المقدسة، وهو محبب إليه أن يسكن بينهم.
وهكذا يقال عن الله أنه جالس أو مستريح في عرشه،
وهذا نفسه أيضاً حادث فينا، فالله يجلس مستريحاً في قديسيه] (٦).

فنحن بالأسرار نصير منزلاً مهيأً لسكنى الله.
والروح القدس لا يكف عن أن يعطينا في كل سر تقديساً ونمواً غير منظور.

على هذا الأساس نحن نريد أن نحقق سلوكياً ما نناله بالأسرار خفياً، نحن بالأسرار ننال قوة، يلزم أن نعيش بهذه القوة ونظهرها...

الرب أراد أن لا يتركنا يتامى، فأرسل لنا الپاراكليت ليعزينا بسكناه و بقوته، فإذا لم نحقق العيشة المشتركة مع الروح القدس المعزي نكون خسرنا قوة الأسرار، و بالأخص فعل المعمودية والمسحة التي هي أساس تعلمنا ونمونا في الرب: «المسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهي حق وليست كذباً كما عَلَّمتكم تثبتون فيه» (٧).

إذا لم نستثمر عمل الروح القدس فينا الذي نلناه بالأسرار لحساب الحياة الأبدية نفقد صلتنا بالله كلية، اسمع ما يقوله القديس أثناسيوس بصدد هذا:

[نحن بدون الروح القدس نصير غرباء ومنفصلين عن الله، أما شركتنا في الروح القدس فهي تؤهلنا أن نصبح ذوي قربى باللاهوت] (٨).

---

(٤) رؤ٣: ٢٠.　　　(٥) يو١٤: ٢٣.

(6) St. Greg. Naz., *On Pentecost*, Fourth Oration, N.&P.N.F., 2nd Ser., Vol. VII, p. 325.

(٧) ١يو٢: ٢٧.

(8) St. Athanas., *Disc. III*, N.&P.N.F., 2nd Ser., Vol. IV, p. 407.

حلول الروح القدس في سر المعمودية:

القديس باسيليوس يصف معموديته:

[المعمودية كانت لي أول حياتي...

و يوم تجديدي كان أول أيامي...

وندائي بنعمة التبني كان أقدس نداءاتي...

إن كلمات المضلين لن تخدعني، ولن تتقلقل نفسي عن تقليد آبائي.

الذي قادني إلى النور والذي وهبني **معرفة الله**.

هذا التقليد الذي تقبلته بالنعمة المحيية سوف يبقى إلى الأبد بغير انكسار...

وأنا أضرع في نفسي لإلهي أن أعبر إليه وأنا باعتراف إيماني، حافظاً وديعته فيَّ حتى إلى يوم المسيح.

مؤمناً بالروح القدس الذي فيَّ غير مفترق عن الآب وإبنه...

حافظاً باعتراف إيماني مجد الثالوث، العقيدة التي تعلمتها يوم اعتمادي!!](٩).

كل الأسرار يتوقف فعلها على أساس ميلادنا الجديد واستعلان قوة معموديتنا في حياتنا العملية...، لأن الهيكل الإلهي فينا إذا لم يكن مستعداً، كيف يحل فيه روح الله؟

ولكن ما هو الإستعداد الذي ينبغي أن نقوم به الآن لنحقق حالة معموديتنا عملياً؟ هل هو مجرد امتناعنا عن الخطايا؟

يقول القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات، أن المعمودية حالة استنارة:

[إذا بلغنا معرفة هذا السر (المعمودية) بلغنا الإستنارة](١٠).

و«الإستنارة» في لغة القديس غريغوريوس هي صفة ملازمة للمعمودية، بل إنه

---

(9) St. Basil, *On the Holy Spirit,* N.&P.N.F., 2nd Ser., Vol. VIII, p. 17, 18.

(10) St. Greg. Naz., *Oration XL,* N.&P.N.F., 2nd Ser., Vol. VII, p. 360.

في أغلب كتاباته يستخدم كلمة «الإستنارة» ليكني بها عن المعمودية مباشرة.

إذن فمن قول القديس غريغوريوس ندرك أننا مطالبون بتحقيق معموديتنا عن طريق تدريب حواسنا الروحية ذهنياً أيضاً لتفهُّم أسرار الله «الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدرَّبة على التمييز بين الخير والشر»[11].

إذن، فالمعمودية حالة حلول للإستنارة بالنعمة لمعرفة أسرار الله.

فإن كان حلول الروح القدس بقراءة الكلمة ينشيء وعياً واستنارة ذهنية لفهم ومعرفة الإيمان وشخص المسيح، فحلول الروح القدس بالمعمودية يلد الإنسان الجديد فينا باستنارة إلهية لكشف واستعلان أسرار الله والحياة الأبدية.

نحن كلنا مولودون جديداً بالمعمودية، ولكن إنساننا الروحي عاجز عن الكشف والإستعلان بسبب عدم تمرُّن الحواس الروحية فينا.

تقبُّل السر، أياً كان نوعه، هو بمثابة دعوة إلهية إلى عشاء الله، ونحن علمنا من حديث الرب أن المقابلة مع الله تحتاج إلى ارتداء ثوب خاص: «فلما دخل الملك لينظر المتكئين رأى هناك إنساناً لم يكن لابساً **لباس العرس**، فقال له ياصاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس»[12].

الثوب ياإخوة هو التوشح بالروح القدس، الذي هو قوة المعمودية وبهاء صورة الله منعكسة من أعماقنا.

ولكن لا يغرب عن بالنا أننا لبسنا الروح في المعمودية، وعلينا إظهار هذا الثوب الإلهي الذي هو القداسة والإستنارة معاً.

الجلوس إلى الله في الأسرار هو حالة عشاء ويحتاج باستمرار إلى هذا الثوب عينه نقياً طاهراً لامعاً.

---

(١١) عب٥: ١٤.   (١٢) مت٢٢: ١١-١٢.

الله يطعم النفوس المتسربلة بالروح القدس حينما تجلس معه في الأسرار.
وطعام الله هو جسده، هو دمه، هو الحق!

حالة الحلول في الأسرار هي في الواقع حالة إطعام لاهوتي، هي تغذية إلهية، فيها نقتات سراً على اللاهوت «إفغر فاك فأملأه» (١٣).

ولكن ثوب الروح القدس الذي نلناه في المعمودية هو أساس الأسرار، وهو الذي يغسلنا كثيراً فنبيض ونستنير ونلمع بنور وجه الله:

[الروح يضيء على الذين اغتسلوا من عيوبهم ويجعلهم روحيين برفقته لهم... فكما يجعل النور الأجسام اللامعة تضيء بالنور فينبعث منها الضياء وكأنه خارج من كيانها، كذلك الروح القدس إذا سكن النفوس الطاهرة المغتسلة يجعلها منيرة حتى أنها تصير هي نفسها روحانية وتنبعث منها النعمة إلى الآخرين] (١٤).

القديس باسيليوس

حلول الروح القدس في سر المسحة:

هو حالة حلول حقيقي للروح القدس لمسح الإنسان، فهذا السر بالذات يستمد قوته من سر مسحة الرب بالروح القدس عندما خرج من مياه الأردن، والقديس كيرلس الأورشليمي يوضح ذلك:

[فكما لمع الروح القدس واستقر على الرب، هكذا بعد أن تخرجوا من جرن المياه المقدسة تُعطى لكم المسحة كاشتراك للمسحة التي مُسح بها الرب، وما هي المسحة إلا الروح القدس] (١٥).

كذلك فإن القديس كيرلس الأورشليمي يعتبر هذه المسحة باستدعاء الروح

---

(١٣) مز٨١: ١٠.

(14) St. Basil, *On the Holy Spirit*, N.&P.N.F., 2nd Ser., Vol. VIII, p. 15.

(15) St. Cyril of Jerusalem, Introd., N.&P.N.F., 2nd Ser., Vol. VII, p. XXIV.

القدس حالة قبول نعمة من المسيح، وبحلول الروح القدس يحصل الممسوح على الطبيعة الإلهية(١٦).

وترتليانوس يربط بين المسح بزيت الميرون وبين وضع اليد الرسولية هكذا:

[وفي حال خروجنا من جرن المعمودية نُمسح جيداً بزيت المسحة المقدس وتوضع علينا اليد باستدعاء وطلب حلول الروح القدس](١٧).

ولكن باستمرار الزمن صارت المسحة تُعتبر نفسها وضعَ اليد، وهي هي نفسها تُعتبر في ذاتها حالة حلول للروح القدس، وهذا واضح جداً في قول للقديس كيرلس الأورشليمي:

[المعمودية هي لموت الرب، الماء للدفن، الزيت لحلول الروح القدس](١٨).

كذلك فإن المسحة بزيت الميرون تُعتبر ختماً، لأن الممسوح يُختم بالزيت على جبهته، ويسميه القديس كيرلس الأورشليمي «الختم الملكي» ويسميه أيضاً:

[ختم الشركة والتبعية للروح القدس](١٩).

* * *

وهكذا نرى من هذه الأقوال الآبائية أن سر المسحة المقدس هو حالة حلول للروح القدس، وهو بمثابة وضع يد الرسل لقبول وشركة الروح القدس مع كل مواهبه.

إذن نحن رسوليون بمسحة الميرون، وعلينا أن نحقق هذه المسحة في حياتنا.

فإن كان الروح القدس يشهد لنا بواسطة سر المسحة أننا أولاد الله وورثة للمسيح والرسل بوضع اليد، إلا أنه لا يشهد لنا الآن ولا يستطيع أن يشهد لنا طالما كنا غير رسوليين في تفكيرنا وإيماننا، غير رسوليين في غيرتنا للمسيح ومحبتنا للإخوة، غير رسوليين في خدمتنا وبذلنا.

---

(16) Ibid., p. XXV.

(17) Tertul., *De Bapt.*, A.N.F., Vol. III, p. 672.

(18) St. Cyril of Jerusalem, Introd., N.&P.N.F., 2nd Ser., Vol. VII, p. XXV.

(19) Ibid.

نحن فينا المسحة وعلينا الختم، ولكن شركتنا مع الروح القدس متعطلة بسبب سيرتنا.

حلول الروح القدس في سر التوبة:

هو الغسل الثاني والمتكرر لحواسنا الروحية التي تميل إلى الخطية بعد تطهير المعمودية الكلي.

الروح القدس هو الذي يغسل في المعمودية وفي التوبة وعلى الدوام.

التوبة حالة استعداد داخلي لحلول الروح القدس لتجديد الحواس التي انفسدت بالشهوة والإثم.

إن لم نخلع جسم الخطية عنا بالمشيئة لا يرفعه عنا الروح بالحقيقة.

التوبة حالة قبول لفاعلية الروح القدس، والقبول يتم فينا بالمشيئة.

نحن لا نستطيع أن نطهر أو نغسل أنفسنا بالمشيئة فقط سواء كان بالصلاة أو الدموع أو الصوم. يلزم قبولنا حلول الروح القدس ليصنع هو فينا بنفسه حالة التطهير والتقديس والتجديد. نحن نعد أنفسنا بالصلاة والدموع والصوم، وهذا فعل المشيئة، ثم نقبل حالة الحلول بوضع يد الكاهن، فيحل الروح القدس و يكمل لنا ما نريده بالمشيئة.

إذا لم نشأ التوبة، إذا لم نُظهر فعل الندامة ونقدم نية قلوبنا لله بالصلاة، لا يحل الروح القدس ولا يقدس ولا يجدد.

يلزم أن تتقابل مشيئتنا مع مشيئة الروح القدس. ومشيئة الروح القدس حاضرة كل حين لأن الله «يريد أن جميع الناس يخلصون»[٢٠]!...

حالة الخطية هي حالة خروج من حضرة الله، هي إحزان للروح القدس ــ كما

(٢٠) ١تي ٢: ٤.

يقول الكتاب ـــ وإطفاء لإشراقه فينا.

التوبة تحتاج إلى دخول في حضرة الله، تحتاج إلى مصالحة مع الروح القدس. لابد من وسيط، لابد من دعاء آخر، وهذا الآخر يلزم أن يكون قد أُعطي سلطان استدعاء الروح القدس!!!

إذن التوبة لا تكمل إلا بصلاة الكاهن، إذ يستدعي الروح القدس ليحل في هيكله الذي كان قد تغرب عنه إلى حين.

ليس هذا معناه أن الكاهن يستطيع أن يتحكم في الغفران فلا يعطيه لمن يستحقه، يستحيل، فالروح القدس ليس تحت وصاية الكاهن.

لقد قرأنا للقديس باسيليوس سابقاً أن الروح القدس مالك لسلطانه، وها نحن نقرأ للقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات في هذا المعنى:

[إن نعمة الإغتسال مجانية كاستنشاق الهواء وانسكاب النور وتتابع الفصول وجمال الخليقة، هذه كلها نشترك فيها جميعنا وهكذا تتوزع نعمة الإيمان](٢١).

لما أرادت الكنيسة في بداية العصر الرسولي أن تمنع الأمم من قبول الروح القدس لم تستطع، وبطرس الرسول يشهد بهذه الحقيقة علناً فيقول: «فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسويّة مؤمنين بالرب يسوع المسيح **فمن أنا، أقادر أن أمنع الله**... فلما سمعوا ذلك سكتوا وكانوا يمجدون الله قائلين: إذاً **أعطى الله الأمم أيضاً التوبة للحياة**»(٢٢).

إذن فالكاهن لا يمنع الغفران عن من يستحقه، وإنما له أن يمنعه عن من لا يستحقه. كذلك فالكاهن لا يعطي الغفران لمن لا يستحقه.

* * *

---

(21) St. Greg. Naz., *Oration XL*, N.&P.N.F., 2nd Ser., Vol. VII.

(٢٢) أع ١١: ١٧، ١٨.

الإنسان الذي توشح بالروح القدس فيه القيامة، لأن روح من أقام يسوع يسكن فيه.

الخطية حالة موت، والتائب إنسان قائم من الأموات بالروح القدس.
من له الروح لا يغلبه الموت لأنه يغلب الخطية بالتوبة.
التوبة حالة قيامة متكررة تستمد قوتها من الروح القدس وقيامة المسيح.

حلول الروح القدس في سر التناول:

لا يستطيع الكاهن أن يقول إن الخبز تحول إلى جسد أو أن الخمر تحول إلى دم إلا بعد أن يستدعي الروح القدس ليحوِّل القرابين و«يُظهرها قدسات للقديسين» !!

كذلك لا يستطيع إنسان أن يقرب الذبيحة الإلهية إن لم يكن قد قبل من فم الكاهن حلول الروح القدس عليه:
«ليحل روحك القدوس **علينا** وعلى هذه القرابين» (٢٣).

حلول الروح القدس في سر الإفخارستيا هو لكي يحول القرابين، و يقدس المتقدمين للإشتراك في الجسد والدم، حتى يجعلهم أهلاً للقدس «القدسات للقديسين».

الروح القدس يقدس هيكلنا قبل التناول ليعد لله منزلاً فينا فيحل اللاهوت ولا يحترق الإنسان.

حلول الروح القدس في سر مسحة المرضى:

نقطة تقابل هامة بين الجسد والروح القدس، هي حالة حلول في الهيكل الجسدي، هو منتهى تواضع الروح، حيث يُشفى الجسد بمادة الزيت.

ولكن يستحيل للروح القدس أن يستريح في هيكل الجسد المريض إلا إذا كان

(٢٣) سر حلول الروح القدس في القداس الإلهي.

مستريحاً أولاً في هيكل الروح الداخلي.

لذلك كان حلول الروح القدس في سر مسحة المرضى يلزم أن يسبقه أو يرافقه حلول الروح في النفس بسر التوبة والإعتراف بالخطية لقبول شفاء الروح أولاً.

شفاء النفس هو أساس لشفاء الجسد، فالنفس المستريحة في الله تنبعث منها الصحة للجسد.

والنفس تستريح فقط بحلول الروح القدس «المعزِّي»، حيث تنبعث النعمة من النفس إلى الجسد، كما يقول القديس باسيليوس، فتشفي سقمه!

النفس التي لا يحل فيها الروح القدس بالتوبة للتجديد، هي نفس سقيمة ومريضة بالخطية، وسر مسحة المرضى يتعطل عمله فيها، فالجسد لا يقبل الروح القدس إلا من عمق هيكل النفس!... والشفاء لا يتم إلا عن طريق الغفران!

صحة النفس تعوِّض كثيراً عن سقم الجسد.

ومسحة المرضى ربما لا تشفي الجسد طالما كانت النفس قوية متعزية بالروح!

والروح القدس قدير أن يعمل حتى بالجسد الضعيف إن كانت النفس صحيحة! «قوتي في الضعف تُكمَل» (٢٤).

فالمرض الجسدي لا يعيق حلول الروح القدس والملء.

ولكن مرض النفس بالخطية يعيق الروح و يستحيل معه الملء!...

حلول الروح القدس في سر الزيجة:

حلول الروح القدس على جسدين معاً بقوة إلهية موحِّدة! ليجعل من الإثنين واحداً بواسطة المسيح...

في سر الزيجة يحل الروح القدس على مستوى ممتاز، فهو ليس للسكنى فقط بل

(٢٤) ٢كو١٢: ٩.

لتوحيد مسكن الله في الناس!!

ونتيجة هذا الحلول هو تكوين أول نواة لتجميع البشرية في واحد! لأنه كما يجمع الروح القدس الإثنين في واحد بسر الزيجة، كذلك وبنفس القياس وعلى نفس المستوى السري يجمع الناس جميعاً في الكنيسة! الإثنان يصيران واحداً، دون أن يفقد كل واحد ماله.

فبحلول الروح القدس في سر الزيجة يحدث انفتاح النفس البشرية لتستوعب ما للنفس الأخرى بحيث لا تفقد هي ما لنفسها. وبذلك يصير ما للواحد هو ما للآخر تماماً، فلا يعودان إثنين بل واحداً!

الزوج يستوعب كل ما في زوجته، ليس الصالح الذي فيها فحسب أو عاداتها الطيبة وميولها الخيرة فقط بل بمؤازرة روح الأُلفة يتقبل، في استسلام لفاعلية السر، كل ما في زوجته حتى الأخطاء والعيوب وكل نقص أياً كان نوعه، يتقبل كل ما يحسه فيها ويجعله لنفسه فيصير جزءاً من كيانه.

لا يتبرم من عيوب زوجته، بالضبط كما أنه لا يتبرم من عيوبه.

وإن أراد أن يصلح فيها عيباً يسلك في ذلك كمن يصلح عيب نفسه، فكل عيب في أحدهما هو محسوب لكليهما!

هكذا والزوجة أيضاً تستقبل بفاعلية سر الروح كل ما في زوجها من نقائص وفضائل، فلا يعود لزوجها شيء كأنه غريب عن بدنها ونفسها وعقلها. وحينما يقول الكتاب إن الرجل رأس المرأة فهو يشير إلى أن الرجل يحتل تفكير المرأة: «وإلى رجلك يكون اشتياقك» (٢٥).

هو رباط روحي يشمل الوجدان والمشاعر أيضاً.

الرجل بعد حلول الروح القدس في سر الزيجة لا يُدعى فرداً بل «**زوجاً**»، ولا

---

(٢٥) تك ٣: ١٦.

المرأة بعد حلول الروح القدس عليها في سر الزيجة تدعى **فرداً** بل «**زوجاً**» أيضاً، فكل منهما صار «زوجاً» لأن كلاً منهما صار له ما للآخر بالإضافة إلى ما لنفسه!! وتلاشت الفردية بينهما.

لذلك فحلول الروح القدس في سر الزيجة متركز صميمياً في كلمة «**الزوجية**».

والزوجية في المسيحية ليست ثنائية، هي وحدة بشرية على مستوى إلهي بشبه الكنيسة والمسيح! هي وحدة غير منفصمة قائمة على التساوي **المطلق** بين الرجل والمرأة في المسيح! «الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل **في الرب**»(٢٦).

حلول الروح القدس في سر الكهنوت:

الكهنوت ثلاث درجات: أسقفية وقسوسية وشماسية.

وفي الدرجات الثلاث يتم حلول الروح القدس بوضع يد الأسقفية على **المختار**. ولكن لا يتم الحلول إلا باشتراك شعبه، والشعب يشترك بثلاثة أشياء:

الأول: بالمشيئة وهذه تكمل «بالتزكية».

الثاني: بالنطق، وهذه تكمل قبل الصلاة عليه بصوت واحد من الجميع إذ ينطق الشعب و يقول: «أكسيوس» أي مستحق حينما يسأل الأسقف عن رأي الشعب.

الثالث: باشتراك الشعب في الصلاة على المختار.

* * *

حلول الروح القدس بسر الكهنوت لا يتم جزافاً، يلزم أن يكون المختار مملوءً من الروح القدس.

لأن الكهنوت خدمة بالروح القدس، والخدمة بالروح لا تكون إلا من فيض، والفيض لا يأتي إلا بعد ملء.

---

(٢٦) ١كو١١: ١١.

الملء بالروح القدس هو شرط الكهنوت وإلا لا يقدَّم الشخص.

والملء يشهده الناس، ولا يشهده صاحبه، لذلك كل من يزكي نفسه لا يُقبَل، هو غير مستحق، أما من يزكيه الشهود عن صدق يكون هو المستحق.
«**فانتخبوا** أيها الإخوة سبعة رجال منكم **مشهوداً لهم ومملوئين** من الروح القدس **وحكمة** فنقيمهم على هذه **الخدمة**»(٢٧).

* * *

الروح القدس لا يفيض في إنسان ليجعله خادماً بالروح إلا إذا كان ممتلئاً سابقاً. ومن لم يمتلىء كيف يفيض؟
الروح القدس مستعد دائماً أن يملأ كل إنسان «تعوزه الحكمة» ولكنه غير مستعد أن يعطي فيض الكهنوت لمن لم يمتلىء أولاً.

حلول الروح القدس بالشماسية يفيض على الشخص حكمة وتدبيراً وعدم محاباة ويجعله أهلاً أن يخدم أعواز الناس.

وحلول الروح القدس بالقسوسية يفيض على الشخص مواهب الرعاية، يعزِّي بشبه الپاراكليت ويحامي عن حقوق الخراف ويخدم الأسرار.

وحلول الروح القدس بالأسقفية يفيض على الشخص قدرة على النظارة، لأن ترجمة إسمه «إپيسكوپوس» هي الناظر من أعلى.

حلول الروح على الأسقف هو حلول نهائي فوق حلول الشماسية والقسوسية، ولا يمكن رسامة أسقف إن لم يكن قد رُسم شماساً أولاً وقساً، أي يكون قد حل عليه روح الحكمة وروح الرعاية حتى يأخذ روح النظارة.

والنظارة رؤيا من فوق، فالأسقف ينظر الكنيسة كما ينظرها الله.

---

(٢٧) أع٦: ٣.

فالأسقف في الكنيسة كالمسيح، أو كما يقول القديس أغناطيوس الأنطاكي، هو كالآب السماوي بيننا!! وهذا لأنه يملك الروح القدس و يعطيه.

الأسقف هو بالنسبة للكنيسة مصدر إلهي تستمد منه الكنيسة الروح القدس وعطاياه، والروح القدس يفيض من الأسقف بالمشيئة والصلاة.

والكنيسة لا يمكن أن تُدعى كنيسة بدون أسقف، لأنه ينبوع الروح القدس فيها، ومنه تفيض العطايا لها، وهويقيم خدامها و يسند رعاتها.

حلول الروح القدس في الأسرار الأخرى:

توجد في الكنيسة أسرار أخرى كثيرة غير محسوبة ضمن الأسرار السبعة. ولكن لا تخلو هذه الأسرار من حالات حلول أيضاً.

فمثلاً في حالة تكريس الرهبان يحل الروح القدس بالصلاة، و يعمل بنعمته في الشخص المتكرس لحفظ البتولية والموت عن شهوات الدنيا.

وفي تكريس الكنائس يحل الروح القدس بصلاة الأسقف لتقديس المكان وتخصيصه للصلاة.

وفي تكريس الماء يحل الروح القدس ليجعل في الماء قوة للتطهير والشفاء كما في طقس اللقان و بالأخص في عيد الغطاس «الظهور الإلهي».

وفي الصلاة على الموتى يحل الروح القدس ليستلم هيكله(*) الخصوصي.

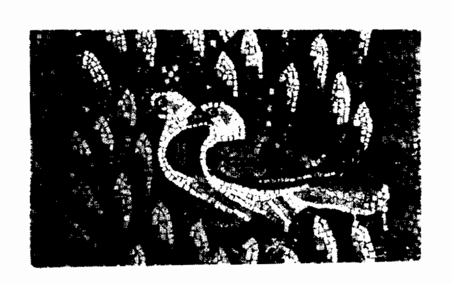
* * *

وهكذا نرى أن الروح القدس معنا باستمرار، يرافقنا في كل أعمالنا كما كان المسيح يرافق تلاميذه...

(*) حينما يصلي الكاهن يطلب و يقول: «عن هذه النفس» إشارة إلى وجود النفس أثناء الصلاة.

ولكن كل مرة تجتمع فيها الكنيسة للصلاة تحصل على حالة حلول، فيها نحصل على مؤازرة الروح القدس، كما يقول القديس إيرينيئوس:

[أينما وُجدت الكنيسة وُجد الروح القدس، وأينما وُجد الروح القدس وُجدت الكنيسة].



٣ : الحلول بالصــلاة

«**ولما صلوا** تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه
وامتلأ الجميع من الروح القدس»(١).

ليست كل صلاة يمكن أن يلازمها حالة حلول.
و بالرغم من ذلك لا يمكن أن نضع شروطاً يمكن لمن يتبعها أن يوجد في حضرة الله أو في حالة حلول.

ولكن توجد صلاة حقيقية فيها نتواجه مع الله، ويجري حديثنا معه بثقة وفرح وقبول، وفي هذه يكون الروح القدس شفيعاً لنا في الصلاة «لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح **نفسه** يشفع فينا بأنات لا ينطق بها»(٢). هذه حالة حلول حقيقي...

* * *

الكنيسة تعلمنا أن لا نكف عن طلب حلول الروح القدس علينا بالصلاة يومياً.
وهي لا تكتفي أن نطلبه مرة واحدة في الصلوات الرسمية بل أربع مرات: المرة الأولى في الساعة الثالثة من بدء النهار (التاسعة صباحاً) وهي الساعة التي حل فيها الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين، وبهذه الصلاة تنبهنا الكنيسة أن يوم الخمسين حاضر معنا بالصلاة كل يوم!

ثم نطلبه ثلاث مرات في صلوات نصف الليل، وذلك رمز لإنتظار مجيء الرب حتى الهزيع الثالث من الليل: «وإذا جاء في الهزيع الثاني أو جاء في الهزيع الثالث و وجدهم يصنعون هكذا فطوبى لأولئك العبيد»(٣)...

---

(١) أع٤: ٣١.
(٢) رو٨: ٢٦.
(٣) لو١٢: ٣٨.

ونحن نطلب حلول الروح القدس قبل مجيء الرب، لأنه كما يقول القديس باسيليوس: [أينما يأتي المسيح يسبقه الروح القدس أمامه] (٤).

ولأن المسيح قد نبَّه ذهن الكنيسة أن العريس سيأتي في نصف الليل، لذلك استعدت الكنيسة بالدعاء وطلب حلول الروح القدس في صلاة نصف الليل.

والكنيسة تعلمنا أن نطلب حلول الروح القدس هكذا:
«أيها الملك السمائي المعزي (الپاراكليت) روح الحق الحاضر في كل مكان والمالىء الكل كنز الصالحات ومعطي الحياة هلم تفضل وحل فينا» (٥).

* * *

حينما تلتهب روحنا في الصلاة، حينما يتقد كياننا العقلي والجسدي كله كما بنار، فينتبه الذهن إنتباهة روحية غير عادية فينطق الكلمة وكأنها قوة خارجة من أعماقه، حينئذ يكون الإنسان في حالة حلول الروح القدس وتكون هذه هي الصلاة بالروح.

في الصلاة الروحية يشرق الحق على العقل كومضات من نور تملأ الذهن وتسري في الوجدان معاً وفي آن واحد، وتكون هذه الومضات محملة بالإلهام والكشف والمعرفة.

لذلك كانت الصلاة ذات الحلول أساس الإرتقاء وذلك بتغيير الذهن من مجد إلى مجد، وليس الذهن فقط بل وكل مستويات الإحساس والتعبير.

وفي الإرتقاء بالنفس دخول في مجال الله وتوثيق في العشرة الإلهية، لأن ازدياد المعرفة الروحانية بالخبرة في الصلاة هي عينها تنشىء الدالة والألفة مع الروح القدس و باقي الأقانيم.

الصلاة بالروح هي نفسها حالة ارتقاء ومصعد يقود إلى الله.
والصعود إلى الله هو انتقال من معرفة إلى معرفة أعلا، ومن وعي جديد لوعي أجدّ،

(4) St. Basil, *Contra Haeres.*, III, 24, P.G. VII, p. 966.

(٥) الأجبية المقدسة: صلاة الساعة الثالثه.

ومن رؤيا إلى رؤيا، بلا توقف وإلى مالانهاية، والذي نأخذه بالصلاة في هذا الدهر نأخذه في الدهر الآتي بالتسبيح كشبه الملائكة.

الصلاة إذا بلغت إلى حالة الحلول لابد تنشيء حالة حرية «حرية أولاد الله»، وذلك على أساس الحب والحق معاً، لأن معرفة الحق تحرر الذهن، والدخول في الحب الإلهي يحرر القلب، فلا يعود الإنسان عبداً للقياسات العقلية ومنطق الناس ولا يرتبط بقلبه بشيء من هذا الدهر.

ولنذكر ذلك القول المأثور عن القديس أنطونيوس الكبير حينما قال مرة لأولاده: ياأولادي أنا لا أخاف الله... فقالوا له: هذا القول صعب ياأبانا... فاستطرد قائلاً: لأني أحبه!!...

* * *

وليت القارىء يفرق بين حالات الحلول الثلاث للروح القدس:
فالحلول بالكلمة قلنا إنه يتقن النفس و يفتح الذهن لتقبُّل كلمة الإيمان والنطق بالحق الإلهي، والشهادة للمسيح.

والحلول بالأسرار قلنا إنه اشتراك في الطبيعة الإلهية.

أما الحلول بالصلاة فهو حلول للإمتلاء بالروح القدس للمرافقة والصحبى، لأن الصلاة الروحية هي حالة عشرة مع الله.

هذه العشرة يصفها القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات هكذا:
[وأخيراً أجد أنه من الخير لي أن أعتصم بالمعرفة الرزينة بكل كياني مستنداً على الكلمات القليلة والإستنارة التي تقبلتها من الروح القدس، متوكلاً على قيادته لحياتي ومحتفظاً به لنفسي رفيقاً وصديقاً حتى النهاية](٦).

لذلك كانت حالات الحلول في الصلاة هي منتهى ما يبلغه الإنسان من قربى

(6) St. Greg. Naz., N.&P.N.F., 2nd Ser., Vol. VII, p. 328.

بـالـلاهوت والإمتلاء من الروح، وهي التي تؤهله للشهادة للحق بمنطق وحكمة لا تعانَد «ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به»(٧). وإن يخدم، فخدمته تـكـون مـلتهبة ذات تأثير في النفوس شديد «فلما سمعوا نُخسوا في قلوبهم... فقبلوا كلامه بفرح... وانضمَّ في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس»(٨).

والملء بالصلاة ملء متكرر يتجدد حسب الضرورة كما رأينا في بطرس الرسول لما كان يمتلىء بالروح في كل مرة يستدعى للشهادة...

* * *

ولـكـن الـذي يهـم الـقـارىء، هـو كيف يصير هذا الملء، أو بالحري كيف نؤهَّل لمرافقـة الـروح الـقـدس بـالـصلاة على هذا القياس الذي يُعتبر أساساً وضرورة لحياتنا المسيحية، سواء كنا مؤمنين عاديين أو كنا مدعوين للشهادة بإيمان أو كرازة بالكلمة أو خدمة الكنيسة بأي نوع أو مرشدين للنفوس.

ونحـن نريد أن نؤكد للقارىء أنه ليست الصلاة وحدها قادرة أن توصلنا إلى حالة الإمتلاء من الروح القدس، فالإمتلاء يأتي في الصلاة ولكن لا يأتي بالصلاة وحدها.

لـذلـك حـبـذا لو يصحح الناس أفكارهم من جهة الإمتلاء بالروح، فهو لا يُحصل عـلـيـه بـكـثـرة الصلاة، ولا التوسل الشديد ولا الدموع أو الصوم تقدر أن تستدر الروح القدس ليملأ حياتنا.

ولـكـن يـلـزم أولاً أن نـكـون قـد وفَّـيـنـا حقوق الإنجيل، يلزم أن نكون قد حفظنا الوصية، ونكون حفظناها عن حب وليس عن غرض:

«إن كـنـتم **تحبونني فاحفظوا وصاياي**، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم **باراكليتاً** (معزياً) آخر ليمكث معكم إلى الأبد»(٩).

---

(٧) أع٦: ١٠.	(٨) أع٢: ٣٧، ٤١.

(٩) يو١٤: ١٥، ١٦.

وصلاة تكون على أساس حق الإنجيل وحب المسيح وحفظ الوصية هي الصلاة التي يكمل فيها الحلول و يكمل بها الملء.

ولكن هنا يعترضنا سؤال: أليس حب المسيح وحفظ الوصية يحتاج إلى الروح القدس أولاً؟

هنا يجيب القديس أغسطينوس:

[كيف يقول الرب «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر» مع أن بدون الروح القدس لا يمكن أن نحب الله أو نحفظ وصاياه؟

كيف نحب الرب أو نحفظ الوصية لنأخذ الروح القدس مع أنه بدون الروح القدس لا نستطيع أن نحبه أو نحفظ وصاياه؟

ولكن علينا أن نفهم أن محبة الرب هي علامة على أن الروح القدس فينا، والذي عنده الروح يكون أهلاً لإمتلاك وامتلاء أكثر من الروح، والإنسان كلما امتلأ من الروح أكثر كلما تأهل لحب الله أكثر.

هكذا كان التلاميذ في البدء عندهم الروح القدس، ولكنه لم يكن عندهم بالصورة الكاملة التي وعدهم الرب بها... كان عندهم بصفة محدودة و بصورة خفية غير معلنة، ولكنهم لما أكملوا وصية الرب: «احفظوا وصاياي»، تم لهم الوعد وقبلوه وحل عليهم بصفة متسعة جداً و بصورة علنية.

لذلك فإن وعد الرب لنا بهذه الآية لا يكون عبثاً سواء للذين لم يأخذوا بعد الروح القدس أو الذين أخذوه بصورة محدودة خفية، فالذي لم يأخذه بعد تصير له الآية دعوة للأخذ... والذي أخذ تصير له الآية دعوة لأخذ أوفر...] (١٠).

القديس أغسطينوس

ونحن حينما ننبه ذهن القارىء بضرورة إيفاء حقوق الإنجيل والوصية لا نقصد أن

(10) St. August., *On the Gospel of John,* N.&P.N.F., 1st. Ser., Vol. VII, p. 334.

هذا يكون ثمن الإمتلاء بالروح القدس، ولكن القصد منه تهيئة الهيكل الداخلي للإنسان للحلول حتى الملء، وإعداد القلب ليمتلكه الروح القدس و يسير به.

صحيح أن قراءة الكلمة تهيىء للإنسان الحلول كما سبق وقلنا في درجة الحلول الأولى، وهي إن قُبلت باهتمام واشتياق وفرح، تطهر هيكل الإنسان الداخلي وهذا تعلمناه من الرب: «أنتم الآن أنقياء بسبب الكلام الذي كلمتكم به»(11).

وهذا أيضاً يؤكده يوحنا الرسول معتبراً أن قراءة الكلمة أو الإستماع إليها حالة غبطة «طوبى للذي يقرأ وللذين يسمعون»(12).

كذلك أيضاً صحيح أن الأسرار تقدس هيكل الإنسان الداخلي بالنعمة والشركة في الطبيعة الإلهية مجاناً، ولكن المطلوب أن يكون للإنسان مشيئة واضحة عملية وجهد إرادي مبذول في سبيل جعل الهيكل الداخلي مقدساً ولائقاً وكاملاً لقبول ملء الروح القدس لعشرة دائمة وصحبى أبدية...

لذلك نسمع الآية آمرة أمراً: «إحفظوا وصاياي». وثمنها: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معز ياً آخر».
وهنا نلاحظ أن الصلة بين عطية المعزى «ليمكث معنا إلى الأبد» و بين «احفظوا وصاياي» صلة شرطية يلتزم بها الساعي نحو الملء من الروح القدس أشد الإلتزام.

ولكن ما هي الوصية؟
(أ) هل الوصية **آيات نحفظها بعقلنا؟**
(ب) أم هي **مفهومات إلهية نتقن فهمها ومعرفتها؟**
(جـ) أم هي **سلوك نحاول بالجهد أن نتممه حسب الوصية؟**

ولكن لو تممنا كل هذا نجد أنه يعوزنا شيء...
يوجد شيء في الوصية أكثر من احتمال العقل والمعرفة والسلوك!... هو روح

---

(11) يو١٥: ٣.　　(12) رؤ١: ٣.

الوصية لأن الوصية روح!!

روح الوصية:

يستحيل أن نأخذ روح الوصية إلا عن طريق الروح القدس، ونحن لا نتعجب الآن بعد أن استمعنا لقول القديس أغسطينوس من أن الروح الذي فينا هو الذي يؤهلنا للملء منه.

فالروح القدس أولاً وآخراً منه نبدأ و به نمتلىء.

الروح القدس عرفناه من الكتاب المقدس ناراً إلهية ألقاها الرب على أرضنا وهو لا يريد إلا اضطرامها فينا!

أ ــ فإن أردت أن تقبل الوصية بعقلك:

اقبل الروح الذي فيها **كنار عقلية**، كلسان النار الذي استقر واستراح على رؤوس التلاميذ، فهذا هو روح الوصية الذي يحرق من عقلك شوائب الفكر والمنطق البشري السقيم حسب قياسات الناس فيجعل منطقك إلهياً بسيطاً حسب الوصية، وفكرك مسيحياً حسب فكر المسيح!! وهكذا يصير حفظك للوصية حسب الروح، وهذا يؤهلك للملء منه...

وفي هذا يقول القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات:

[توجد نار مطهِّرة جاء المسيح ليلقيها على الأرض، والمسيح نفسه نار عقلية يحرق فينا كل ما هو مادي وكل شوائب السلوك... هذه النار يلهبها و يشاء لو يضرمها على أقصاها، لأنه يتلهف لتطهيرنا وتقديسنا و يسعى إلى ذلك سعياً شديداً، و يقدمها «جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ومسّ بها فمي وقال إن هذه قد مست شفتيك فانتُزِعَ إثمك وكُفِّر عن خطيتك» [13]].

ب ــ وإن أردت أن تقبل الوصية كمفهوم إلهي تعرف به الحق:

فاقبل معها روح الحق، وروح الحق نار أيضاً تحرق من الإنسان الجبن والرعدة

---

(١٣) إش٦: ٦-٧.

والأخذ بالوجوه ومجاملات الناس ومديحهم في الوقت الذي ينبغي أن يُقال فيه «لا يحل لك» [١٤] و«أنت هو الرجل» [١٥]... الوصية كمفهوم إلهي لا تُحفظ إلا على أساس «طاعة الله أكثر من الناس» [١٦] و«فلو كنت بعد أرضي الناس لم أكن عبداً للمسيح» [١٧].

الوصية كمفهوم إلهي لا تُحفظ إلا على أساس «ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة، بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح» [١٨].

جـ- إن أردت أن تحفظ الوصية كسلوك:

فاقبل الروح المبكت الذي يبكت كل حين «على خطية» [١٩] لأنه يكون فيك كنار تحرق في الضمير وتسري في أعضائك لتبدد الشهوات الجانحة نحو الكبرياء والعجرفة والإعتداد بالذات والجنوح نحو الشهوات المفسدة.

روح الوصية في السلوك نار مبكِّتة لا تنحصر في الإنسان حتى تؤدبه بأدب الله وتمرره من تحت العصا، والذي لا يحتمل نار تبكيت الروح المحرقة عبثاً يكون حفظه للوصية، وهيهات إن هو رأى الملء.

وفي هذا يكلمنا القديس غريغوريوس بكلمات مبكتة لعلها تقع من القارىء موقعاً حسناً:

[ياإخوة طهروا أعضاءكم وحواسكم... ولا تبقوا فيكم عيباً بعد أن اعتمدتم وُولدتم جديداً... اجتهدوا أن تستنيروا ولا تتركوا فيكم شيئاً إلا وهو ينير.

عيونكم أنيروها لتستقيم أمامكم الرؤيا؛ انزعوا منها الزنا...

---

(١٤) مت ١٤: ٤.
(١٥) ٢صم ١٢: ٧ (ناثان النبي يوبخ داود).
(١٦) أع ٥: ٢٩.
(١٧) غل ١: ١٠.
(١٨) في ٣: ٧، ٨.
(١٩) يو ١٦: ٨.

آذانكم وألسنتكم أنيروها لكي إذا قرأتم أو سمعتم كلمة الله تفهموا المحبة... والمسرة والبهجة لا تستقر إلا في الأذن التقية.

لا تجعلوا لسانكم سيفاً يقطع في الناس وموسى يجرح، ولا تخفوا تحته الخصام والنزاع، فلم يُجعل اللسان لهذا بل ليلهج بحكمة الله و ينطق بالأسرار... والحكمة هي كرامة الألسنة التي مستها نار الله.

اشفوا حاسة الروائح... تضمخوا بالطين والتراب عوض العطور لتستطيعوا أن تتنسموا خفياً بالسر رائحة الطيب المقدس الذي أُهرق لنا على الصليب!... فتتحولوا أنتم بشبهه وتصيروا رائحة المسيح الزكية.

طهروا ملامس أيديكم وأبدانكم ومذاقة أفواهكم، لتلمسوا سراً وتذوقوا الرب وكلمته فتدوم لكم حواسكم وتدوم لكم سعادتها...

واعلموا أن لذة التراب لا تدوم، هي قصيرة وليس لها مجازاة...

وهي تعبر سريعاً ولا يبقى لصاحبها منها شيء!](٢٠).

السلوك كطريق:

روح الوصية هو تبكيت الروح القدس، هو نار، وهو طريق الملء، وهو طريق ضيق... لا يسير فيه إنسان طامع في الدنيا أو طامح لمركز و وظيفة أو مرتئي إلى أعلا من قامته.

تبكيت الروح القدس لا يعمل ولا يحرق إلا في انحصار المذلة، في النفس التي وضعت في نفسها حكم الموت لعلها تبلغ إلى قيامة أفضل...

الروح القدس يقود في السلوك:

الإنسان الساعي إلى الوصية بالروح القدس غير الإنسان الساعي إلى الفضيلة، فالأول سلَّم نفسه نهائياً لقيادة الروح القدس، أما الثاني فهو يسعى بنفسه، والإثنان

---

(20) St. Greg. Naz., *Oration XL*, N.&P.N.F., 2nd Ser., Vol. VII.

على نقيض، فالأول تجده ساقطاً من ذاته بسرور، هابطاً بتلقائية لذيذة غير متحفظة، أعدَّ نفسه إلى أقصى ما يبلغه الهبوط بالنفس حيث اللاشيئية والموات وغير الموجودية، حيث الله والملء!!

أما الثاني فهو مرتفع بذاته وإنما بطريق ملتوية، طامح في رفعة إرادية، أعد نفسه لها، مهما تمادى في هبوطه المصطنع ومهما تهاوى عن مستواه الذي يتمسك بما هو أرفع منه، حيث ملء الغرور وفراغ الذات الذي يرن كطبلة جوفاء.

* * *

التبكيت بالروح القدس هو روح الوصية وهو استسلام لأقصى ما يمكن أن يُصاب به الإنسان في سبيل تكميل الوصية، ولا يمكن أن يُصاب الإنسان في الدنيا بأكثر من الصليب! حيث ملء المجد.

روح الإتضاع الحق:

إذا وقع الإنسان تحت تبكيت الروح القدس واستسلم بغير تململ لفاعليته المحرقة بتجاربه المرة، فهو بالغ الإتضاع لا محالة، ولكنه اتضاع حق وليس كإتضاع السعي وراء الفضيلة، لأنه اتضاع لا ينزع إلى رفعة ولا إلى تعويض، بل هو فرح بالنزول بالنفس ثم النزول بها والنزول بها إلى مالانهاية!!

روح الطاعة الحقة:

إذا انصاع الإنسان لتبكيت الروح القدس بانفتاح ووعي أدرك تقدمه في طريق النور نحو مصدر النور مهما اكتوت رجلاه بنار التجربة. وهو بذلك الشعور بالغ الطاعة في حقيقتها، وعلى قياس المسيح «**تعلم الطاعة مما تألم به**» (٢١)، لأنه يستحيل أن يدرك الإنسان معنى الطاعة ويحققها على قياسها الإلهي كوصية الله ــ لا الناس ــ إذا لم يحس إحساساً صادقاً غاية الصدق أن طريقه يقترب كل يوم إلى الله وإلى الملء...

---

(٢١) عب ٥: ٨.

فالطاعة ليست عصابة تلطخ بها العينين ليسير الإنسان من ورائها سير الأعمى خلف إنسان آخر مهما كان هذا الآخر، فيسقط راضياً فيما يسقط فيه هذا الآخر، و يقوم مترضضاً بما يترضض به هذا الآخر، حاشا، ليست هذه وصية الله!

فالطاعة استجابة لنداء الله، وسير حثيث صوب هذا النداء بتلقائية الروح القدس الساكن في الإنسان، مهما تكلّف الإنسان في سيره ولو إلى جحد نفسه والدنيا وكل الناس.

والطاعة تزداد بالتجربة، وتنضج في الآلام، وتبلغ النهاية بالصليب **«تعلم الطاعة مما تألم به»**.

روح المحبة:

الوصية تقول أحبوا، أحبوا أعداءكم، ولكن كيف نحب الأعداء إن لم تمت وتتلاشى منا العداوة؟

روح الوصية نار، نار تحرق منا البغضة والعداوة والحقد. فإذا لم نأخذ روح الوصية ونستسلم لفاعليتها المحرقة لن نُشفى من مرض البغضة، ولن نبلغ المحبة و بالتالي لن نرى الملء! مهما كانت صلاتنا بصراخ ودموع.

إذا استسلم الإنسان لتبكيت الروح القدس انكشف له الموت الرابض بالعداوة في قلبه، واستُعلنت له الهاو ية وجهنم التي استقرت في أحشائه متأسسة على الحقد المستتر والنقمة والبغضة والإنتقام التي عشعشت في القلب على مدى العمر فمنعت النعمة وسدت الطريق على الروح القدس. والإنسان لاهٍ عن نفسه، و يطلب أن يمتلىء بالروح القدس وهو مملوء موتاً.

فإذا قبلنا روح الوصية أدركنا كيف نغلب الموت الذي فينا بالعداوة وحينئذ نبلغ المحبة. المحبة القائمة على أساس العرفان بفضل الناس جميعاً والأعداء بصورة أفضل وأهم، لأنهم يطببون كبرياءنا و يكشفون عوار قلوبنا.

روح الوصية هبة:

وروح الوصية هبة يعطيها الروح القدس للساعين نحو حفظها من قلب مستقيم، وبها نحفظ الوصية بالحب ونبلغ وعد الرب حيث ملء الروح القدس.

كلمة في ختام هذا الفصل:

وفي ختام هذا الفصل نؤكد للقارىء شدة الحاجة إلى الملء من الروح القدس بالصلاة القائمة على أساس الوفاء للإنجيل وحفظ الوصية.

فالروح القدس أُرسل «ليمكث فينا» إلى الأبد؛ ليكون لنا كما كان المسيح لتلاميذه وخواصه في رفقة وأُلفة وصُحبى إلهية!!

الروح القدس شيء وعطية الروح القدس شيء آخر.
ونحن نطلب الروح القدس شخصياً بالصلاة.

القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات يقول هكذا:
[إن الروح القدس الآن يسكن بشخصه في وسطنا و يستوضح نفسه لنا](٢٢).

وهذا هو غنى العهد الجديد وفضل انفتاح اللاهوت علينا بالمسيح.
فصار يغشانا الروح القدس ولا يلاشينا.
يملأنا و يظل مستتراً فينا.
يتشخص فينا بنفسه ولا يظهر إلا شخصنا.
ينطق فينا جهاراً ولا يُسمع إلا صوتنا.
كما يقول القديس باسيليوس:
[إن صوت الروح القدس يصبح هو نفس صوت الذين يتقبلونه](٢٣).

---

(22) Ibid., *Fifth Oration*, p. 326.

(23) St. Basil, *On the Holy Spirit*, N.&P.N.F., 2nd Ser., Vol. VIII, p. 36.

يرافقنا في كل لحظة ولا نُرى إلا وحدنا .
يهبنا معرفة كل الحق وكأننا نعرف من أنفسنا .
يحرر نفوسنا من قيود الدنيا وكأننا تحررنا بجهدنا .
يهبنا مشيئة الله ويحركنا بإرادة العلي وكأننا نشاء من أنفسنا .
يسكب نعمته في قلوبنا فنلتهب بالحب ونبذل حتى الدم وكأننا نحن الباذلون ونحن المحبون .

ولكن لا يأتينا الروح القدس ولا المسيح بشخصيهما إلا إذا عرفناهما أولاً بالكلمة ثم قبلنا طبيعتيهما فينا بالأسرار!

لأنه يلزم أن نكون ودعاء ليرافقنا الوديع .
يلزم أن نكون أحباء ليلازمنا الحبيب .
يلزم أن نكون مقدّسين لنلازم القدوس .
يلزم أن نكون حارين بالروح لنحتمل سكنى الروح الناري .

وها نحن قبلنا في صميم طبيعتنا نار الروح القدس بالمعمودية والأسرار، وما بقى علينا إلا أن نقبل اشتعال النار الإلهية فينا ، لنصير لائقين لرفقة الروح القدس .

* * *

نحن بالكلمة نتعرف على ذات الله... وبالأسرار نشترك في طبيعة الله . وبالصلاة نحب الله ونسير مع أقانيمه .

* * *

في الكلمة يعمل الإيمان .
في الأسرار يعمل الرجاء .
في الصلاة يعمل الحب .
وبالثلاثة تتم وحدة الملء ، تكمل الشركة في اللاهوت ، نبلغ الإتحاد بالله .

* * *

ليس من الهيِّن اقتناء الروح القدس. ليس بمجرد الصلاة يمكن أن نتصادق معه، ولا بالسؤال الشديد يمكن مرافقته.

يجب أن نلتزم التعقل في هذا الطلب المقدس، هو من حقنا ولكن يلزم أن نتمم درجاته ونوفي حقوقه، كما قدمناها.

فإذا أغفلنا شيئاً منها فلا نظن أننا نصل إلى الملء، ولو صرفنا العمر كله في السؤال.

أما إذا أكملنا مطالب الكلمة والأسرار وانسكبنا بالصلاة وعكفنا على تقديس هياكلنا بالخضوع لفاعلية الروح القدس وتبكيته، فلا يعود أمامنا إلا أن نمتلىء منه بالحب.

* * *

وها نحن نضع أمام القارىء دعوة للملء يقدمها لنا كل من القديس أنبا أنطونيوس والقديس أنبا مقار يوس الكبير:

[هذا الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا، اقبلوه أنتم أيضاً، أما إذا أردتم أن تقبلوه و يسكن فيكم فقدموا أولاً أتعاب الجسد وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء في الليل والنهار، واطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري وحينئذ يعطى لكم بالصلاة...

ولا تفكروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين وتقولوا من يقدر أن يقبل هذا... لا ياأولادي، لا تدعوا هذه الأفكار تخطر على قلوبكم، بل اطلبوه باستقامة قلب فتنالوه،... وأنا أيضاً أبوكم أجتهد معكم وأطلب لأجلكم أن تنالوه، لأني عارف أنكم كاملون وقادرون على نواله، لأن كل من يفلِّح ذاته بهذه الفلاحة فإن الروح يُعطىَ له كل حين وإلى الأبد. وهو يكشف لكم الأسرار العلو ية](٢٤).

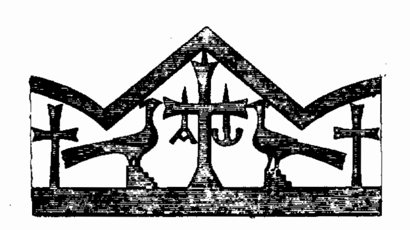
القديس أنبا أنطونيوس

---

(٢٤) كتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية ص١٧٧، ١٧٨.

[إن قوة نعمة الله في الإنسان عندما تحسب النفس أمينة لقبول الحكمة، تعدُّها لنوالها بعد جهاد عظيم وصبر كثير وتجارب منوعة لإختبار إرادتها، فإذا احتملت النفس ولم تحزن الروح القدس وكانت موافقة له فإنها تحسب حينئذ أهلاً لأن تطلق من شدائدها لتنال ملء الروح القدس وغنى الحكمة التي ليست من هذا العالم] (٢٥).

القديس مقاريوس الكبير



(٢٥) حياة الصلاة الأرثوذكسية الطبعة الثانية ص٢٥٦.

الفصل الثالث

عوائق الحلول والإمتلاء من الروح القدس

لما دخلت المسيحية إلى العالم هتفت الملائكة بنشيد المجد لله والفرح للناس والسلام للأرض...

ولكن قليلاً قليلاً دخل العالم في كيان المسيحية فقلّ تمجيد الله في قلوب الناس وانحبس الفرح الحقيقي وضعف السلام على الأرض...

كيف دخل العالم في كيان المسيحية؟ هذا ما نعرض له في هذا الفصل بكثير من الإختصار...

أولاً: المادية في المسيحية

المسيحية حياة روحية على مستوى عملي كما رأيناها في عصورها الأولى وفي كل عصورها الناهضة، فإن هي جنحت نحو المادية فقدت قوتها، لأن قوتها الروح القدس.

الروح القدس أو المادة!! اختر لنفسك واحداً منهما.

* * *

المسيحية الآن جنحت وراء المادة، وهذا هو سر انحصار الروح القدس وانعزاله عن حياة الناس!!

ولكن ما هي المادية؟

المادية في المسيحية هي هكذا:

١ ـ الإعتماد على المال:

لتوفير مستقبل مضمون، وحل المشكلات المستعصية على مستوى الرشوة؟؟؟

توفير مستقبل مضمون أو «تأمين» المستقبل، وحل المشكلات المستعصية هو من عمل الروح القدس! فإن أنت اعتمدت على المال فلا تطلب ياأخي الإمتلاء من الروح القدس، ولا تتأسف على ضعف الكنيسة فقد وضعنا السر بين يديك.

٢ ـ الإعتماد على القوة:

لتأمين **المنفعة والكرامة وحفظ هيبة الإنسان!!**

فإن استخدمت قوتك في هذه الميادين فلماذا تطلب الروح القدس؟

الروح القدس هو قوة **المظلومين** والذين **بلا كرامة والمزدرى بهم.**

٣ ـ الإعتماد على السياسة والدهاء:

لتأمين الحقوق من الضياع واكتساب فرص جديدة في الحياة.

هذا ضد وصية الإنجيل، فإن كنت تسلك ضد الإنجيل فلا تظن أنك في المسيح ولا ترتجِ نمواً ولا ملئاً بالروح.

٤ ــ الإلتجاء إلى الملذات:

للتسلية و«العزاء» المصطنع وتأمين النفس ضد رؤية ذاتها.

الروح القدس يدعى «بالمعزّي»، وعمله هو حفظ توازن سلام الإنسان وراحته الداخلية تجاه ضيقات وأتعاب النفس والجسد.

إذا طلبت التعزية من غير «المعزّي» فأنت تتجاهل اختصاص الروح القدس.

٥ ــ الجنوح إلى الزنا:

هرباً من واقع الجهاد وتأمين الذات ضد الخوف من العزلة.

المسيحية واقعها جهاد ضد النفس وجحد لشهوات الذات، وهي بالروح القدس عطاء وانسكاب وبذل.

فإذا هربنا من الجهاد هرب منا الروح، وإذا خفنا العزلة، كيف نبلغ إلى العشرة مع الروح القدس.

٦ ــ تفشي روح الحسد والبغضة والغيرة والتحزب:

هذه هي الحيوانية في الإنسانية، هذه هي رؤوس التنانين التي تطفو على وجه النفس لتثبت للإنسان علناً أنه لا يزال يحيا حيوانياً ولا يزال يعيش في الإنسان العتيق.

* * *

الإنسان الذي يكتشف في نفسه شيئاً من هذه المادية العالمية، ليعلم أنه لا يزال يعيش في واقعية الدنيا الميتة، ينساب مع تياراتها الطبيعية كإحدى الخلائق غير الروحانية.

نحن مدعوون من قِبَل الروح القدس أن لا ننساب في مستويات العصر ونحيا فيها كما هي بحالتها الواقعية و بدون فحص.

* * *

الروح القدس هو القوة التوازنية التي تحفظ مستوى الإنسان روحياً وهو في صميم واقع الدنيا المادية!

الروح القدس سند للإنسان في جهاده تجاه واقع الحياة والجسد وكل القوى والدوافع الغامضة المنسابة في العالم وفي الجسد.

هو يدفع الإنسان إلى الأمام وفي نفس الوقت إلى فوق، حتى لا يتخلف عن ركب الحياة من جهة، ومن جهة أخرى لا ينحط فيغرق في لجة العصر وتياراته المادية المهلكة.

فهو يعبر بالإنسان باستمرار — وعلى درجات متقاربة جداً — من واقعه المادي إلى مستقبله الروحي.

* * *

الروح القدس لا يحول الإنسان إلى روح محض ولا يلغي المادة، وإنما يجدد نظرتنا، و يعدِّل غايتنا، ويحوِّل طريقنا من المستوى المادي المحض إلى المستوى الروحي في استخدام غرائزنا وعواطفنا ومواهبنا، من الإحساس المقفل بالحاضر المادي إلى إحساس منفتح وممتد في المستقبل.

* * *

و بدون الروح القدس يُحتمل وقوع الإنسان في إحدى هاويتين: إما هاوية الإعتماد الكلي الشديد على المادة والقوة والذكاء والغريزة لتأمين حياة الإنسان حسب واقع الحاضر، وإما هاوية اليأس الكلي الشديد من قيمة المادة والقوة والذكاء والغريزة حيث يقف الإنسان وسط ركب الدنيا و يسقط في بالوعة اليأس.

* * *

ولكن الروح القدس يمسك بالإنسان ليعبر به هاتين الهاويتين، فبالنسبة للأولى

يفتح بصيرة الإنسان **لواقع المستقبل وحقيقة الروح** وحينئذ ينكشف له آن المادة ليست كل شيء، ولا بالقوة والقدرة يحيا الإنسان، ولا الذكاء يقدر أن يجنِّب الإنسان مزالق الطريق.

وبالنسبة للثانية يفتح بصيرة الإنسان **للحاضر كأساس لبلوغ المستقبل** ويكشف له **حقيقة المادة أنها وسيلة طيّعة للإرتقاء إلى الروح**، وأنها **حقيقة الحاضر** الذي نحياه وإن كانت ليست حقيقة المستقبل الذي نزحف إليه!

الإنسان بكيانه المادي يميل إلى أن ينحصر في الحاضر، لذلك فهو معرضٌ للسقوط من المستقبل.

كذلك فإن الإنسان بكيانه الروحاني، يميل إلى أن ينحصر في المستقبل، لذلك فهو معرضٌ للسقوط من الحاضر.

عمل الروح القدس أن يحقق للإنسان مستقبله في حاضره، لأن الروح القدس هو نفسه حقيقة الحاضر والمستقبل معاً.

ففي الحاضر يعلن للإنسان حقيقة المادة أنها نافعة ولائقة للحياة الحاضرة، إذ هو الأقنوم الإلهي الخالق لها مع الآب والإبن.

كما أنه يعلن لنا المستقبل من صميم حاضرنا، فهو لا يزال يعمل فينا بكافة الوسائل ليرفعنا من مستوى المادة والحاضر إلى الإحساس بالمستقبل لنمتد نحوه باستمرار حتى لا نموت في حاضرنا المادي.

عصر الكنيسة الآن هو عصر الإنتقال من المادية إلى الروحانية، هو عصر الروح القدس!

ولكن للأسف فالكنيسة تميل الآن إلى الإنتقال من الروحانية الموروثة إلى المادية الحديثة!! و ياللخطورة لأنها تتخلف قليلاً قليلاً عن مجال الروح القدس.

* * *

ثانياً: الشكلية في المسيحية

هناك ميل واضح بين المؤمنين لإستبدال الإتصال المباشر بالروح القدس من خلال الإيمان والعقيدة والطقس والأسرار والصلوات إلى الإكتفاء بشكليات هذه الوسائط...

مع أننا مدعوون إلى الإتصال بالروح القدس لنوال قوته وعطاياه وتعزياته من خلال الطقوس والصلوات والأسرار.

فإذا لم نبلغ هذه الغاية فقدت الطقوس والصلوات والأسرار غايتها!

* * *

الشيطان لا يترصدنا في الشوارع فقط أو في الأماكن العامة أو في وسائل المواصلات، بل هو يتعقبنا في الكنيسة وفي الصلاة وفي الأسرار وفي القراءة والخدمة، حتى في أعماق إيماننا وعقيدتنا. ألم يقل الكتاب عنه أنه يستطيع أن يتراءى كملاك نور(١)!!؟ وأنه يضلّ ولو أمكن المختارين أيضاً(٢)؟...

وأصعب ضربة يسددها إلى الكنيسة وإلى المؤمنين الأتقياء هي أن يجعلهم مكتفين بشكليات الديانة ومراسيم الطقس، ويقف بهم عند حدود راحة النفس بعد تكميل الصلاة أو الخدمة.

مع أن هذه كلها لابد أن تنتهي بانفعال ونمو ونعمة فوق نعمة. وكل تكرار في الصلاة أو ممارسة الأسرار بدون نمو وبدون أخذ في كل مرة، هو تكرار باطل كما قال الرب: «لا تكرروا الكلام باطلاً»(٣).

---

(١) ٢كو١١: ١٤. (٢) مر١٣: ٢٢. (٣) مت٦: ٧.

المسيحية ليست فيها شكليات البتة، فالشكليات في المسيحية هي حقائق وحقيقتها هي الروح القدس، لذلك يلزم أن تنتهي بعطاء ونعمة. يلزم أن نواجه فيها لمسة الروح، ونخرج منها كل مرة بغنائم.

هي ليست طريقاً دائرياً يعود كل مرة على ذي بدء، بل هي طريق مستقيم صاعدٌ بالإنسان.

الشيطان يترصدنا حتى لا نمتد أو نصعد. هو يمنعنا أن نبدأ، فإذا بدأنا، يحاول أن يمنعنا. فإذا سرنا، فإنه يدور بنا حتى نعود دائماً إلى حيث ابتدأنا و يوهمنا أننا سائرون!

الروح القدس ليس فيه شبه «ظل دوران» (٤).

فالذي يسير بالروح القدس لابد أن يصعد، لابد أن يتغير «من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٥).

ولنحذر دائماً أن الأشياء التي نهتم بها ونقدسها جداً و يتعلق بها قلبنا هي هي نفسها معرَّضة لغش الشيطان وإفساد غايتنا منها، حتى ولو كانت هي حبنا للكنيسة أو العقيدة أو الطقس أو الكتاب المقدس أو القديسين أو الألحان أو الصلاة نفسها... فإن الشيطان يحاول أن ننحصر فيها شكلياً دون أن نمتد فيها حتى نبلغ بها إلى الله وإلى العشرة معه فيها.

* * *

---

(٤) يع ١: ١٧.

(٥) ٢ كو ٣: ١٨.

ثالثاً: الآلية في المسيحية

لا نقصد بالآلية استخدام الآلات، وإنما نقصد استخدام الطرق غير الروحية على وجه العموم في الخدمة والكرازة والنشاط الروحي.

فالكنيسة ابتدأت تستخدم أساليب عالمية تعتمد على العقل وحيل النفس و«التكتيك» و«التخطيط» وبقية الأسماء والمصطلحات الخلابة الأخرى.

الكنيسة لا تعرف في طرق الخدمة والكرازة والنشاط إلا الإعتماد الكلي على إرشاد الروح القدس وتوجيهاته وتدخُّله الشخصي ومرافقته وحثه للقلوب وإقناعه للناس ومحاماته وتشجيعاته، وتكميله عجز المنطق البشري وعجز القوة وعجز المال.

فالروح القدس يقود الخدمة بشخصه، وهو كفيل بالثمر على قدر الإعتماد عليه.

وأية محاولة للإعتماد على الآلية العقلية أو النفسية أو التكتيك العلمي أو وضع الخطط هو بمثابة الإستغناء الجزئي عن الروح القدس والإعتقاد بعدم كفايته!

ويكفي للقارىء أن يعرف أن أنجح الخدام والرسل والكارزين، سواء كانوا في العصور الأولى أو الحديثة، هم الذين ألقوا بكل وسائل العقل والمادة والقدرة والإعتماد على الناس والسلطات، واكتفوا بقوة ومؤازرة الروح القدس في إيمان شديد، وكانت لهم به صحبة ودراية ومحبة.

كذلك ليعلم القارىء أن بدء ظهور الآلية العقلية والتكتيك والتخطيط هو نفسه بدء انسحاب الروح القدس من الخدمة.

فإن كانت الخدمة متوعكة والخدام شبه عاطلين روحياً والرعية متبددة والكنيسة في ركود مزعج ومميت، فبسبب الإستغناء عن الروح القدس بوسائل أخرى.

الروح القدس بداية ونهاية، وكل بداية لا تبتدىء به تنتهي حتماً خارجاً عنه.

رابعاً: الدعاية في المسيحية

١ ــ دعاية الأشخاص:

لقد رذلها السيد المسيح جداً: «لا تصوِّت قدامك بالبوق»(١) !...

الدعاية بأي شكل من أشكالها لا تدخل ضمن حق المسيح ورزانة الروح القدس، هي مضافة جملة إلى أفعال الرياء «كما يفعل المراؤون»(٢).

وإن كانت الدعاية لشخص ما، مهما كان هذا الشخص فهي سلب لمجد الله «لكي يمجَّدوا من الناس»(٣). هي ريائية مكشوفة، وهي منتهى ما تبلغه الشخصية المسيحية من الإنحدار في مستويات الفهم الروحي.

المسيحية لا تعرف الإعلان عن كرامات الناس «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض»(٤).

المسيحية لا تعرف كرامة لإنسان ما خارج الصليب، وكرامة الإنسان صليبه إن كان يحمله حسناً.

كرامة المسيح ومجده كانت فضيحة الصليب، فقد قيل عن صلبه هكذا: «لأنه لم يكن قد مُجِّد بعد»(٥) وألا يكفي العبد أن يكون كسيده(*) ؟؟

الروح القدس يأخذ مما للمسيح و يعطي الذين هم للمسيح! فإن زاغت النفس عن مرّ الصليب وهامت وراء حلاوة الكرامة وارتاحت إلى صوت الأبواق «لكي ينظروكم»(٦) ينحصر عنها الروح القدس إذ لا يجد فيها راحته لأن الروح القدس لا يرتاح إلا في مديح المسيح: «ذاك يمجدني»(٧) !

---

(١) مت ٦ : ٢.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) يو ٥ : ٤٤.
(٥) يو ٧ : ٣٩.
(*) مت ١٠ : ٢٥.
(٦) مت ٦ : ١.
(٧) يو ١٦ : ١٤.

الروح القدس يقود النفس بحذر حتى يوصلها إلى الصليب لتأخذ أجرها من عليه من أعماق نكران الذات ومن صميم الألم فتنال قيامتها سراً مع المسيح والظلام باق!!

الروح القدس لا يعمل في النفوس علانية ولا على أصوات الأبواق ولا من تحت الألقاب ولا في ضجيج الدعاية للأشخاص.

الروح القدس وديع كالحمامة ومحرق كلسان النار!!
يستقر و يستريح على الرؤوس المنحنية ويحرق و يبدد كبرياء الإنسان.

٢ ــ دعاية الخدمة:

الدعاية الوحيدة للخدمة هي فاعلية الكلمة في القلوب.

الروح القدس هو الذي يمجد الخدمة و يعلن عنها باستعلانه هو شخصياً في قلب المتكلم وفي قلوب السامعين.

فلا الإعلانات ولا البيانات ولا الأرقام تستطيع أن تجعل الخدمة ناجحة أو تؤثر في قلوب الناس أو تستدر الروح القدس أو تقنعه أن يعمل و يباشر سلطانه.

الإعداد للخدمة غير الإعلان عنها، فإعداد القلوب لسماع الكلمة هو عمل هام وخطير لنجاح الخدمة، ولا يتم إلا بانسحاق المتكلمين وفي هدوء شديد واتضاع.

نجاح الخدمة ليس في شهرة المتكلمين وأسمائهم وألقابهم، ولا حتى في عدد الحاضرين أو النادمين.

وإنما نجاح الخدمة يتوقف على مدى استعلان الصليب في حياة المتكلم ومدى استعلان الصليب للسامع.

فإذا استُعلنت قوة الصليب وصار المسيح ظاهراً في سر آلامه وقيامته، حينئذ ينجذب الجميع بلا إعلان.

ولنذكر ما قاله الرب، لأن فيه كل قوة إلهام الخدمة الناجحة: «وأنا إن ارتفعت

عن الأرض (مشيراً إلى الصليب) أجذب إليَّ الجميع»[٨].

إذن فبقدر ما يُستعلن الرب هكذا مرفوعاً على الصليب فسوف ينجذب الجميع!! ولكن الرب لا يُستعلن بالكلام بقدر ما يُستعلن بالروح القدس العامل في حياة القادة والمتكلمين.

الإعلانات الحديثة المغموز فيها عن مقدرة المتكلمين وشهاداتهم وألقابهم نوع من الإصطياد المزيف، وهي شبكة واهية، خيوطها بشرية عقلية كاذبة، وعيونها واسعة لا تحبس إلا الأسماك التافهة، فإذا طرحتها على الناس لا يلبث أن يمزقها الناس وينفلتون ولا يعودون، ولا تعود شبكتك تصلح للصيد!

الرب صياد ماهر، علَّم صيادي السمك صُنع الشباك الروحية «هلم ورائي فأجعلكما صيادي الناس»[٩]... «أتحبني؟ إرع غنمي!!»[١٠].

شبكة الروح القدس خيوطها مغزولة بالحب، عيونها دقيقة مخفي فيها سر الصليب ولا تتسرب منها إلا الأسماك الردية!...

والصياد الماهر حينما يطرح شبكته الثمينة يطرحها من فوق من السماء بقوة سرية بإلهام الروح لا بمقدرة الذراعين والمنطق، هو «يرتفع عن الأرض» ليطرحها من فوق الصليب وحينئذ «يجذب إليه الجميع» بسلطان!

أما «الذي من الأرض أرضي هو، ومن الأرض يتكلم»[١١]؛ والدعاية كلام من الأرض.

*

(٨) يو١٢: ٣٢.   (٩) مت٤: ١٩.
(١٠) يو٢١: ١٥–١٧.   (١١) يو٣: ٣١.

خامساً: الإحتكارية في المسيحية

الروح القدس صاحب السلطة في الخدمة، وليس لأحد أن يدَّعي لنفسه السلطة المطلقة، لأنه وإن كان الروح يعطي سلطانه للخدام والكنيسة ولكنه لا يتنازل عنه ولا يفقده.

الروح القدس لا يسلِّم منصبه لآخر، «هو يعلمكم كل شيء» (١).
هو يعطي السلطة لمن يستحقها ولكنه لا يتخلى عنها كأنه غير موجود.
الأرثوذكسية لا تؤمن ولا تحيا بالأوتوقراطية الدينية...
الأرثوذكسية ديموقراطية إلهية = «عمانوئيل» الله معنا...

كل الدرجات الكهنوتية في الكنيسة تتم بالإختيار الحر، والإختيار نفسه هو تعبير عن الحرية في الأرثوذكسية، والحرية تعبير عن عمل الروح القدس لأنه «حيث روح الرب فهناك حرية» (٢).

الأرثوذكسية لا تؤمن بالعصمة الشخصية للرؤساء ولا للقديسين، لأنها تدرك أن هذا افتئات على الروح القدس الموجود والعامل في الكنيسة بصورة شخصية حية.

إذا انحل الكاهن في حياته الشخصية الداخلية يفقد مؤازرة الروح القدس له في حياته الخاصة، ولكنه يبقى عاملاً بسلطانه.

أما إذا تصلَّف الكاهن وادعى لنفسه العصمة وتمسك برأيه وهو يعلم بأنه على خطأ فإنه يفقد مؤازرة الروح القدس في حياته الخاصة والعامة. وقصة شاول الملك تنطق بذلك.

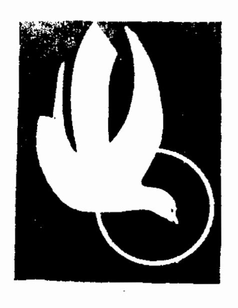
---

(١) يو١٤: ٢٦.　　(٢) ٢ كو٣: ١٧.

وليس الكهنوت فقط هو المعرض لفقدان مؤازرة الروح القدس، بل كل خادم وكل مؤمن يدّعي العصمة في تفكيره أو في سيرته أو في كتابته أو في خدمته، يقع دون أن يدري في خطية احتكار وظيفة الروح القدس و ينسى أنه في «أشياء كثيرة نعثر جميعنا» (٣).

والنتيجة هي تخلية الروح القدس عن ذلك الخادم فتتدهور حياته و ينطفىء نوره مهما حاول الظهور باحتفاظه بمركزه...

الروح القدس مسرته أن يعمل معنا لأنه يستريح في الخدمة حيث يشهد للمسيح كما نشهد نحن: «**هو** يشهد لي. **وتشهدون أنتم** أيضاً» (٤).



---

(٣) يع ٣ : ٢.

(٤) يو ١٥ : ٢٦، ٢٧.

سادساً: الإستيلائية في المسيحية

١ ـ عطاء الفرد:

المسيحية أخذ وعطاء،... ولكن على المستوى الروحي.

الأخذ يكون من الله والعطاء للناس... «من آمن بي تجري من بطنه أنهار ماء حي» (١).

ولكن لا الأخذ ولا العطاء هما على صعيد الذات، فالآخذ لا يأخذ لنفسه، وأخذه لا يزيده إلا إنكاراً لذاته وتنازلاً عما له «لكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة» (٢). فإذا كمل أخذه من الله كمل إخلاؤه لذاته وصار صالحاً لأن يعطي الناس ما أخذه من عند الله.

والمعطي لا يعطي مما له إذ ليس لنا ما نعطيه.

لا يمكن أن تكمل المسيحية إلا على أساس الأخذ والعطاء.

الروح القدس هو عطية الله للناس، وكل مواهبنا وإمكانياتنا وكل ثمار المسيحية هي من الروح القدس.

ولكن الله لم يعطِ الروح القدس لينحبس في بطون الناس «من آمن بي تجري من بطنه أنهار ماء حي»...

الإستيلائية هي أن نأخذ الروح القدس ثم نحبسه في بطوننا والروح القدس لا ينحبس قط و«كلمة الله لا تقيَّد» (٣)، فهو إما يتفجر في النفس ليخرج مثل أنهار ماء، وإما يجف ينبوعه في النفس فتصير النفس إلى حالة قحط شديد وموات.

اسمع ما يقوله القديس أغسطينوس في هذا الأمر:

---

(١) يو٧: ٣٨.   (٢) في٣: ٧.   (٣) ٢تي٢: ٩.

[إذا ظن إنسان أن ما يشربه هو لنفسه ولراحته فإنه لن تجري من بطنه أنهار ماء حي، أما إذا سعى للعطاء فإنه لن يجف ينبوعه لأن الفيضان يضمن سلامة الينبوع](٤).

لا يمكن أن يتم الأخذ إلا بالعطش: «إن عطش أحد» (٥).

كذلك لا يمكن العطاء إلا بعد ارتواء: «من آمن بي تجري من بطنه أنهار».

الإرتواء الروحي هو حالة إيمان بلغ إلى درجة الحب، أي حصل على انسكاب الروح القدس في القلب.

وحينما يرتوي الإنسان بحب المسيح وتستقر المحبة في بطنه لا يطيق نفسه، فالمحبة الإلهية يستحيل أن تبقى عاطلة، لابد أن تعمل عملها وعمل المحبة الأول هو الفدية.

الإنسان إذا امتلأ محبة لا يهدأ حتى يكمل الفدية، وفداء المحبة عطاء بلا حدود، عطاء مجنون يكاد فيه الإنسان و يود لو ينذبح من أجل خلاص الناس.

وحينما يدخل الإنسان في درجة عطاء صحيحة من هذا النوع يدخل في سر الروح القدس و يدخل في نور الصليب.

الذي يخفق أن يفهم ضرورة العطاء في المسيحية و يتوه عن الصلة التي تربط الأخذ بالعطاء، هو في حالة تغرب عن حقيقة الروح القدس.

فالروح القدس يكوِّن معنى العطية في المسيحية!
الروح القدس نفسه هو عطية الآب لنا.
الذي يأخذ الروح القدس يأخذ قوة العطاء.
والذي يحيا بالروح يحيا في عطاء مستمر.

---

(4) St. August., N.&P.N.F., Tr. XXXII

(٥) يو ٧: ٣٧.

ولا يستطيع أحد أن يحيا في الروح القدس ولا يعطي.

٢ ــ عطاء الكنيسة:

ليس الفرد وحده هو المطالَب بقانون الأخذ والعطاء في المسيحية، فكل الجماعة مطالَبة.

الكرازة قائمة أساساً على قانون الأخذ والعطاء «مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا»(٦).

العطية لا يقف في سبيلها عائق. والذي يعطي بشرطٍ، لا يأخذ.

والكنيسة إذا أخذت ولم تعطِ، تحكم على نفسها بالإنغلاق و ينحبس عنها الروح القدس. «و يل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة. ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم»(٧).

الكرازة ليست أخذاً بل عطاءً، الكنيسة تعطي نفسها وتبذل كل ما عندها ولا تشترط في بذلها وعطائها إلا أن يأخذ الجميع مجاناً...

الراعي يجري وراء الخروف الضال، ينسى نفسه، ينسى كرامته، ينسى راحته، ينسى رزانته، يجري وراء الخروف الواحد حتى ولو أصابه في ذلك صليب...

إن تقاعد الراعي وطلب راحة نفسه واحتفظ بكرامته فليس الخروف الضال هو الذي سيضيع بل والخروف الرابض في الحظيرة تأتى الذئاب لتخطفه... «حتى يضلوا لو أمكن المختار ين أيضاً»(٨).

الراعي الذي لا يبذل نفسه يحكم على نفسه أنه غر يب عن الروح القدس، فالروح القدس ليس روح تقاعد بل روح عطاء و بذل وفدية...

---

(٦) مت ١٠: ٨. (٧) لو١١: ٥٢. (٨) مت ٢٤: ٢٤.

سابعاً: الإنفصالية في المسيحية

الروح القدس يجمّع و يوحّد.
إذا لم تخضع النفس للروح القدس يستحيل أن تنجمع أو تتحد بنفس أخرى.

ليس في المسيحية انفصالية أو فردية، الكنيسة جماعة والجماعة وحدة جسد وروح. الكنيسة كلها عروس واحدة.

الإنسان في الروح القدس يتنازل عن فرديته و ينجمع بالآخرين بفعل المحبة، والمحبة تنسكب دائماً من الروح القدس في القلب المفتوح للآخرين!

إذا انقفل قلب إنسان في وجه إنسان ما انقطع عنه تيار الحب الآتي من الروح القدس وتوقف عنه عطف الله.
وكلما باشرنا فعل المحبة اتسع قلبنا بالأكثر واكتسبنا عطف الله، المحبة انفتاح، وهي قوة تجميع، والفردية الإنفصالية عداوة وتنافر.

التحزُّب روح فردية في صورة جماعية وهو انفصالية على مستوى متسع!

ليس في المسيحية فردية شخصية ولا انفصالية جماعية، فالمسيحية عدوة التحزب لأنها حب، والحب انفتاح للتجميع.
والكنيسة تسعى للملء، والملء لا يتم إلا بالإنفتاح الكلي.

انفتاح الفرد بالحب للآخرين شهادة على بلوغه كمال المسيحية وانفتاحه بالحب للأعداء شهادة على بلوغه ملء قامة المسيح.

الله أخلى نفسه ليتحد بجسم بشريتنا، وإخلاء الله لذاته كان قوة ولم يكن ضعفاً، وكان فعلاً إلهياً!

فالإخلاء برهان المقدرة في صورتها المتضعة، وتكميله هو فاعلية المحبة، وغايته هو الإتحاد بالأضعف، ووسيلته تنازل الأعلا لقبول الأدنى!!

إن لم يباشر الإنسان فعل الإخلاء، يستحيل عليه أن يتحد بآخر.
وإذا لم تباشر الكنيسة فعل الإخلاء، فلن تبلغ إلى الملء.

الإخلاء يبدأ كأنه ذِلّة، كأنه استجداء، كأنه عبودية، كأنه ضياع، ولكنه ينتهي حتماً بالمجد و يبلغ إلى الملء.

ليس في الإخلاء فقدان ما على الإطلاق، فالمعطائية ليست فقداناً على أي وجه، فالذي يعطي يزداد ومغبوط هو العطاء لأنه فعل الله.

يستحيل أن يتقابل إنسانان في الروح القدس على سبيل الإتحاد، إلا إن كان فيهما واحد على الأقل قد أخلى نفسه!

يستحيل أن تتقابل كنيستان لتتحدا على قياس الجسد الواحد، إلا إذا كانت واحدة فيهما قد بلغت إلى درجة الإخلاء.
والإخلاء بالنهاية هو حالة ملء بالروح القدس.



ثامناً: الإنغلاقية التصوفية

التصوفية غير المسيحية محورها فناء الإنسان في الله.
أما التصوفية المسيحية فهي تحقيق وجود الإنسان في الله!

الإنسان الصوفي غير المسيحي يسعى ليتحد بالله وذلك بطريقين:
الأول: بأن يجعل نفسه طريقاً يصعد بها، بالتقشف الشديد والإماتة ليبلغ بها حد الألوهة.
الثاني: بأن يخرج عن نفسه ليهيم في عشق مبهم نحو الله الواحد البعيد غير المدرك.

وكلا الحالتين تيه، فالإنسان والله يستحيل أن يتحدا بغير وسيط.

وكلا الحالتين إنكار شديد لمعنى الإنسانية، إذ تعتبر الإنسانية في نظر هذين المنهجين غير المسيحيين كأنها لا تستحق الوجود كما هي، و يلزم أن تتلاشى في الله.
و بالتالي فهذان المنهجان هما تصوفية تشاؤمية ليس فيها فرح تحقيق الوجود الإنساني.

فالإنسان موجود إلهي، كلما حقق وجوده في الله كلما اكتمل فرحه.

غير أن هذين المنهجين لا يخلوان من فرحة كاذبة هي فرحة التغلُّب على الذات، وهذا في الواقع نوع من تأليه «الأنا».

فالتقشف والنسك الشديد إذا لم يصحبها فرحة تحقيق وجود الإنسان في الله بالإتحاد الحقيقي، فإنها يصيران منهجاً لتقديس «الأنا» والوصول بها إلى درجة الإعتداد والألوهة، وهذه الحالة تنشىء حالة فرح كاذب وغبطة خادعة.

ولماذا نحن نقدم هذه التقدمة بالتصوف غير المسيحي؟ نود لو نقول كلمة صريحة ومُرّة، وهي أن الحياة التصوفية في المسيحية في بعض العصور دخلتها عناصر غريبة،

تستمد جذورها من التصوفات الأخرى، تعطل النمو والإمتلاء من الروح القدس وتمنع حالة الوصول.

أما التصوفية المسيحية فهي ليست سعياً بالنفس ولا سعياً خارج النفس لبلوغ الإتحاد بالله.

وطريقها ليس قائماً أساساً على التقشف الذاتى ولا الإماتة، وإن كانت لا تخلو من هذه المناهج على الطريق.

الطريق التصوفي في المسيحية لا يقوم على الذات أصلاً، فالإتحاد بالله يتم بوسيط هو الرب يسوع.

الرب يسوع هو موحِّد الإنسانية بالألوهية في شخصه، فهو الوسيط الوحيد بين الله والناس(١).

والإتحاد السري في المسيح هو الذي يجعلنا في الله متحدين.

الإتحاد بالرب يسوع قائم على أساس موت البشرية العتيقة فينا، وهنا فقط يدخل المنهج التصوفي كطريق مكمل لعمل إماتة الإنسان العتيق فقط.

ولكن يخطىء أشد الخطأ من يفهم أن التصوفية المسيحية هي إماتة الإنسانية في معناها الكلي، فهذه هي الإنغلاقية المميتة التي تقعد بالمتصوف عن أن يبلغ الإتحاد الواقعي بالله في شخص يسوع المسيح.

إذن فالتصوفية المسيحية لا تلغي قيمة الإنسانية حتى في وضعها الجسدي، ولا تسعى لملاشاة الغرائز والإنفعالات الإنسانية الطبيعية، بل تكتفي **بتجديدها** وتقف عند حدود استخدامها استخداماً سوياً لمجد الله وخير الإنسان، هي تلاشي صورتها العتيقة الفاسدة وتكسبها وضعها الأصيل غير الفاسد استعداداً للقيامة العتيدة...

التصوفية المسيحية منهج خلاصي أصيل يبلغ بالإنسان إلى حالة تُهيِّئه للإتحاد

---

(١) ١تى ٢: ٥.

بالله.

غاية الطريق التصوفي في المسيحية هي بلوغ حالة التجديد البشري وتحقيقه للإنسان تحقيقاً واقعياً ملموساً حيث يبلغ المتصوف غايته السعيدة بالإتحاد بالله على الطريق.

التصوفية المسيحية منهج اتحادي بالله على الطريق. والطريق التصوفي يبدأ مباشرة ومن أول خطوة بانفتاح القلب والوجدان والذهن لعمل الروح القدس، سعياً للإتحاد بالله في بساطة الإيمان بالرب يسوع.

والفرق بين طريق التصوف في المسيحية وفي غير المسيحية، هو أن في المسيحية يتحقق الوصول على الطريق.

وفي غير المسيحية ينتهي الطريق ولا يتحقق شيء من الوصول.

والسبب واضح، هو أن الطريق عندنا هو المسيح «أنا هو الطريق» (٢).

التصوفية المسيحية انفتاح للروح القدس ودخول مباشر لحالة ما فوق المادة وما فوق العالم وما فوق الذات بواسطة ومؤازرة الروح القدس!

الروح القدس هو الأقنوم الإلهي المرسل لنا ليهيىء للإنسان الإنتقال من حالة اتصال شديد بالعالم إلى حالة اتصال حقيقي بالله. وهذا هو جوهر التصوف.

وبغير الروح القدس **يستحيل** أن يتم هذا الإنتقال، لأنه انتقال من مادة إلى روح.

التصوفية المسيحية حياة نسكية من الدرجة الأولى، لأن النسك والتقشف فيها هو انفعالية روحية صادقة وليس افتعالاً.

النسك آية عمل الروح القدس فينا وليس آية همتنا وجسارتنا وبأسنا. هو فعالية

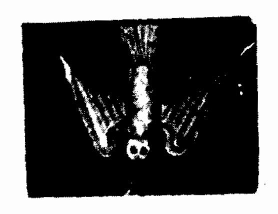
---

(٢) يو١٤: ٦.

حب وليس تعذيب جسد.

فالله لا يسر بتعذيب الناس ولكنه يطلب عمل المحبة.

لذلك كان الإعتماد على الذات أو المناهج النسكية وحدها في حياة التصوف ينتهي بانغلاق الطريق التصوفي الموصل إلى الإتحاد بالله، و يقعد الإنسان في كآبة لا يشرق عليها فرحة اللقيا بوجه الله.



تاسعاً: اللاهوتية العقلية في المسيحية

الله ليس نظرية جدلية يمكن أن نطرقها على مراحل أو نقترب إليها عقلياً من ناحية دون ناحية، هذه هي خطية الأبحاث العقلية في لاهوت الله.

الله **حقيقة شخصية بسيطة كلية**، إذا اقتربنا إليه اقتراباً صحيحاً فإننا نستوعبه وجدانياً وعقلياً مرة واحدة... ونحسه إحساساً حياً وننفعل به انفعالاً كاملاً لا يقبل الشك ولا يحتاج إلى برهان.

يوحنا الرسول يحقق لنا هذا تحقيقاً واقعياً ملموساً بقوله: «الحياة أُظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم» (١).

وإنجيل يوحنا الرسول يشهد قائلاً: «رأينا مجده» (٢).

والرب نفسه عيَّن وسيلة الرؤيا والمقابلة معه شخصياً: «إن آمنتِ ترين مجد الله» (٣).

والرب يسوع لم يتراءى بعد قيامته إلا للذين آمنوا به:

ـ «وأعطى أن يصير ظاهراً ليس لجميع الشعب بل لشهود سبق الله فانتخبهم» (٤).

وهو بذلك يكشف عن استعلانه أنه ليس على أساس الإجتهاد العقلي ولكن عن طريق الإيمان البسيط...

الروح القدس يحل في قلب الإنسان إذا آمن، ليقوده إلى المقابلة والرؤيا ثم الإتحاد.

---

(١) ١يو١: ٢. (٢) يو١: ١٤. (٣) يو١١: ٤٠.

(٤) أع١٠: ٤٠، ٤١.

إذا أعوزنا الروح القدس، فجهادنا العقلي يكون كالهباء الذي تذر يه الر يح، ولن تتم المقابلة ولن نبلغ الرؤ يا ولن نصل إلى حالة إتحاد مهما درسنا وبحثنا.

«لا **تطرحني** من قدام وجهك، وروحك القدوس **لا تنزعه** مني» (٥).

إذا انتُزع منا الروح القدس، طُرحنا من أمام وجه الله لا محالة. وإذا أخذنا الروح القدس و بلغنا الملء، دخلنا الحضرة الإلهية وتراءينا أمام وجه الله لا محالة.

اللاهوتية العقلية الخالية من منهج النسك والعبادة والتأمل هي بعينها الوثنية الحديثة.

لقد اختفى شيطان الأوثان وانخذل أمام فاعلية إيمان المسيحية الأولى التي كانت ببرهان الروح تحيا وتعمل.

ولكن الشيطان لم ينتهِ بعد، لقد عدَّل منهجه تجاه المسيحية ونظم صفوفه وظهر مرة أخرى في هيأة أوثان عقلية، لها شكل المسيحية وصورتها، وتُرى عقلياً كملاك نور!!

اللاَهوت العقلي يبحث باجتهاد شديد عن إله يتناسب مع العقل والمنطق. ولكن ليس بين عقل الإنسان والله نسبة على الإطلاق، ومنطق البشر ية بعيد عن منطق الله.

اللاهوت العقلي الذي يشغل أذهان غير الروحيين يحاول أن يشكل مسيحاً جديداً، فهو يضيف على المسيح ما ليس له، ويحذف من المسيح ما له، حتى يصنع مسيحاً مناسباً مع فكر الإنسان.

وفكر الإنسان ليس واحداً في كل مكان، فعند اليونان فكر وعند الرومان فكر وعند القبط فكر وعند الغرب فكر، وهيهات إن اتحدت الأفكار.

الروح القدس هو الذي يوحد الأفكار، فلا سبيل إلى تقابل الناس جميعاً في المسيح الواحد الحقيقي إلا إذا تقابل الناس بالروح أولاً على صعيد المحبة.

---

(٥) مز٥١: ١١.

اللاهوت العقلي نحت للمسيح تماثيل كثيرة، وكل لاهوتى عقلي يسجد لتمثاله ويجحد تمثال غيره.

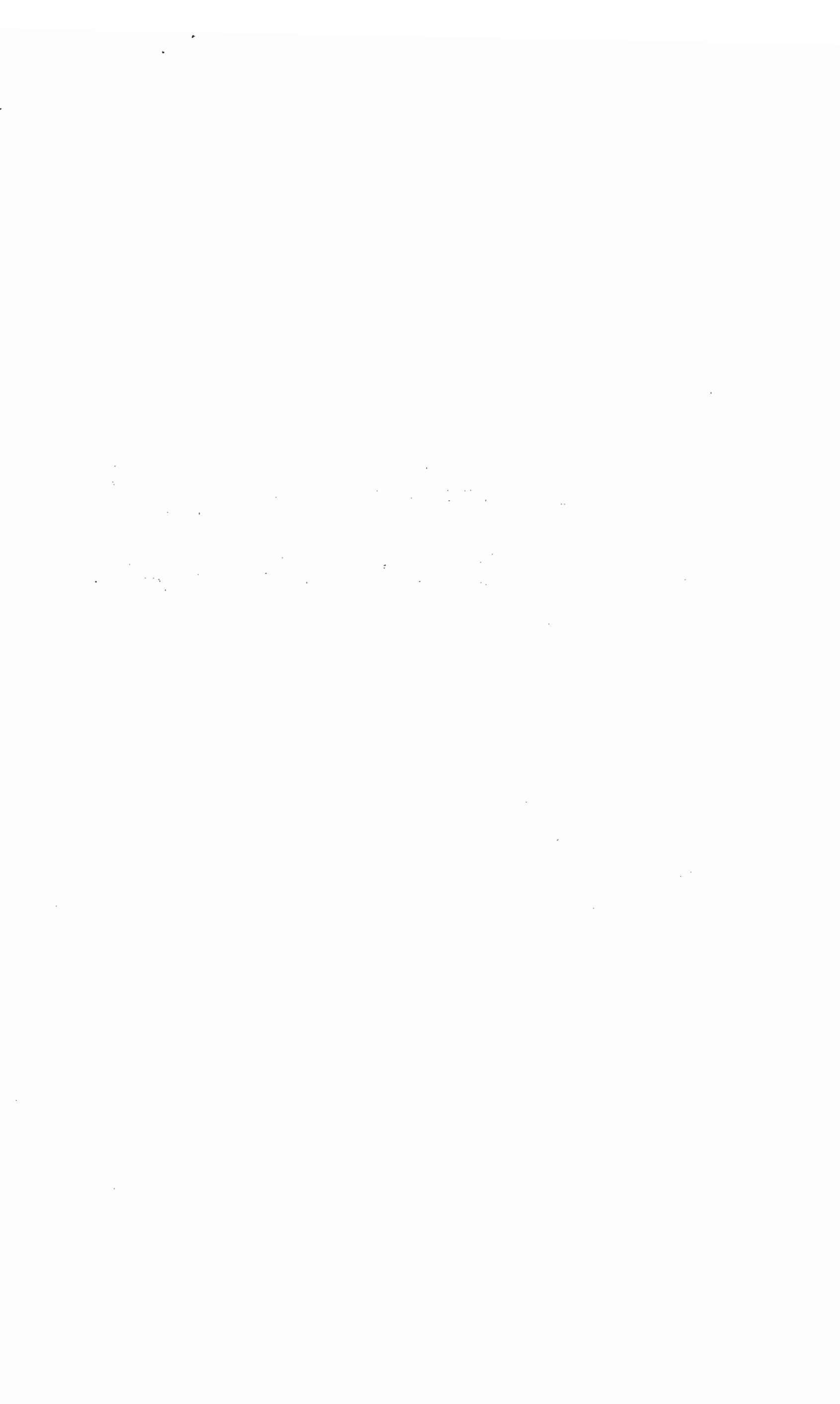
اللاهوتيون العقليون قسموا المسيح الواحد ومزقوا الكنيسة.
الروح القدس أملنا الوحيد لتجميع القلوب في شخص يسوع.

+



الروح القدس والإفخارستيا
وسيلتان إلهيتان لتوثيق علاقتنا الكيانية بالمسيح

أعد هذه المقالة وترجم نصوصها
من الفرنسية واليونانية أحد الآباء
بالدير وراجعها الأب متى المسكين
سنة ١٩٧٧



المحتويات



الروح القدس والإفخارستيا
وسيلتان إلهيتان لتوثيق علاقتنا الكيانية بالمسيح

* * *

وسيلتان إلهيتان:

كثيراً ما يقرن القديس كيرلس في كتاباته بين الروح القدس والإفخارستيا كوسيلتين إلهيتين لحلول المسيح فينا، ولتقديس نفوسنا، وتغيير شكلنا إلى شكله الإلهي:

فالروح القدس هو أساساً **روح المسيح** «أرسل الله **روح إبنه** إلى قلوبنا...» (غل ٤ : ٦). لذلك فالمسيح يحل فينا **روحياً** بحلول روحه فينا «تتأيدوا بالقوة **بروحه**... ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف ٣ : ١٧).

وأما «الأولوجية المحيية» (*) فهي جسد المسيح ودمه الأقدسان. لذلك فبقبول هذا السر يحل المسيح فينا **جسدياً** وليس فقط روحياً.

[يحل الإبن فينا جسدياً كإنسان، إذ يمتزج ويتحد بنا في سر الأولوجية. كما يحل فينا أيضاً روحياً كإله بإعطائنا روحه الخاص] (١).

[لقد تغيرنا إلى شكل المسيح روحياً، وأيضاً جسدياً، لأن المسيح يحل فينا أيضاً بالروح القدس، وبسر الأولوجية] (٢).

[لقد نلنا نصيباً في القرابة معه بواسطة الإيمان. فقد صرنا **شركاء معه في**

(*) أشرنا في مقال سابق إلى أن لفظ «الأولوجية» كان هو الإسم الشائع لسر الإفخارستيا في القرن الخامس في مدينة الإسكندرية. (أنظر مجلة مرقس عدد يناير ١٩٧٧ ص ٤١ هامش ٨٣).

(١) تفسير يوحنا ١٧ : ٢٢، ٢٣ — P.G. 74, 564 C

(٢) تفسير رومية ٨ : ٣ — P.G. 74, 820 B

الجسد σύσσωμοι **بواسطة سر الأولوجية**. وأيضاً اتحدنا به من جهة أخرى إذ صرنا **شركاء طبيعته الإلهية بواسطة الروح**](3).

وهذه القرابة المزدوجة مع المسيح على مستوى الجسد والروح كليهما، القائمة على الإفخارستيا والروح القدس معاً(4) تمتد منه إلى أن توصلنا إلى ملء الإتحاد مع الله الآب عينه:

[فقد صرنا إذن مكمَّلين في وحدتنا؛ مع الله الآب بالمسيح الوسيط. لأننا قبلنا في نفوسنا **جسدياً وروحياً** (بسر الأولوجية والروح القدس) ذاك الذي هو إبن بالطبيعة وبالحق، الذي له الوحدة الجوهرية مع الآب، وصرنا شركاء في طبيعته الفائقة لكل شيء، وبذلك تمجدنا](5).

والسبب في وجود وسيلتين لإتحادنا بالله، يرجع إلى أن الإنسان مكون من جسد ومن روح. فكان لابد من وجود هاتين الوسيلتين، حتى يتقدس في جسده وروحه كليهما، ويتحد بالله:

[... لكي نتقدس **جسدياً وروحياً** معاً...](6).

[لقد تقدسنا **من وجهين**... διττῶς](7).

[كان ينبغي، نعم كان ينبغي ليس فقط أن النفس تتجدد في جدة الحياة بالروح القدس، بل أن هذا الجسد أيضاً الكثيف الأرضي يتقدس بتناول جسدي مناسب لطبيعته حتى ينال هو أيضاً عدم الفساد](8).

(3) جلافير على التكوين ١ — P.G. 68, 29 BC

(4) تفسير ميخا ٢ : ٥ — P.G. 71, 668 B

تفسير يوحنا ١٥ : ١ — P.G. 74, 344 C

تفسير يوحنا ١٧ : ٢٢، ٢٣ — P.G. 74, 564, 565

(5) تفسير يوحنا ١٧ : ٢٢، ٢٣ — P.G. 74, 564 D-565 A

(6) تفسير متى ٢٦ : ٢٧ — P.G. 72, 452 C

(7) تفسير كو٦ : ١٥ — P.G. 74, 869 C

(8) تفسير يوحنا ٦ — P.G. 73, 580 AB

فهدف تجسد المسيح هو أن يعيد لنا الخلود وعدم الفساد والحياة الأبدية، والمخلّص يحقق ذلك فينا عملياً بهاتين الوسيلتين: الإفخارستيا والروح القدس:

[لقد خلق الله كل شيء للخلود.

ولكن الموت دخل إلى العالم بحسد إبليس.

فقد دفع المجرِّب الإنسان الأول للخطية والعصيان، وأوقعه تحت لعنة الله.

فكيف يمكن للإنسان الذي صار تحت سلطان الموت أن يستعيد الخلود؟

كان لابد أن يدخل جسده الميت في شركة قوة الله المحيية.

أما قوة الله المحيية فهي اللوغس.

لذلك فقد صار اللوغوس إنساناً، واتحد بجسد قابل للموت، وأعطاه مناعة ضد الفساد، وجعله جسداً محيياً.

لكن كان ينبغي أن يحل فينا، روحياً، بواسطة الروح القدس.
كما يمتزج أيضاً بطريقة ما بأجسادنا، بواسطة جسده المقدس ودمه الكريم](٩).

فبواسطة الروح القدس والجسد المقدس، يحل المسيح في أرواحنا وأجسادنا معاً، ويحييها من جديد بحياته الإلهية. فالروح القدس هو أساساً «**روح الحياة**» (رو٨: ٢، ٩، ١٠، ١١)، كما أن الجسد المقدس هو «**خبز الحياة**... النازل من السماء الواهب **حياة** للعالم» (يو٦: ٣٥، ٣٣). لذلك فبواسطتها يحيينا المسيح من جديد بحياته الإلهية:

---

(٩) تفسير لوقا ٢٢: ٩ — P.G. 72, 905 C, 912 A
أنظر: العبادة بالروح والحق: ٩ — P.G. 68, 612 C
تفسير متى ٢٦: ٢٦ — P.G. 72, 452 B
تفسير يوحنا ٦: ٣٥ — P.G. 73, 517 D
في تجسد الوحيد — P.G. 75, 1242 D
ضد نسطور ٤ — P G. 76, 201 A
الدفاع عن الحرم الحادي عشر — P.G. 76, 375 A

[إنه يحيينا كإله، وذلك ليس فقط بإعطائنا شركة روحه القدوس، بل وأيضاً بأن يقدم لنا جسده الخاص، الذي أخذه منا، مأكلاً لنا](١٠).

ومعروف أن خطة الخلاص، التي تبدأ بغفران الخطايا واستعادة الخلود وعدم الفساد والحياة الأبدية، إنما تنتهي باتحاد الجميع في الله «بأن يجمع كل شيء تحت رأس واحد في المسيح» (أف ١ : ١٠). وهنا أيضاً نجد أن الروح القدس والإفخارستيا لهما الدور الأساسي في تحقيق هذه الوحدة الشاملة في المسيح:

[على الرغم من كوننا منقسمين بحسب طبعنا نحن إلى شخصيات متميزة بعضها عن بعض، بحيث أن أحدنا يكون بطرس والآخر يوحنا أو توما أو متى، لكننا جميعاً **صرنا جسداً واحداً في المسيح، لأننا نأكل جسداً واحداً، وقد خُتمنا للوحدة بالروح الواحد. ولذلك طلب من أبيه السماوي قائلاً: «ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد». فانظر، إذن، كيف أننا جميعاً في المسيح وفي الروح القدس قد صرنا واحداً بالجسد والروح»](١١).**

[فكما أن نعمة الجسد المقدس تجعل الذين يتناولون منه شركاء في جسد واحد بعضهم مع البعض، فأنا أرى أنه بنفس الطريقة الروح الواحد، الذي يحل في الجميع، يقود الجميع إلى الوحدة الروحية](١٢).

[وهكذا نحن جميعاً واحد في الآب والإبن والروح القدس. فنحن واحد بأسلوب حياتنا الواحد، بنمط تقوانا الموحد، **بشركة جسد المسيح المقدس وبشركة الروح القدس الوحيد](١٣).**

* * *

الإفخارستيا والروح القدس في الكتاب المقدس:

كثيراً ما يؤكد القديس كيرلس أنه استقى تعليمه عن اقتران هاتين الوسيلتين

---

(١٠) في تجسد الوحيد — P.G. 75, 1241 D

(١١) في الثالوث ١ — P.G. 75, 697 B

(١٢) تفسير يوحنا ١٧ : ٢٠، ٢١ — P.G. 74, 561

(١٣) شرحه — P.G. 74, 557, 561

الإلهيتين من الكتاب المقدس نفسه... في كتاباته التفسيرية كثيراً ما يستخلص من رموز العهد القديم إشارات إلى اقتران هاتين الوسيلتين، اللتين بهما تنسكب النعمة الإلهية في قلوبنا، أعني الإفخارستيا والروح القدس:

أ ــ فهو يرى مثلاً في تفسيره لآية يوئيل النبي (٢ : ١): «فيغار الرب لأرضه و يرق لشعبه ويجيب الرب و يقول لشعبه هأنذا مرسل لكم **قمحاً ومسطاراً وزيتاً...**».

إن القمح والمسطار (الخمر) يشيران إلى الإفخارستيا بينما يشير الزيت إلى مسحة الروح القدس المعطاة في المعمودية المقدسة(١٤).

ب ــ كذلك في تفسيره لآية إشعياء النبي (٢٥ : ٦): «و يصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل أنهم يشربون فرحاً، يشربون خمراً، يمسحون بالطيب (حرفياً بالميرون μύρῳ) على هذا الجبل» (حسب الترجمة السبعينية). يرى القديس كيرلس أن الشرب من الخمر يشير إلى سر الإفخارستيا، أي إلى الذبيحة غير الدموية المرفوعة في الكنائس المقدسة، بينما مسحة الطيب (حرفياً: الميرون) تشير بوضوح إلى مسحة الروح القدس بحسب المكتوب: «وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس» (١ يو٢ : ٢٠، ٢٧)(١٥).

جـ ــ وأيضاً في تفسيره لإشعياء بخصوص الآية (٥٥ : ١و٢): «أيها العطاش هلموا إلى المياه والذين ليس لهم فضة تعالوا اشتروا وكُلوا بلا فضة و بلا ثمن خمراً وشحماً» (بحسب الترجمة السبعينية).

يرى القديس كيرلس أن في هذه النبوة إشارة إلى أن الذين يشربون من الماء الحي، أي يمتلئون من الروح القدس، يتأهلون بذلك للتناول من الخمر ومن الشحم، أي من الجسد المقدس ومن الدم اللذين للمسيح(١٦).

د ــ وفي تفسيره لإنجيل يوحنا، بخصوص طعنة الحربة وخروج الدم والماء من جنب المسيح، يرى أن الدم يشير إلى الإفخارستيا والماء يشير إلى المعمودية المقدسة التي

---

(١٤) تفسير يوئيل ٢ P.G. 71, 373 A

(١٥) تفسير إشعياء ٢٥ : ٦، ٧ P.G. 70, 561 C

(١٦) تفسير إشعياء ٥٥ : ١، ٢ P.G. 70, 1220 B

بها ننال الروح القدس(١٧).

علاقة الإفخارستيا بقبول الروح القدس:

+ ينبغي الآن أن نتساءل: هل هاتان الوسيلتان تسيران في خطين متوازيين، وكل منهما مستقلة تماماً عن الأخرى، أم أن هناك علاقة بينهما؟ نحن نعلم أن وظيفة الروح القدس الأساسية فينا هي أن يشهد للمسيح و يوصلنا للمسيح. لذلك فامتلاؤنا من الروح يدفعنا بالضرورة إلى التقرُّب من المسيح والإتحاد به بواسطة أسراره المقدسة، والقديس كيرلس يؤكد أن قبول الروح القدس يمهد للتناول من جسد الرب ودمه.

في تفسيره لقول الرب للمجدلية: «**لا تلمسيني**»(١٨) (أي لا تمسكيني)... يقول القديس كيرلس أن السبب في هذا النهي هو أنها لم تقبل بعد الروح القدس، فلم يكن المسيح قد نفخ بعد الروح القدس في وجوه تلاميذه. ولكن بعد أن أعطاهم الروح لم يمنعهم من لمس جسده، بل على العكس قال لهم: «جسوني وانظروا...» (لو٢٤: ٣٩)، ودعا توما إلى وضع أصبعه في مكان المسامير. و يستنتج القديس كيرلس من ذلك أن قبول الروح القدس هو المؤهل الأساسي لمسك جسد الرب في الإفخارستيا، ولذلك فلا يُسمح للموعوظين بأن يتناولوا، قبل أن ينالوا الروح القدس في المعمودية.

وجدير بالملاحظة أن قبول الروح القدس مرتبط عند القديس كيرلس بسر المعمودية. فالمعمودية هي التي تجعل الروح يحل فينا(١٩).

[إننا قد اغتنينا بروحه بواسطة المعمودية المقدسة](٢٠).

---

(١٧) تفسير يوحنا ١٩: ٣٢—٣٧ P.G. 74, 677 AB

(١٨) تفسير يوحنا ٢٠: ١٧ P.G. 74, 696 D

(١٩) تفسير يوحنا ١٤ P.G. 74, 224 B

(٢٠) تفسير رومية ١: ٣ P.G. 74, 773 B

[الذين لم يعتمدوا بعد لا يحل فيهم الروح القدس] [21].

لذلك، فالموعوظون الذين لم يعتمدوا بعد ولم يقبلوا بالتالي الروح القدس، لا يُسمح لهم بأن «يمسكوا» جسد الرب في سر الأولوجية.

[ولكن متى ظهروا بالفعل كشركاء في الروح القدس، حينئذ لا يمنعهم شيء عن أن يمسكوا بالمسيح مخلصنا... فشركة الأقداس للذين تقدسوا في الروح] [22].

وهذه العبارة الأخيرة «شركة الأقداس للذين تقدسوا في الروح»، تكشف لنا ماذا كانت تعنيه الكنيسة الأولى من قول الكاهن قبل التناول «القدسات للقديسين»: فتقديس نفوسنا بالروح القدس هو المؤهل الأساسي للتناول من جسد الرب ودمه الأقدسين، غير أن عمل الروح القدس فينا منبعه الأول هو سر المعمودية. لذلك كثيراً ما يربط القديس كيرلس الإفخارستيا بسر المعمودية:

[بعد أن زيننا الرب بنعمة التبني (بإعطائنا روح التبني في المعمودية)، دفع نفسه لنا زاداً صالحاً (في الإفخارستيا)] [23].

[إننا نقدم المؤمنين إلى المعمودية المقدسة، ثم **نكملهم** بدم العهد الأبدي] [24].

ومن هذا القول الأخير، يظهر أن الإفخارستيا **«تكمل»** عمل الروح القدس في المعمودية، ذلك أن الروح القدس في المعمودية يُدخل الإنسان في شركة روحية مع المسيح، تصل إلى درجة لبس المسيح روحياً «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣: ٢٧). ثم تأتي الإفخارستيا و«تكمل» هذه الشركة، بالإتحاد الفعلي بجسد الرب ودمه.

والآن لنعرض بتفصيل أكثر كلاً من هاتين الوسيلتين الإلهيتين لإتحادنا بالرب:

---

(٢١) تفسير يوحنا ٢٠: ١٧ P.G. 74, 696 D

(٢٢) شرحه

(٢٣) العبادة بالروح والحق ٧ P.G. 68, 501 A

(٢٤) جلافير على اللاويين P.G. 69, 576 D

أولاً ـــ الروح القدس

١ ـــ روح الشركة:

إن الروح القدس هو أساساً روح الشركة. هذا واضح في الكتاب المقدس:
«وشركة الروح القدس مع جميعكم» (٢ كو١٣: ١٤).
«إن كانت شركة ما في الروح» (في ٢: ١).

لذلك يعتبره القديس كيرلس أقنوم الشركة، الذي بدونه لا يمكن أن تكون لنا أية شركة مع الله. وهذه الحقيقة يكررها القديس كيرلس بعبارات متشابهة في معظم كتاباته. في حواره عن الثالوث يقول:

[لا يمكن أن تكون لنا شركة مع الله إلا بالروح القدس](٢٥).

وفي تفسيره لإنجيل يوحنا:

[لا يمكن أن تكون لنا شركة مع الله إلا بالروح القدس الذي يسكب فينا قداسة طبيعته الخاصة](٢٦).

[لو بقينا بدون شركة الروح القدس لما استطعنا إطلاقاً أن نعرف أن الله فينا](٢٧).

[فالذي يوحدنا بالمسيح مخلصنا، إنما هو روحه القدوس](٢٨).

[الذي يربطنا ويوحدنا اتحاداً وثيقاً بالله إنما هو الروح](٢٩).

[لا تتحقق عودتنا إلى الله، وهي التي تتم عن طريق المسيح مخلصنا، إلا بشركة الروح](٣٠).

---

(٢٥) في الثالوث ٧ — P.G. 75, 1092

(٢٦) تفسير يوحنا ١٧: ٢٠، ٢١ — P.G. 74. 553, 554

(٢٧) تفسير يوحنا ١٧: ١٨، ١٩ — P.G 74, 545 A

(٢٨) تفسير يوحنا ١٥: ١ — P.G. 74, 333 A

(٢٩) تفسير يوحنا ١٧: ١٨، ١٩ — P G. 74. 544 D. 545 A

(٣٠) شرحه

فالروح القدس هو الذي يقيم الشركة بيننا و بين المسيح:

[لقد صرنا شركاء المسيح بواسطة الروح القدس] (٣١).

لقد صرنا له [أقرباء وأخوة بقبول الروح القدس] (٣٢).

ونلنا معه [قرابة بواسطة الروح القدس] (٣٣).

وحيث أن لاهوت المسيح لا يمكن أن ينفصل قط عن ناسوته، لذلك فشركتنا مع المسيح تعني بالضرورة مشاركتنا في طبيعته الإلهية:

[فكان ينبغي أن نصير في كل شيء **شركاء لطبيعة اللوغس**... ولكن لم يكن ممكناً أن يتحقق ذلك بوسيلة أخرى، إلا بالمشاركة في **الروح** القدس، ونوال نصيبنا منه] (٣٤).

[فالروح هو الذي يوحدنا و يؤلفنا مع الله. **فبقبول الروح القدس نحن نصير شركاء الطبيعة الإلهية**] (٣٥).

[فالكلمة الذي من الله الآب يرفعنا إلى هذه الإمتيازات، **إذ يجعلنا شركاء طبيعته الإلهية، بواسطة الروح القدس**. و بذلك صار له الآن أخوة مشابهون له، ولابسون **صورة طبيعته الإلهية، من جهة تقديس نفوسهم**. لأن المسيح يتصور فينا هكذا، **إذ يغيِّرنا الروح القدس تغييراً جذرياً من صفاتنا البشرية إلى صفاته هو**... فمع أن الإبن لا يحول أحداً قط من المخلوقين، إلى طبيعة لاهوته الخاص، لأن هذا مستحيل؛ إلا أنه يؤلف، بنوع ما، **بين ما يخصه إلهياً من جهة طبيعته و بين الذين صاروا شركاءه بمشاركة الروح القدس. فإن صورته الروحية وبهاء لاهوته غير المفحوص يضيئان في**

---

(٣١) تفسير يوحنا ١ : ١٢ — P.G. 73, 153 A

أنظر أيضاً في الثالوث ٧ — P.G 75, 1097 C

(٣٢) العبادة بالروح والحق ٧ — P G. 68. 504 B

وأيضاً تفسير مز ٤٤ : ٨ — P.G 69, 1040 C

(٣٣) تفسير إشعياء ٨ : ١٨ — P.G. 70, 237 D

(٣٤) تفسير يوحنا ١٦ : ٦، ٧ — P.G. 74, 433 B

(٣٥) تفسير يوحنا ١٧ : ١٨، ١٩ — P.G. 74, 545

نفوس القديسين] (٣٦).

وبهذا القول الأخير، يوضح لنا القديس كيرلس المقصود من «شركة الطبيعة الإلهية». فليس معناها أن نتحول نحن إلى طبيعة الله «لأن هذا مستحيل»، **بل أن تتغير صفاتنا «تغييراً جذرياً» إلى صفات المسيح بفعل الروح القدس، وهكذا تنطبع فينا «صورته الروحية وبهاء لاهوته غير المفحوص»**.

وهذا ينقلنا إلى بحث أقوال القديس كيرلس الخاصة بتغيير شكلنا إلى شكل المسيح بفعل الروح القدس.

٢ ــ الروح القدس يغير شكلنا إلى شكل المسيح:

إن عمل الروح القدس الأساسي فينا هو أن ينقل إلينا كل ما في المسيح، وذلك بحسب قول الرب نفسه: «ذاك يمجدني لأنه **يأخذ** مما لي ويخبركم»، يأخذ كل صفات المسيح و ينقلها إلينا، يأخذ صورة المسيح و يطبعها فينا. فالقديس بولس ينسب تغيير شكلنا إلى شكل المسيح، أساساً، إلى عمل الروح القدس فينا «نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد **كما من الرب الروح**» (٢ كو٣: ١٨).

والقديس كيرلس يمتد بهذه الفكرة، و يعممها على جميع الآيات الأخرى الخاصة بتغيير شكلنا إلى شكل المسيح. فهو يعتبر دائماً أن الروح القدس هو العامل الأساسي في هذا التغيير.

ــ فمثلاً بخصوص الآية (رو٨: ٢٩): «الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة إبنه» يقول:

[حيث أن روح الإبن الوحيد هو صورة كاملة لجوهر الإبن الوحيد، وأن بولس يقول: «الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة

---

(٣٦) ضد نسطور ٣ P.G. 76, 124 D-129 B

إبنـه»، فـالـذيـن يحـل فيهم الروح يجعلهم مشابهين للإبن الذي هو صورة الآب] (٣٧).

ـــ وبـخـصـوص الآيـة (١كـو١٥: ٤٩) **«سـنـلـبـس صورة السماوي»**، يقول: إن «صـورة السماوي» هي صورة المسيح، أي أنها النصرة على الشهوات والعتق من الموت ومـن الـفساد، هي القداسة والتبرير... **فإلى مثل هذه الإمتيازات يرفعنا كلمة الله، حينما يجعلنا نشترك في طبيعته الإلهية، بواسطة الروح القدس** (٣٨).

ـــ وبـخـصـوص الآيـة (غـل٤: ١٩) «يـاأولادي الـذيـن أتمخض بكم إلى أن يتصور المسيح فيكم» يقول:

[إن صورة المخلص هي التي يطبعها الروح في نفوس الذين يقبلونه... ولا شك في ذلـك إذ أن بـولـس يـقـول: **«يـاأولادي الذين أتمخض بكم إلى أن يتصور المسـيـح فـيكم». فالمسيح لا يمكن أن يتصور في أحد، إلا بواسطة شركة الـروح الـقـدس**، وحيـاة مـطـابـقة للإنجيل. ولهذه الغاية جعل المسيح روحه الـقـدوس يحل في تـلاميذه، لما نفخ في وجوههم ليصيروا باكورة لميراثه المتجدد على صورة الله للمجد الأبدي] (٣٩).

ـــ وبخصوص نفس هذه الآية (غل٤: ١٩) يكرر نفس هذه المعاني في موضع آخر:

[الـروح هـو صـورة الإبـن الـكـامـلة والطبيعية، فحينما تتجدد صورتنا بالقداسة بـفـعـل هـذا الـروح، فـنـحـن في الـواقـع نتغير إلى صورة الله، وهذا هو ما يقوله الـرسـول: **«يـاأولادي الـذيـن أتـمـخـض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فـيـكـم». فالمسيح يتصور فينا بالروح القدس، الذي يجدد شكلنا بحسب الله]** (٤٠).

---

(٣٧) تفسير يوحنا ١٧: ١٨، ١٩ — P.G. 74, 541 CD

(٣٨) ضد نسطور ٣ — P.G. 76, 124-129

(٣٩) تفسير يوحنا ٢٠: ٢٢، ٢٣ — P.G. 74, 716

(٤٠) في الثالوث ٧ — P.G. 75, 1088 B

وهكذا نرى القديس كيرلس، كلما يتناول موضوع تغيير شكلنا إلى شكل المسيح، ينسب ذلك دائماً إلى عمل الروح القدس فينا (٤١).

[إن المسيح يتصور فينا بواسطة صورة إلهية، يسكبها فينا الروح القدس بالقداسة والبر] (٤٢).
[الإبن يجعل الذين يقبلونه مشابهين له، بواسطة الروح القدس] (٤٣).
[المسيح يجددنا على صورته الخاصة، بواسطة الروح القدس] (٤٤).
[إننا نتغير إلى شكل المسيح، والمسيح يطبع فينا صورته الخاصة، بواسطة الروح القدس الذي يشابهه بحسب الطبيعة. فالروح هو الله، لأنه يغير المؤهلين لذلك إلى شكل الله ويمنحهم شركة الطبيعة الإلهية] (٤٥).

إذن فالروح القدس يغير شكلنا إلى شكل المسيح، و يطبع فينا صورته الخاصة، يأخذ كل ما في المسيح و ينقله إلينا. يأخذ جميع صفاته الصالحة و يرسمها فينا. وهكذا قليلاً قليلاً «يتصور المسيح في أعضائنا»، أي يحل داخلنا حلولاً سر ياً، بواسطة الروح القدس. و بذلك يصير تغيير شكلنا إلى شكل المسيح بواسطة الروح القدس، هو المدخل إلى حلول المسيح في قلوبنا سراً بواسطة الروح القدس أيضاً، بحسب الآية القائلة: «تتأيدوا بالقوة بروحه... ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف٣: ١٧).

---

(٤١) جلافير على التكوين ٥ و١٥ — P.G. 68, 260 A. 1009 A
جلافير على العدد — P.G. 69, 625 C
تفسير إشعياء ٦١: ١—٣ — P.G. 70, 1353 A
تفسير يوحنا ١: ١٢ — P.G. 73, 153 AB
في الثالوث ٥ — P.G. 75, 976 C
عظة فصحية ١٩ — P.G. 77, 836 BC
(٤٢) تفسير إشعياء — P.G. 70, 936
(٤٣) تفسير يوحنا ٩ — P.G. 73, 885 A
(٤٤) في الثالوث ٣ — P.G. 75, 808 B
(٤٥) في الثالوث ٧ — P.G. 75, 1089 B-C

٣ ــ الروح القدس يعطينا حلولاً سرياً للمسيح داخل نفوسنا :

لقد قال المسيح لتلاميذه قبل أن يغادرهم : «لا أترككم يتامى. إني آتي إليكم». وجدير بالملاحظة أنه نطق بهذا الوعد في أثناء حديثه عن الباراقليط، مشيراً بذلك إلى حلوله السري في قلوب تلاميذه بواسطة الروح القدس.

[بواسطة الروح القدس نحن نقتني المسيح ساكناً ومتداخلاً فينا](٤٦).

وبنفس هذا المعنى يفسر القديس كيرلس قول المخلص لتلاميذه: «إنه خير لكم أن أنطلق» (يو١٦: ٧):

[لما كان المخلص يحيا بالجسد في وسط المؤمنين كان يبدو لهم حقاً مصدر جميع الخيرات، غير أنه **كان ينبغي أن يصعد إلى أبيه، حتى يحل بالروح القدس في وسط الذين يعبدونه، ويأتي بالإيمان إلى قلوبنا، حتى أننا إذ نقتنيه داخلنا، نصرخ بدالة «ياأبا الآب»، ونجري بسهولة في ميدان كل فضيلة**...](٤٧).

إذن فالروح القدس يعطينا حلولاً وحضوراً سرياً للمسيح، فينا وفي وسطنا، أفضل مما كان يتمتع به التلاميذ أثناء حياته الأرضية. وذلك بحسب قول الرب نفسه «إنه **خير لكم** أن أنطلق». فقد نلنا بحلول الروح القدس وسيلة لا نظير لها للإتحاد بالمسيح وللإتحاد بالله الآب أيضاً.

[فالذي **يوحدنا بالمسيح** مخلصنا، إنما هو روحه القدوس](٤٨).

[لا تتحقق عودتنا إلى الله، وهي التي تتم عن طريق المسيح مخلصنا، إلا بشركة وتقديس الروح. **فالذي يرفعنا إلى الإبن ويوحدنا بذلك مع الله هو الروح**](٤٩).

---

(٤٦) تفسير ٢ كو٢: ١٥ — P.G. 74, 925 C

(٤٧) تفسير يوحنا ١٦: ٧ — P.G. 74, 433

(٤٨) تفسير يوحنا ١٥: ١ — P.G. 74, 333 A

(٤٩) تفسير يوحنا ١٧: ١٨، ١٩ — P.G. 74, 545

فالروح القدس، إذن، يوحدنا بالإبن، ومن خلال الإبن يوحدنا بالله الآب عينه.

٤ ــ علاقتنا بالمسيح بواسطة الروح القدس تدخلنا في علاقة مع الله الآب أيضاً:

أ ــ أبناء الآب السماوي:

حينما يحل المسيح في قلوبنا بالروح القدس، فهويُدخلنا في علاقة مع أبيه السماوي، فالمسيح هو بكل كيانه ابن للآب السماوي، لذلك حينما يحل فينا بروحه القدوس، فهو بكل تأكيد يطبع فينا شيئاً من علاقته البنوية مع أبيه السماوي، بحيث نصرخ معه: ياأبّا الآب: «أرسل الله **روح إبنه** إلى قلوبكم صارخاً **ياأبا الآب**» (غل ٤ : ٦) (وجدير بالملاحظة أن أول من نطق بهذه الكلمات «ياأبّا الآب» إنما هو المسيح في صلاته الأخيرة في جثسيماني مر١٤ : ٣٦).

[حينما يحل ويسكن فينا كلمة الله، بواسطة الروح، فنحن نرتقي إلى كرامة التبني، لأننا نقتني حينئذ في نفوسنا الإبن نفسه، الذي إلى شكله أيضاً تغيرنا، بواسطة شركة روحه الخاص. وحينما نرتقي إلى مستوى الدالة المكافئة لدالة الإبن، نجسر أن نقول ياأبا الآب](٥٠).

هنا يصل عمل الروح القدس فينا إلى ذروته. فنحن عرفنا أن عمله الأساسي هو أن يأخذ كل ما للمسيح وينقله إلينا، يأخذ جميع صفاته ويطبعها فينا، ويجعلنا نتشكل بشكله، ونتغير إلى صورته. والآن ها هوينقل إلينا أهم صفة في المسيح، وهي بنوته الإلهية للآب السماوي. إنها الصفة الخاصة بالمسيح، التي منها يستمد اسمه

---

(٥٠) الكنز في الثالوث ٣٣ P.G 75, 569 D

قارن مع قول ٤٧ :

[المخلّص يحل بالروح القدس في وسط الذين يعبدونه، ويأتي بالإيمان إلى قلوبنا، حتى أننا إذ نقتنيه داخلنا نصرخ بدالة «ياأبّا الآب»].

الأزلي، كإبن للآب الأزلي. وهوذا روح الإبن يحل في قلوبنا، حتى يعطينا شيئاً من بنوة الإبن الأزلية، فنصرخ بثقة مكافئة لثقة الإبن: ياأبّا الآب... إلى هذا الحد قد وصل عمل الروح القدس في نقل كل ما للمسيح إلينا!

على أنه يجب أن نلاحظ جيداً أن المسيح وحده هو ابن بحسب الطبيعة، وجميع الآخرين هم أبناء بالنعمة والمشاركة والمشابهة. فالقديس كيرلس يضع الكلمات التالية في فم المسيح:

[أنا وحدي مولود من الآب كإبن حقيقي وطبيعي له، وأما جميع الآخرين فهم أبناء **بالوضع، على قدرما يشبهونني** و يقتربون من مجدي. فإن الصور دائماً تشبه أصولها] (٥١).

فالمسيح وحده هو ابن طبيعي، وأما نحن فأبناء **بحسب الوضع** κατὰ θέσιν ، **وبالمشاركة** μεθεκτῶς ، **وبالمشابهة** κατὰ μίμησιν . والقديس كيرلس يوضح على الخصوص كيف يجعلنا الروح القدس أبناء لله، عن طريق **مشابهتنا** للإبن الوحيد، وتغيير صفاتنا إلى صفاته، فيرى الآب فينا صفات إبنه الخاص واضحة فينا، **فيحبنا نحن كما يحبه هو**، وبهذا يتحقق ما طلبه لنا المسيح في صلاته الختامية: «ليعلم العالم أنك أرسلتني **وأحببتهم كما أحببتني**» (يو١٧: ٢٣):

[إن الروح بكل لياقة، وحسبما يرى الروح نفسه، يُشكِّل و يغيِّر إلى صورة الإبن، صفات الذين يحل فيهم بالمشاركة؛ **حتى إذا ما رأى الله الآب معالم إبنه الخاص المولود منه واضحة فينا، يحبنا نحن أيضاً، كأبناء**، ويمجدنا و يشرق علينا بالكرامات الفائقة لهذا العالم] (٥٢).

---

(٥١) تفسير يوحنا ٨: ٤٢ P.G. 73, 884 CD

(٥٢) عظة فصحية ١٠ P.G. 77, 617 D-620 A

وفي مواضع أخرى، يعرّف القديس كيرلس التبني بأنه «التغير إلى شكل الإبن الوحيد بواسطة الروح القدس»(٥٣)، وهكذا يجعل الإبن كل الذين يحل فيهم بروحه القدوس، أبناء للآب السماوي(٥٤).

ب ــ حلول الثالوث فينا:

إن الثالوث كلٌّ لا ينقسم ولا يتجزأ. فلا يمكن أن يحل فينا الروح القدس، إلا و يكون فينا الإبن أيضاً، لأن الروح هو «روح الإبن» (غل ٤: ٦) وصورته. وكذلك لا يمكن أن يأتي إلينا الإبن، إلا و يكون الآب أيضاً معه، لأن الإبن في الآب والآب في الإبن (يو١٤: ١٠، ١١).

[الذي يقبل الروح القدس، الذي هو صورة الإبن، فهو يقبل به الإبن، وبذلك يقبل الآب أيضاً الذي في الإبن](٥٥).

[كل من يعرف المسيح، و يتمسك بكلمة الحق الإلهي العديمة الغش، وكأنه يتمخض بها، فالمسيح يحل و يسكن فيه، ويجتذبه بفعل الروح القدس، إلى نوع من القرابة الروحية مع الله أبيه، بواسطة نفسه](٥٦).

و بذلك يتم وعد الرب أنه يأتي إلينا، هو وأبوه، و يصنع فينا منزلاً (يو١٤: ٢٣). وجدير بالملاحظة أن المسيح نطق بهذا الوعد، في أثناء حديثه عن الباراقليط ومجيئه إلينا. فهذا من صميم عمل الروح القدس فينا، أن يأتي الثالوث كله إلينا، ويحل فينا، و يصنع فينا منزلاً.

---

(٥٣) في الثالوث ٧ — P.G. 75, 1097 C
تفسير يوحنا ١٧: ١١ — P.G. 74, 513 A
تفسير يوحنا ١٦: ٦، ٧ — P.G. 74, 433 B
في الثالوث ٥ — P.G. 75, 976 C

(٥٤) تفسير مزمور ٥٨: ١٩ — P.G. 69, 1152 D

(٥٥) الكنز في الثالوث ٣٣ — P.G. 75, 572 A

(٥٦) تفسير إنجيل يوحنا ١٧ — P.G. 74, 577 A

ثانياً ــ الإفخارستيا

١ ــ الإفخارستيا وسيلة للإتحاد الكياني بالمسيح:

+ **الإفخارستيا وسيلة** أقامها المسيح المحب ليوحدنا بنفسه.

[لما أراد إبن الله أن يُدخلنا في الوحدة مع الله، ومع بعضنا البعض، على الرغم من كوننا مختلفين ومفترقين بالأجساد والأرواح، بسبب الكيان الذاتي لكل واحد منا، **ابتكر لذلك وسيلة** هي ثمرة حكمته ومشورة الآب. فقد بارك المؤمنين به، بواسطة التناول السري من جسد واحد، هو جسده الخاص، وبذلك جعلهم جسداً واحداً معه بالكمال] (٥٧).

+ العلاقة المعنوية والعلاقة الكيانية:

من الأفكار الرئيسية عند القديس كيرلس، أن الإفخارستيا ترفع علاقتنا بالمسيح من الوضع المعنوي القائم على مشاعر الحب والإيمان، إلى الوضع الكياني القائم على الإتحاد الفعلي والمشاركة الطبيعية.

فهو يقول رداً على الذين يزعمون أن الإفخارستيا مجرد علاقة معنوية مجازية بالمسيح:

[إن قيل أنه ينبغي أن نكون متعلقين روحياً بالمسيح بمشاعر المحبة الكاملة، والإيمان المستقيم غير المتزعزع، وبمحبتنا للفضيلة، وبصدق معتقداتنا، فهذا لا يتعارض مع تعليمنا؛ بل إننا نحن أنفسنا ننادي بأن هذا جميعه حق وواجب. أما إن قيل بجسارة أنه ليس لنا معه أي ارتباط بحسب الجسد، فإننا سنبين أن هذا مخالف تماماً للكتب المقدسة أنفاس الله، **فمن الواضح، بدون أدنى شك، أنه بسبب هذا الإتحاد، بحسب الجسد، قيل أن المسيح هو الكرمة ونحن الأغصان، وأننا منه وبه نستمد الحياة داخلنا**... فالكرمة تُنسب

(٥٧) تفسير إنجيل يوحنا ١٧: ٢٠، ٢١ P.G. 74, 560

للمسيح والأغصان لنا، بسبب وحدة طبيعية (بيننا و بينه). فأغصان الكرمة لها بكل تأكيد نفس طبيعة الكرمة](٥٨).

فسر الإفخارستيا، إذن، بما يقيمه من ارتباط كياني بيننا و بين المسيح، هو الحقيقة الكامنة وراء قول الرب: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان»، لأن به تنتقل الحياة من المسيح إلينا، كما تنتقل العصارة من الكرمة إلى الأغصان. لذلك فشرح (يوحنا ١٥) هو من أكثر المواضع التي يتكلم فيها كيرلس عن الإفخارستيا. في نفس هذا الموضع يستطرد قائلاً:

[فليقل لنا إذن (الذين ينكرون ارتباطنا الكياني بالمسيح)، لماذا يوجد سر الأولوجية وماذا تكون فاعليته، ولماذا يأتي إلينا؟ أليس لكي يُدخل إلينا المسيح جسدياً بالشركة في جسده والتناول منه؟ **فإننا نصير شركاء في الجسد معه بواسطة تناولنا من «سر الأولوجية»، ونصير معه جسداً واحداً كما صار الرسل القديسون**](٥٩).

[ألم يقل المسيح أن **أعضاءنا جميعاً هي أعضاؤه؟ فإنه مكتوب بالفعل «ألستم تعلمون أن أعضاءكم هي أعضاء المسيح»**، والمخلص نفسه يقول: «من يأكل جسدي و يشرب دمي **يثبت فيَّ وأنا فيه». فمن هذا القول على الخصوص يتضح أن المسيح لا يتكلم عن حلوله فينا، بمجرد رباط عاطفي وجداني، بل بمشاركة طبيعية** κατὰ μέθεξιν φυσικήν](٦٠).

ولتأكيد حقيقة هذه العلاقة الطبيعية الكيانية، لا يتردد القديس كيرلس في استخدام كلمة «**الإمتزاج**» (كمثل امتزاج قطعتين من الشمع نعجنهما معاً أو كامتزاج الخميرة بالعجين)، وكلمة «**الإنصهار**» (كمثل انصهار الفضة مع الرصاص في بوتقة واحدة).

---

(٥٨) تفسير يوحنا ١٥: ١ — P.G. 74, 341, 344

(٥٩) شرحه

(٦٠) شرحه

[فإنه كما لو **امتزجت** قطعة شمع بقطعة شمع أخرى، يظهر أنها صارت تماماً الواحدة في الأخرى، هكذا بنفس هذا الحال أعتقد أن الذي يتناول جسد مخلصنا المسيح و يشرب دمه الكريم ـ كما يقول هو نفسه ـ يصير واحداً معه **وكأنه ممتزج ومختلط معه بالتناول. وكما يوجد هو في المسيح كذلك المسيح أيضاً يوجد فيه**] (٦١).

[إذن فكما يقول بولس أن **خميرة** صغيرة تخمر العجين كله، هكذا أيضاً فإن أصغر قطعة من الأولوجية **تمزج** جميع أجسادنا معاً بنفسها، وتملأها بقوتها الخاصة. وهكذا يصير المسيح فينا ونحن أيضاً فيه، **لأنه يصدق من يقول أن الخميرة في العجين كله، وأن العجين أيضاً قد صار بالمثل في الخميرة كلها**] (٦٢).

[إذا **صهرت** الفضة غير النقية مع الرصاص، فإنها تتطهر به تماماً، لأن الرصاص يمتص كل شوائب المعدن المنصهر. و بنفس هذه الطريقة يعمل فينا المسيح: فبينما كنا غير طاهرين، **امتزج** هو بنا جسدياً وروحياً، وأبطل بذلك النجاسات التي كانت فينا، فهو يرفع خطايانا، حتى أننا به و بواسطته نصير أنقياء مصقولين] (٦٣).

٢ ـ نتائج الإتحاد الكياني بالمسيح في الإفخارستيا:

أ ـ إنسكاب صفات المسيح فينا، وأهمها الحياة والخلود.

● **فالحياة** صفة طبيعية للمسيح. في الأقوال القادمة سنجد القديس كيرلس يكرر القول عدة مرات بأن المسيح **«هو الحياة بطبعه»** (أنظر الأقوال ٦٤، ٦٥، ٧٤) ولا غرابة في ذلك، فقد عرف المخلّص نفسه بأنه هو الحياة: «أنا هو الطريق والحق

---

(٦١) شرحه

(٦٢) تفسير يوحنا ٦: ٥٧ — P.G. 73, 584 CD

(٦٣) العبادة بالروح والحق — P.G. 68, 297 D

والحياة»، «أنا هو القيامة **والحياة**»، «أنا هو **خبز الحياة**... النازل من السماء الواهب **حياة** للعالم»...

- وأما **الخلود** فهو في أصله اللغوي **«عدم الموت»** ἀθανασία ، وهو أيضاً صفة طبيعية موقوفة على الله وحده.

«الذي وحده له عدم الموت ἀθανασίαν » (١تى٦: ١٦).

فالحياة والخلود ليست، إذن، من صفات الإنسان الطبيعية، بل من صفات اللوغوس وحده. ولم يكن ممكناً أن يكتسبها الإنسان إلا عن طريق تجسد اللوغوس، واتحاده بجسد بشري مساوٍ لأجسادنا، فتنتقل منه إلى هذا الجسد صفات الحياة والخلود، و يصير هذا الجسد نفسه محيياً، ثم يسلِّم لنا اللوغس هذا الجسد المحيي، لنأكله فنستمد منه الحياة الإلهية والخلود.

فسر الأولوجية يستمد فاعليته وقوته من سر التجسد، أو بمعنى آخر نحن نستمد الحياة والخلود من الجسد المحيي، حينما نتحد به، لأنه هو نفسه متحد باللوغوس الحالّ فيه، اتحاداً من أوثق ما يمكن.

وبهذا نكتشف هنا أيضاً المبدأ الأساسي للقديس كيرلس، الذي يقود كل منهجه الروحي: إن الإتحاد الأقنومي الذي تم بين اللوغوس وجسده الخاص في سر التجسد، هو ينبوع جميع الخيرات المتدفقة نحونا.

[فلأن جسد المخلِّص قد صار محيياً بسبب اتحاده بالذي **هو الحياة بطبعه** أعني كلمة الله، لذلك **فنحن حينما نأكل من هذا الجسد المحيي ننال منه الحياة داخلنا، لأننا نصير متحدين بهذا الجسد، بمثل ما هو متحد باللوغوس الحال فيه**](٦٤).

أي أن الحياة تنتقل من اللوغوس إلى جسده الخاص، فتجعله جسداً محيياً، ثم

(٦٤) تفسير إنجيل يوحنا ٦ P.G. 73, 577

تنتقل بسر الأولوجية من هذا الجسد المحيي إلينا نحن.

ومن هذا يظهر بوضوح أن سر التجسد هو مصدر فاعلية «الأولوجية المحيية»، أي الإفخارستيا.

[نؤمن أن كلمة الله الآب (اللوغوس)، الذي **هو الحياة بطبعه، اتحد بجسد ذي نفس عاقلة**، مولود من القديسة العذراء **وجعله محيياً، بهذا الإتحاد السري الفائق الوصف، حتى أنه إذ يجعلنا نشترك فيه روحياً وجسدياً، يرفعنا فوق الفساد، ويبطل ناموس الخطية المالك على أعضاء جسدنا**](٦٥).

[فإن الجسد نفسه قد صار فعالاً بذاته، **بسبب الكلمة الساكن فيه...**](٦٦).

[فالجسد المقدس قد لبس قوة الله وفعله، لأنه الجسد الخاص للإبن، دون أن يكون جسداً لآخر غيره... هو الجسد الخاص لذاك الذي هو وحده و بذاته الإبن](٦٧).

[**لذلك فحينما نتناول من هذا الجسد، فهو يحولنا إلى حالته الممتازة، أي إلى خلود وإلى حياة**](٦٨).

[فالذين يتناولون خبز الحياة جزاؤهم **الخلود**، فإنهم يرتفعون بعيداً عن الفساد وكافة الأوجاع، إلى **الأجواء العليا الأبدية للحياة، بحسب المسيح**](٦٩).

[إن الماء بارد بطبعه، ولكنه إذا سُكب في إناء وقُرِّب من النار، فكأنى به ينسى صفاته الخاصة و يكتسب صفات النار. وهكذا نحن الفاسدين، بحسب طبيعة جسدنا، **فإننا نترك ضعفاتنا حينما نمتزج بالحياة الحقيقية ونقبل صفات الحياة**](٧٠).

---

(٦٥) ضد نسطور ٤ : ٤ — P.G. 76, 197 BC

(٦٦) تفسير متى ٨ : ٣ — P.G. 72, 389 D

(٦٧) تفسير يوحنا ١٤ : ١ — P.G. 74, 181 A

(٦٨) تفسير يوحنا ٦ — P.G. 73, 577, 578

(٦٩) تفسير يوحنا ٦ — P.G. 73, 561

(٧٠) تفسير يوحنا ٦ — P.G. 73, 580 A

وجدير بالذكر أن صفات الحياة والخلود تنتقل إلينا على الخصوص بفعل **قيامة المسيح**. فسر الإفخارستيا متصل اتصالاً، من أوثق ما يمكن، بقيامة الرب.

فذبيحة الإفخارستيا ليست فقط ذكرى لذبيحة المسيح على الصليب، بل و بالأحرى لقيامته المجيدة:

[حينما نشترك في سر الأولوجية، نحن لا نبشر فقط بموت المسيح، بل و بقيامته أيضاً](٧١).

[فباعترافنا بموته، بل و بقيامته أيضاً بكل تأكيد، نحن نكمل سر التقوى الأعظم](٧٢).

لذلك فالإفخارستيا تنقل إلينا من قيامة الرب قوة حياة لا تزول. أليست هذه هي كلمات الرب نفسه: «من يأكل جسدي و يشرب دمي فله حياة أبدية **وأنا أقيمه في اليوم الأخير**... هذا هو الخبز النازل من السماء، **لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت**... إن أكل أحد هذا الخبز **يحيا إلى الأبد**» (يو٦: ٥٤، ٥٠، ٥١).

فالأولوجية المحيية تنقل إلينا من الجسد المحيي قوة القيامة المذخرة فيه، بمثل ما كانت تنتقل منه إلى الأموات الذين أقامهم الرب أثناء حياته الأرضية، بمجرد لمس جسده المحيي. فهذا هو ما يقوله القديس كيرلس بخصوص إقامة إبنة يايرس، بمجرد لمس جسد المخلص:

[فإن كان قد أحيا ما قد فسد، بمجرد لمس جسده، فا أوفر المنافع الروحية التي ننالها (بسر الأولوجية)، الذي به لا نلمس فقط هذا الجسد، بل ونأكله أيضاً!](٧٣).

فسر الأولوجية هو فينا **عربون القيامة، وهوبذرة الخلود والحياة الأبدية**، التي

---

(٧١) جلافير على اللاويين — P.G. 69, 576

(٧٢) جلافير على التثنية — P.G. 69, 649

(٧٣) تفسير يوحنا ٦ — P.G. 73, 577 D

يغرسها فينا الرب بجسده المحيي، حتى تتغلب على الفساد الذي فينا وتقيمنا في اليوم الأخير:

[من المستحيل أن ذاك، الذي هو **الحياة بطبعه، لا** ينتصر على الفساد ولا يبطل الموت. فمع أن الموت يُخضع الجسد البشري للفساد، فلأن المسيح فينا بجسده فإننا نقوم بالضرورة. فإن شظية مشتعلة مخفية في كوم من القش تحتفظ بأصل النار، وهكذا يخفي سيدنا حياته فينا بجسده ويحفظها فينا **كبذرة خلود**] (٧٤).

فالأولوجية المحيية هي فينا «بذرة خلود» وهي تبطل فينا تماماً بذور الفساد والموت:

[المشرب الحق هو الدم الكريم، الذي للمسيح، الذي يُبطل فينا تماماً الفساد والموت] (٧٥).

ب ــ قرابتنا مع المسيح التي تتم في سر الأولوجية،
تُدخلنا في قرابة مع الله الآب أيضاً:

إن سر الأولوجية يجعلنا [**أقرباء للوغوس الحي والمحيي**] (٧٦).

[**فقد نلنا نصيباً في القرابة معه**، بواسطة الإيمان، **لأننا صرنا شركاءه في الجسد، بواسطة سر الأولوجية**] (٧٧).

على أن هذه القرابة، القائمة على سر الأولوجية، هي أوثق بما لا يقاس من قرابة اللحم والدم الكائنة بين البشر؛ لأن بالأولوجية السرية يتم تداخل وامتزاج حقيقي بين جسدنا وجسد الكلمة (الإبن)، وبين دمنا ودمه المحيي؛ فندخل بذلك في شركة فائقة

---

(٧٤) تفسير يوحنا ٦ — P.G. 73, 581 BC

(٧٥) شرحه — P.G. 73, 584 A

(٧٦) تفسير يوحنا ١٧ : ٣ — P.G. 74, 488 A

(٧٧) جلافير على التكوين ١ — P.G. 68, 29 BC

لا نظير لها، جسدية وروحية معاً، مع اللوغوس الإبن المتجسد، بكيانه الإلهي البشري الواحد. فنحن في سر الأولوجية ندخل في علاقة قرابة فائقة مع جسد المسيح، وبالضرورة بالتالي مع لاهوته. ثم من خلال علاقتنا هذه بالإبن، ندخل في علاقة قرابة مع الله الآب عينه!

ـ فنحن نصير بسر الأولوجية [**أحباء ومعروفين لدى الله الآب**](٧٨).

[وبشركة جسده الخاص، الذي دخل فينا، نحن ننال الشركة مع الله](٧٩).

[وبالإجماع قد صرنا أقرباء لله الآب، بالجسد الذي في سر المسيح](٨٠).

أي أننا نصير أقرباء للآب السماوي، عن طريق تناولنا من هذا الجسد ومن هذا الدم الإلهيين، هنا إبداع في المعنى. هنا قمة سر التجسد. هنا تنتقل قرابتنا الجسدية مع المسيح باللحم والدم بصفته «واحد منا»، إلى قرابة روحية فائقة من نوع فريد مع الله، وذلك جاء ثمرة مترتبة على اتحاد اللاهوت بالناسوت في سر المسيح، «بالجسد الذي في سر المسيح». فقد صارت القرابة الجسدية، التي تربطنا مع هذا الإله المتجسد باللحم والدم، قرابة إلهية فائقة مع الآب والإبن والروح القدس، وذلك على قدر ما أن الجسد متحد باللاهوت «في سر المسيح»!

[وهكذا نحن جميعاً واحد في الآب والإبن والروح القدس، فنحن واحد بأسلوب حياتنا الواحد، بنمط تقوانا الموحد، **بشركة جسد المسيح المقدس، وبشركة الروح القدس الوحيد]**(٨١). □

---

(٧٨) العبادة بالروح والحق ١٧ P.G. 68, 1076 B

قارن مع عمل الروح القدس فينا الذي يجعلنا أيضاً محبوبين لدى الله الآب (قول ٥٢).

(٧٩) تفسير يوحنا ٦: ٣٥ P.G. 73, 517 D

(٨٠) تفسير يوحنا ٨: ٣٧ P.G. 73, 869 C

(٨١) تفسير يوحنا ١٧: ٢٠، ٢١ P.G. 74, 557, 561

عمل الروح القدس في العذراء وفينا

أغسطس ١٩٧٣



عمل الروح القدس في العذراء وفينا

* * *

منذ يوم الخمسين ــ أي منذ أن عيَّدنا للروح القدس ــ وقلوبنا مرفوعة بالروح، لنرى ونحس بكل أعمال الكنيسة وأعيادها، في نور الروح القدس.

نحن نصوم هذا الصوم، الذي ينتهي بعيد صعود جسد القديسة العذراء مريم، أو بالتحديد عيد ظهور جسدها. ولكن ما هذا الجسد الذي نعيِّد لظهوره أو لصعوده؟ تعيب علينا الطوائف الأخرى أننا نعيِّد للأجساد ونكرم الأجساد، ولكن انظروا وتأملوا معي يوم البشارة المقدسة التي أُرسل فيها الملاك جبرائيل بالبشارة، وقال للعذراء: «سلام لك أيتها **الممتلئة نعمة**». لقد رأى الملاك بروٌ يا واضحة ملء النعمة في العذراء، جسداً ونفساً وروحاً. أما هي فحينما استفسرت منه كيف يكون حملها بالكلمة، قال لها: «الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك».

«الروح القدس» نفسه يحل عليكِ، أما مفاعيله فهي «قوة العلي تظللكِ». كلمة «تظللكِ» في أصلها العبري واليوناني تعني «يعمل خيمة أو مسكناً». فالخيمة هي المسكن الذي كان يحل فيه الله في العهد القديم، وفيه تابوت العهد موضوعاً في قدس الأقداس. فالحلول في أصل الكلمة هو «السُّكنى»، والكلمة مشتقة من النطق العبري «اشكيناه». إذن، فـ«قوة العلي تظللكِ» تعني أن قوة العلي تسكن فيكِ، أي تحوط بالعذراء من داخل ومن خارج وتحفظها. والحلول هنا، ليس بالمفهوم المكاني، بل هو حلول كلي، «لذلك فالقدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله».

هذه هي أول مرة تسمع فيها البشرية هذا الصوت، أن الروح القدس يحل على الإنسان و يكون ذلك بداية لسكنى دائمة.

كنا نعرف الروح القدس في العهد القديم أنه يحل على الأنبياء ليتكلم فيهم، و بعد أن يتكلم لا يكون فيهم بعد. أما في العذراء القديسة فقد وجدنا أن حلول الروح القدس يدوم، لأنه متلازم مع الحبل الإلهي متحداً بالكلمة الذي كان ينمو في الحشا البتولي، لأنه كما يقول الآباء: [حيث يوجد المسيح يوجد الروح القدس]. لذلك فبمجرد أن حل الكلمة ابن الله في أحشاء العذراء، حلّ الروح القدس في الحال، بدون أي فارق زماني أو مكاني على الإطلاق.

العذراء مريم كانت ومازالت مثلاً للبشرية كلها، كل إنسان مدعو أن ينفتح قلبه وذهنه لحلول الكلمة في القلب: «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف٣:١٧)، فإذا ما حل المسيح، يحل و ينسكب معه الروح القدس أيضاً.

العذراء كانت، ولا تزال، نموذجاً لكل إنسان يتقبل **الكلمة**، والإنسان يتقبل الإيمان بالخبر، والخبر بالكلمة. فإذا ما استقرت الكلمة في القلب، أي كلمة الإيمان بالمسيح، و باسم المسيح، بفرح وقبول حسن، ففي الحال يلازم الإيمان عمل وفعل الروح القدس، وقوة تحيط بالإنسان وتحل فيه، حتى تنمو فيه «الكلمة» و يتصور المسيح كاملاً...

ولكن ليس الأمر أن كل هذا يتم سريعاً وفي الحال. إنما الروح القدس، في تدرج عمله في الإنسان، يمر على مرحلتين. فإذا قرأنا من إنجيل يوحنا الأصحاح السابع نجد هاتين المرحلتين:

ــ «وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً: **إن عطش أحد، فليُقبل إليَّ و يشرب.** من آمن بي ــ كما قال الكتاب ــ **تجري من بطنه أنهار ماء حيّ.** قال هذا **عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه. لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد**» (يو٧: ٣٧ــ٣٩).

ما هو مجد المسيح؟ وما معنى «لم يكن قد مُجِّد بعد»؟ إن معناها البسيط هو أنه لم

يكن قد صُلب بعد. فالصليب كان هو المدخل لمجد المسيح.

هذا الإرتباط الكبير موجود في حياتنا، أي الإرتباط بين أن يتمجد المسيح فينا وبين أن يعطى الروح القدس لنا. فكيف يتمجد المسيح في حياتك؟ هل صُلب المسيح في حياتك؟ هل هو قائم الآن مصلوباً فيك وأنت فيه؟ حتى يعمل الروح القدس فيك بقوة؟

ولكن ما معنى أن يُصلب المسيح في حياتي؟ واضح أن كل من يشهد للمسيح، يشترك مع المسيح في صليبه، والكل مدعو للشهادة، وبالتالي للتألم مع المسيح! وبهذا يؤهِّل الجميع للروح القدس.

البعض يضعون الآلام على أنفسهم، كأن يجاهدوا جهادات جسدية بأصوام وأسهار وتقشفات كثيرة. هذا حسن جداً. ولكن ما هو أحسن منه أن نقبل ما يصادفنا من آلام اضطرارية دون أن نئن منها أو نرفضها.

وصليب المسيح ينبغي أن يكون هذا وذاك. فالمسيح قَبِلَ الصليب، ولكنه لم يَصلب نفسه، مع أنه كان دائماً مستعداً للصليب. هذا تماماً هو موقفنا من صليب المسيح وآلامه، أن نكون مستعدين للآلام، فإذا أتت لا نرفضها.

الصوم الذي نصومه في صوم السيدة العذراء أو بقية الأصوام، هو مدخل أو وسيلة لينبه القلب والذهن والجسد أيضاً، أن نكون على استعداد لإحتمال الآلام حينما تأتي على الإنسان رغماً عن إرادته. **فإذا كان الصوم هو الألم الإرادي، فالإضطهاد هو الألم غير الإرادي، والصليب هو الإثنان معاً.**

لا يمكن أن يتصالح الروح القدس مع إنسان يرفض الصليب، أي يرفض الآلام الإضطرارية، أو يستعلي على الجهادات الجسدية. فالمسيحي مدعو أن يجاهد كجندي صالح ليسوع المسيح، يتألم بإرادته، ولا يرفض الصليب عندما تأتي ساعته.

ولكن الصليب لا يصح أن نراه فقط في رفع الجسد على الخشبة وتسمير اليدين.

الصليب في حياة المسيح بدأ منذ ولادته، في أقسى شهور الشتاء (آخر كيهك وطوبة)، وفي العراء تقريباً، وفي بداية حياته اضطُّهد ونزل إلى أرض مصر. إذا تتبعنا حياة المسيح نجد أن فعل الصليب بدأ منذ أن بُشِّر به وهو في البطن. حتى العذراء تألمت بسببه «وأنتِ يجوز في نفسكِ سيف» (لو٢: ٣٥)، وألم العذراء كان ينعكس بالطبيعة عليه وهو في البطن!! واستمرت الآلام حتى يوم الصليب، إلى أن كمل على يديّ قيافا وبيلاطس، فصليب المسيح كان حياته!!

حياة المسيحي تبتدىء فعلاً يوم أن تحل الكلمة في قلبه وفي ذهنه، وحينئذ أيضاً يبتدىء الصليب في الحال. لا يمكن أن تنفصل «**الكلمة**» عن «**الصليب**». حقاً إن المسيح بدأ معنا كلنا منذ معموديتنا، وكلنا نتألم بسبب مسيحيتنا، حتى ولو لم نكن قد بدأنا سيرة إيماننا الحقيقي مع المسيح ـ أي رحلة إيماننا عبر العالم بالشهادة والإعتراف. لكن المسيح لابد أن يتمجد في حياتنا، وهو على صليبه في قلوبنا، ونحن معه مصلوبون.

«مع المسيح صُلبتُ» (غل٢: ٢٠)، لم يقلها بولس عفواً، فإن بولس صُلب حقاً، منذ أن ظهر المسيح في السماء لشاول وهو في الطريق، وحلّ بالإيمان في قلبه. وصليب بولس بدأ بشدة وعنف، بقدر شدة إيمانه وعنف حبه!!...

منذ أن عرفتُ المسيح، وفخري هو صليب المسيح. هذا هو مجد المسيح في حياتنا، أن يُرى صليب المسيح بوضوح في سلوكي، كإنسان لا يعتني من الألم، ولا يعتني مما وراء الشهادة من ألم، والإضطهاد يسبق دائماً طريق المبشر!!

إذن، فكل مسيحي قَبِلَ المسيح في أحشائه «ليكن لي كقولك»، يرتسم الصليب في الحال أمام عينيه، في ذهنه، وفي قلبه، وفي طريقه «أنتم الذين أمام عيونكم قد رُسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً» (غل٣: ١). **وهكذا لابد أن يتمجد المسيح في حياتنا حتى يُعطَى لنا الروح القدس «لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد»!!**

نحن نتكلم عن روح حي موجود فينا ومعنا، تقبلته العذراء كنائبة عن البشرية يوماً من الأيام. ومنذ ذلك اليوم، وعلى الأخص منذ يوم الخمسين، لم يَنْفكَّ عن أن يعمل في قلوبنا بشدة، منذ أن تمجد المسيح بالصليب، واستطاع أن يقدم الجسد ذبيحة عن كل إنسان وعن كل خطيئة. ارتفع بهذا الجسد ــ أي جسد الإنسان الضعيف ــ وصعد إلى السماء وأجلسه في السماويات عن يمين العظمة في الأعالي. فلما استقر الإنسان في المسيح عن يمين الله، انسكب الروح القدس بغنى على البشرية يوم الخمسين. وأول من انسكب عليه، كانت العذراء، لأنها كانت معهم في العلية، تصوم وتصلي بانتظار موعد الآب!!

فالروح القدس الذي حلّ على العذراء «**ملازماً للكلمة**» يوم البشارة، أكمل فعله فيها من أجل خلاصها يوم الخمسين!!، وكما سكن العذراء، سكن الكنيسة كلها!!

نحن نعرف أنه منذ العهد القديم وحتى يوم الخمسين، كان ممكناً أن الروح القدس «يحل على» أو «يكون مع»، ولكن أن «يسكن في» فلم يكن ممكناً إلا منذ يوم الخمسين.

يالمجد البشرية حينما جلست في المسيح عن يمين العظمة في الأعالي، لذلك لم يكن كثيراً عليها أن يحل الروح القدس و يسكن فيها!

هنا ترابط عجيب بين عمل المسيح فينا وعمل الروح القدس! فلا يمكن لواحد أن يستغني عن الآخر.

ــ «خير لكم أن أنطلق (المسيح يتكلم هنا)، لأني **إن لم أنطلق، لا يأتيكم المعزي**» (يو١٦: ٧).

المسيح كان مع التلاميذ يرونه رؤيا العين، و يسمعونه سمع الأذن، و يلمسونه لمس اليد، يسيرون معه أينما سار، يعزيهم بكل عزاء، يدافع عنهم كمحامٍ، كپاراكليت، ضد الكتبة والفريسيين وكل المعاندين والأعداء. استطاع أن يمدهم بقوة

وبسلطان ضد الشيطان، بل واستطاعوا أن يشفوا المرضى، ويُخرجوا كل روح ضعف وسقم في الشعب. ولكن بالرغم من كل ذلك قال لهم: «**خير لكم أن أنطلق** (أي أترككم)، لأني إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي». هنا تبدو رسالة الروح القدس في غاية الأهمية!!

قد ينسى الإنسان ما رآه وما سمعه، كما نسى بطرس كل شيء، كل تعاليمه وكل معجزاته وإقامته للموتى، حتى تجرأ وأنكره، ثم لعن بقَسَم «لستُ أعرفه»!! من هذه الحادثة بالذات تظهر أهمية عمل الروح القدس القصوى فهو «يذكّركم بكل ما قلته لكم» (يو١٤: ٢٦). بدون الروح القدس يمكن أن ينسى التلاميذ وأقرب المقربين كل ما قاله المسيح، وكل الأعمال التي صنع، ولا تسعفه آية أو برهان ليؤمن أو يعترف بابن الله!!

ما أعظم الإلتصاق بالروح القدس وما أخطر البعد عنه!!

إن الإلتصاق بالروح القدس هو سر جميع الأسرار، شبهه بولس الرسول لنا وهو يتكلم عن الإلتصاق بالمرأة، «**من التصق بالرب فهو روح واحد**» (١كو٦: ١٧)، وحينما تكلم عن الزواج والمرأة والرجل انتقل في الحال ليتكلم عن الحقيقة الأولى، أي **المسيح والكنيسة**.

زواج المرأة والرجل هو صورة لحقيقة أولى. والحقيقة الأولى هي علاقة المسيح بالنفس البشرية، لأنه بالروح القدس تتحد النفس البشرية بالمسيح ليصيرا معاً روحاً واحداً.

الإلتصاق بالروح القدس نفهمه جيداً من يوم البشارة، من العذراء مريم، «الروح القدس يحل عليكِ» ــ ليت يوم العذراء يكون هو يومنا، فنشعر نحن أيضاً بالذي تم فينا يوم اعتمادنا، هذا الحلول الذي أنتج فينا عشرة حياة متحدة أثمرت فينا تصوُّر المسيح في القلب أو في الأحشاء «أتمخض بكم إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم» (غل٤: ١٩).

الإنسان مدعو ليكون هيكلاً حياً للمسيح، والروح يسكن فيه سكنى أبدية، وعشرة

تثمر حياة على صورة المسيح، و يُعاد فيها تصوير الكيان الداخلي كله بكل الأعضاء حتى يصير على صورة خالقه في البر وقداسة الحق.

«من التصق بالرب يصير معه روحاً واحداً» حينئذ «نتغيَّر... من مجدٍ إلى مجد كما من الرب الروح» (٢ كو٣: ١٨) «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها»، أي إلى صورة المسيح في الوداعة، في الإتضاع، في المحبة، في الغيرة، في الحق، في الشجاعة، في الإيمان، في النطق بالحق بلا تحفظ، في احتمال الآلام، في قبول الصليب، في الفرح في الضيق والإضطهادات والظلم، وفي كل ما للمسيح «يأخذ مما لي ويخبركم»، وهكذا يتصور المسيح فينا.

عمل الروح القدس ينقل ما للمسيح و يطبعه في حياتنا لنكون على صورة المسيح، حتى يرانا الآب فيرى المسيح، فتتحنن أحشاؤه علينا، كما تحننت أحشاؤه على إبنه المذبوح على الصليب.

طوبى للإنسان الذي يئن أنّات المسيح التي أنَّها على الصليب، لأن بها تنفتح مغاليق السماء، و يسكب الآب مراحمه، ويختم على آلام الإنسان بالمجد!

إن عمل الروح القدس في الإنسان كبير. ينقل كل ما قاله المسيح وكل ما عمل ليصير جزءاً من حياتنا، بل بالحري يصير حياتنا. إنه يلح أولاً علينا حتى يقنعنا به. فعندما نقبل أن نكون على شبه المسيح، يحل المسيح نفسه، ويحيا فينا بالروح القدس، و بذلك ينقلنا من حالة العبودية إلى حالة البنوية الروحية.

البنويَّة لله لا تأتي عفواً، لابد أن ينقل الروح القدس فينا أولاً صورة المسيح الإبن، حتى حينما يرانا الآب يرى إبنه. نئن، فيتذكر أحزان الإبن المحبوب «نفسي حزينة جداً حتى الموت» (مت٢٦: ٣٨)، وإذ نصنع مشيئة الآب، تنفتح علينا أحشاء مراحم الله!

إذن، عمل الروح القدس هو أن ينقل لنا ما عمله المسيح لنحياه بالحق. وحينما

تكتمل آلام المسيح وصورة طاعته بالحق فينا، حينئذ يكتمل فينا وعد الله: «إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه» (رو٨: ١٧).

«إن عطش أحد فليُقبلْ إليّ و يشرب»

هل أنت عطشان؟ هل الحياة مجدبة؟ أليس ما يعزيك و يعينك؟ هل العالم يضغط عليك بآلامه وأوجاعه ومرارته؟ إن كنت عطشاناً حقاً، فالرب يدعوك للإرتواء من ينبوع حبه. وأن ترتوي بالروح، فهذا هو العمل الأصغر!! أما العمل الأعظم فهو «ومن آمن بي **تجري من بطنه أنهار ماء حي**» (يو٧: ٣٨). من يعطش للروح يرتوي، ولكن من يرتوي، تخرج من بطنه أنهار ماء حي. كل من يرتوي يفيض، حتماً يفيض!

ياللروح القدس! و يالعمله المتكامل مع المسيح! المسيح يسقي حتى الإرتواء. والروح القدس يفجّر أنهار ماء حي من بطن الإنسان.

حالما يدخل الإنسان في سر صليب المسيح، يدخل في الحال في عمق أسرار الروح القدس وعمله، فيفيض أنهار تعزيات!!

ولكن «لأن الروح القدس **لم يكن قد أعطي بعد،** لأن يسوع **لم يكن قد مُجّد بعد**» (يو٧: ٣٩)، فستظل هكذا حياتك في حاجة إلى مجد الصليب، لأن الروح لا يُعطى عفواً. حينما تبدأ في المجاهرة بصليب المسيح، حينئذ تحل عليك قوة العلي، لأن صليب المسيح هو مصدر القوة والحياة.

الروح القدس يقف رهن إشارة شهوة القلب، لشركة الآلام والأنين مع المسيح، لخلاص الآخرين، لأننا بها نقف أمام الآب بدالة: «إن **عُيِّرتم** باسم المسيح، فطوبى لكم، لأن **روح المجد والله يحل عليكم**» (١بط٤: ١٤).

الروح القدس يتحسس مقدار استعدادنا، ثم مقدار قبولنا، ثم مقدار فرحنا بالصليب و بالآلام، وحينئذ ينسكب بفيض وغنى.

ثم يستحيل أن يرتوي إنسان بحب المسيح، ولا تنفجر أحشاؤه بمواهب الروح القدس، لخدمة المسيح!! فالله لا يعطي بالشح. أليس هو الذي قال على لسان بولس

الرسول: «من يزرع بالشح فبالشح أيضاً يحصد» (٢كو٩: ٦). فكم بالحري، وهو قد زرع بغنى في يوم الخمسين وبفيض مذهل، ألا يكمل زراعته على مدى الأيام والسنين بفيض مواهبه وبركاته؟

ألا تعلمون أن الرب غني ــ وهذه إحدى صفات المسيح الهامة جداً التي يجب أن نتعرف عليها، فإذا أعطى الروح القدس فهو يعطي بلا كيل (يو٣: ٣٤). يقول الرب: ــ «فمن منكم وهو أب يسأله إبنه خبزاً أفيعطيه حجراً، أو سمكة أفيعطيه حية بدل السمكة، أو إذا سأله بيضة أفيعطيه عقرباً. فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري **الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه**» (لو١١: ١١ــ١٣).

المقارنة هنا تهدف نحو دعوة صارخة للصلاة في طلب الروح القدس، ولكن ليس مطلوباً من الإبن في هذا المثل أن يطلب بلجاجة أو بإلحاح، ذلك لأنه إبن. إنما اللجاجة تُطلب ــ في مثل الكنعانية ــ من العبيد «خبز البنين لا يُطرح للكلاب» (مت١٥: ٢٦). أما الإبن فيطلب بدالة!!

المسيح يريد أن يصور لنا أن مجرد طلب الروح القدس بدالة الإبن لدى الآب لابد أن يُستجاب، لأن أولاد الله لا يمكن أن يعيشوا بدون الروح القدس، كما لا يمكن للبنين أن يعيشوا بدون طعام!!

العذراء قالت: «ليكن لي كقولك» فتم كل شيء! هذا تنبيه لإيماننا أن نكون على مستوى الدعوة للأخذ المباشر. فالله مستعد أن يعطي ولكنه يريد قلباً يقول آمين، ــ ليكن لي كوعدك ــ يقول الكتاب: «سأسكب من روحي على كل بشر» (يوئيل٢: ٢٨). لذلك أصبح لزاماً علينا من جهة الإيمان أن نثق أن لنا طلباتنا التي نطلبها من الله ــ نأخذ الروح القدس لأننا نطلبه من الله لنحيا ونشهد به للمسيح.

ولكن الله لا يستأمن إنساناً لم يعزم، عزم القلب، على أن لا يهين الروح القدس بكبرياء أو عداوة أو نجاسة، فقد نأخذ الروح في المعمودية ثم نفضحه في الشوارع؟ لا

يليق ياإخوتي أن نأخذ الروح القدس ولا نعيش بوداعة المسيح وصبره. أليست العذراء مريم هنا مثالاً حياً لمن ينال الروح القدس في القداسة وطهارة السيرة!

ولكن عمل الروح القدس في المعمَّدين عمل دائم، لأنه يأخذ كل يوم من دم المسيح المسفوك على الصليب، و ينضح على هيكل الجسد والنفس من الداخل «مرشوشة قلوبكم من ضمير شرير» (عب ١٠ : ٢٢).

الروح القدس يأخذ طهارة دم المسيح و يغسل القلب من الداخل، «ماء ودم» ينضح بهما إلى الأبد على المفديين. حقاً لقد انفتح للبشرية ينبوع تطهير أبدي من جنب المسيح بالماء الحي والدم المحيي، لي ولك، ولكل خطاة الأرض، ينبوع طهر وشفاء، لأنه حينما يسري دم المسيح في جسمي، تضمحل الخطية من أعضائي، و يتحول الموت فيَّ إلى حياة أبدية!

لقد أكمل المسيح ذبيحة الفداء عن الخطيئة، على الصليب. ولكن مَنْ الذي ينقل لي فعل هذه الذبيحة، بكل ثمارها الخلاصية، إلا الروح القدس؟! فيقنعني و يشهد لي أني صرت إبناً!!

ولكن الروح القدس لابد أن ينخس قلبي، أولاً، و يقنعني بخطيتي، حتى أرى الدم ضرورة حتمية لخلاصي.

عمل الفداء أكمله المسيح بدمه، بصفة عامة ومجاناً، لكل البشرية. ولكن ليس لأحد حق في هذا الدم إلا الذي قَبِلَ الختم أولاً، ثم انفتح قلبه للروح القدس، وقَبِلَ سكناه بعهد أبدي، وخضع لكل مطالب الروح في القلب والفكر.

الروح القدس ينقل لنا عمل الفداء وعمل التبرير مجاناً، لأن بيننا و بين الفداء هوة، لا يستطيع أحد أن يعبرها، وحتى إن أدركها عقلنا فلا يستطيع أحد أن يجعلها تسري في حياتنا. قد تسمعون وتدرسون كثيراً عن لاهوت الفداء ولاهوت التبرير، ولكن مع هذا لا تستطيعون أن تأخذوا عمل الفداء وعمل التبرير في حياتكم، إلا بفعل الروح القدس!

فالروح القدس ينقل لنا الفداء كفعل حي، والتبرير كقوة محرِّكة، والصليب كمجد وتهليل، والموت في القبر كحياة، والقيامة كملكوت، ينقل كل هذا بإقناع و يسلمه لنا بسلطان.

نحن مدعوون أن نأخذ سرّ المسيح، حينما يحول الروح القدس كل ما عمله المسيح في نفسه، بمسرة الآب، ليجعله عملاً في نفوسنا للبهجة.

ياليت كل أسرار الصليب ينقلها إلينا الروح القدس، مع وداعة المسيح المصلوب، الذي وهو في عمق الألم ينادي الآب: «ياأبتاه اغفر لهم»، حتى يصير صليبي بركة لكل نفس، وليس لعنة، حتى للصالبين!

هكذا تماماً ينبغي أن تصير آلامنا، حينما يخيم عليها سر الصليب، مشفوعة بنفس الصلاة! نعم، اجعل يارب آلامنا وذُلّنا واضطهادنا، بركة وخلاصاً لكل من ظَلَمنا، ولكل من اضطهدنا، ولكل من أساء إلينا، أو كان سبباً في آلامنا، حتى تصير حياتنا بركة لجميع الناس، لا يشوبها لعنة لإنسان قط!

هذه هي صورة المسيح، يطبعها الروح القدس على قلوبنا، بعمله الوديع الهادىء، و بسرٍّ لا يُنطق به، فتصير النفس مع عريسها السمائي روحاً واحداً!!

نعم، يستطيع الروح أن يقنعنا بذلك، حينما نكون كالجواد الجامح الذي لم يمسه السوط بعد، عندما يسوق علينا الضيقات والآلام المتنوعة، ليخضعنا لصورة المسيح بقيادته المبدعة، فيتمرس الإنسان بفنون الصليب، و يستنشق ريح الإضطهاد من بعيد، فيستعد لها بالصلاة والحب وإحناء الظهر، ليس بكبرياء الهارب من مجد الصليب يقف أمام مضطهديه، ولا بالمنطق والتهديد والعنف يقارع صالبيه، فيدوس الجلجثة بكبريائه ويجحد الصليب بكرامته، فتفلت منه قوته. لأن قوة الصليب لا يمكن أن تبلغ مداها في القلب، إلا عندما يهتف الإنسان عن صدق و يقين: «في يديك أستودع روحي» حتى إلى الموت!!!

لابد لمن أراد أن يشهد للمسيح بالروح، أن يضع في نفسه، كل لحظة، حكم الموت!

لأنه من استطاع أن يغلب هذا العالم، إلا الذي مات عن هذا العالم، واستعد أن يموت كل يوم لأي سبب، و بأي يد، وفي أي وقت؟ مثل هذا تكون شهادته نارية، وحياته نارية، وصلاته نارية، بل وموته أيضاً يكون نارياً، كإيليا. مثل هذا تكون كلماته قادرة أن تغيِّر، وتجدد النفوس الشاردة والماردة، لأنها بالروح القدس تكون منطوقة، ولمجد الله وحده.

وفي كلمة أخيرة، أنبه ذهنكم لما يقوله المسيح: «تجري من **بطنه** أنهار ماء حي»، لم يقل من «فمه»، لأن «من فضلة القلب يتكلم الفم». إن الرب بهذا القول يريد أن يتجاوز الظن بأن عمل الروح القدس يقتصر على كلمة الكرازة فقط.

الرب بقوله إن من البطن تخرج أنهار ماء حي، إنما يشير إلى الكنيسة المخصبة بالروح، يشير إلى المواهب المتعددة الأنواع، التي لا يمكن حصرها أو تقييدها. فثق أيها السامع والقارىء أنه بقدر ما استؤمنتَ على عطية الروح القدس، بقدر ما يتألم المسيح في حياتك، بل يتمجد، إن قبلت أنت أن تكون شريكاً في هذا وفي ذاك؛ وعندما تخرج من بطنك أنهار ماء حي، لن تعود تستطيع أن تضبطها أنت أو توجهها، لأن الروح القدس يختار مسارها ويحدد أهدافها؛ أما أنت فيكفيك أن تهتف دائماً: «مستعد قلبي يا الله ... مستعد قلبي» (مز٥٧: ٧).

إن عمل الروح القدس يتم قليلاً قليلاً، وهذا يكون في التغيير و بدء التوبة، أما إذا تم التغيير وصَلُحَ الإناء، فعمل الروح يندفق، كنهر، كوعد الآب، وأنهار الله تجري من عرش الله ملآنة بأسرار الحياة.

ولكن الشاربين قليلون، لأن الكثيرين اختاروا تعزيات هذا الدهر، واشتهوا بالأكثر أن يرتووا من كرامات الدنيا، وقد بنوا قصورهم وآمالهم على شواطىء نهر الذهب.

صلاة

يـاروح الله، يامن حللت على العذراء يوماً مع قوة العلي، فكانت بشري الخلاص لكل بني الإنسان...

ويـامـن نـزلت مستقراً على المسيح في الأردن، فكان سر ميلادِ البشرية كلها مجدداً من السماء...

ويـامـن أقمـت يـسـوع مـن بين الأمـوات، بأمر الآب، ليعلن جهاراً سرّ الحياة الأبدية التي فيه، لبدء دخول أزمنة ملكوت الله...

ويـامـن نـزلـت، بـاسـتـقـرار، على الـتـلامـيـذ، يـوم الخـمسين، كنار، فـاضـطـرمـت مـواهـب الـروح للـشهادة للمسيح في كل الأرض، ولن تنحصر حتى مجيئه.

حِلّ في كنيستك مع قوة من الأعالي، واستقر فيها وأقمها...

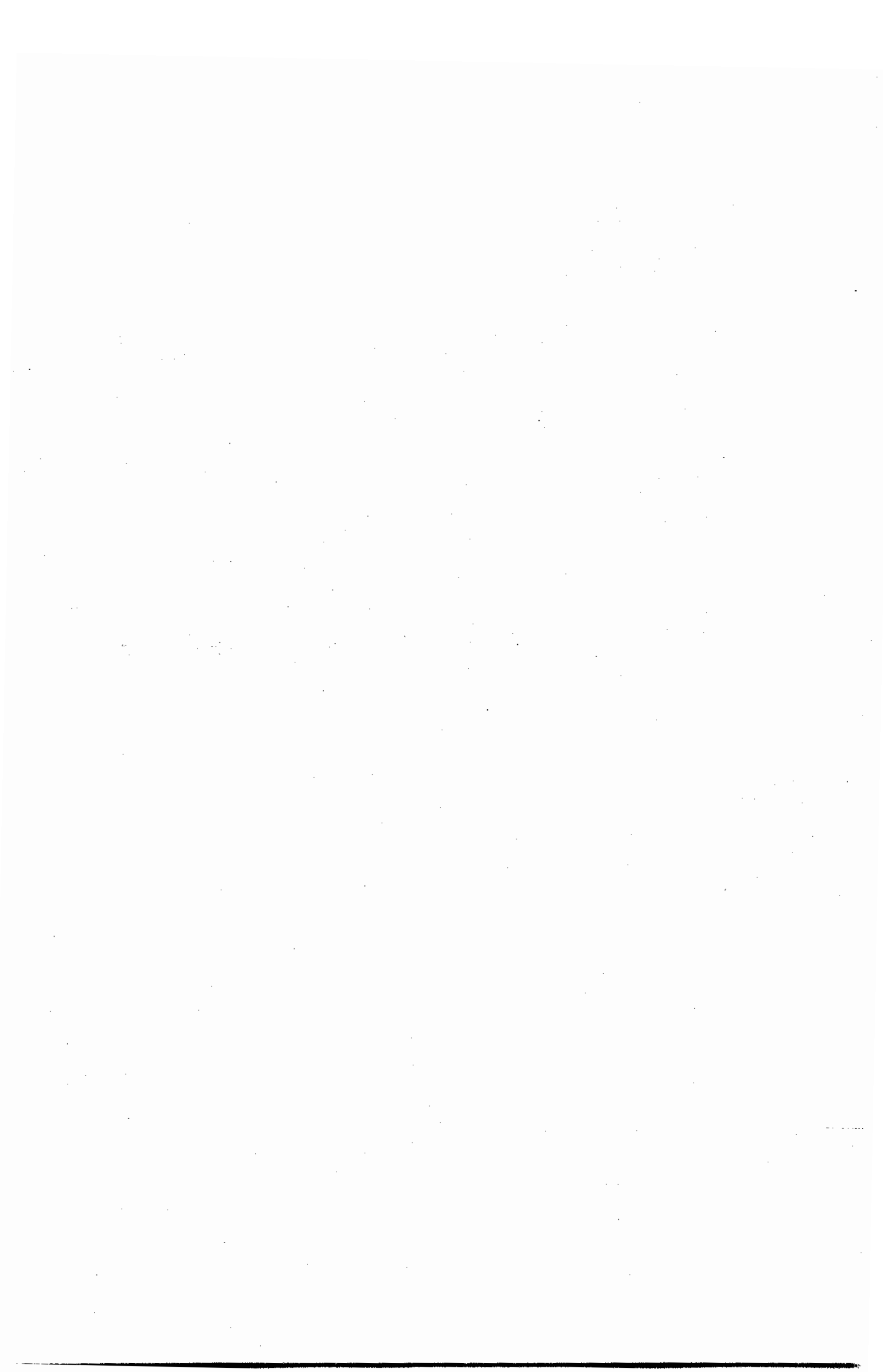
واضـرم مـواهـبـك فيهـا، للـشـهـادة، حتى تصير الأزمنة الأخيرة كأمجاد الأزمـنـة الأولى، ليهتم كـل إنسـان بخلاصه، ويكون الجميع باستعداد لمجيء الآتي. □





الروح القدس والرهبنة
حياة أنطونيوس إمتداد لشعلة يوم الخمسين

(يناير ١٩٦٨)



الروح القدس والرهبنة
حياة أنطونيوس إمتداد لشعلة يوم الخمسين

[ذلك الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا، اقبلوه أنتم أيضاً. وإذا أردتم أن تقبلوه ويسكن فيكم، قدموا أولاً أتعاب الجسد، وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء، في الليل والنهار، واطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري، وحينئذ يعطى لكم...

ولا تفكروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين، وتقولوا: من يقدر أن يقبل هذا؟ لا ياأولادي لا تَدَعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم، بل اطلبوا بإستقامة قلب، وأنتم تقبلونه. وأنا أبوكم أجتهد معكم، وأطلب لأجلكم، أن تقبلوه، لأني عارف أنكم كاملون وقادرون على قبوله، لأن كل من يُفلّح ذاته بهذه الفلاحة (النسك الإنجيلي)، فإن الروح يعطى له، في كل جيل وإلى الأبد...

أديموا الطلبة بإجتهاد، من كل قلوبكم، فإنه يُعطى لكم، لأن ذلك الروح يسكن في القلوب المستقيمة؛ وإذا قبلتموه، فإنه يكشف لكم الأسرار العلوية، وأموراً أخرى لا أستطيع أن أعبّر عنها، ويكون لكم فرح سماوي ليلاً ونهاراً، وتكونون في هذا الجسد كمن هو في الملكوت، ولا تعودون تطلبون عن أنفسكم فقط، بل وعن الآخرين، لأن كل من قَبِلَ هذا الروح، يستطيع أن يطلب عن الغير.. وأنا طلبتي الآن من أجلكم ليلاً ونهاراً، ليكون فيكم هذا الروح العظيم الذي قَبِلَه جميع الأطهار] (الرسالة الثامنة).

□

«وكانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة» (أع ١ : ١٤).

حادثان عظيمان في حياة الكنيسة:

الأول: حلول الروح القدس، يوم الخمسين، على جماعة التلاميذ المنتظرين له، حسب وعد المسيح والآب.

الثاني: بداية الحياة الرهبانية في الكنيسة.

ولأول وهلة يبدو أنه لا علاقة كبيرة بينهما... ولكن لو رجعنا إلى العناصر والأسباب والنتائج التي لازمت كلاً منها، نستطيع أن نستشف علاقة وثيقة بينهما. أما إذا تحققنا هذه العلاقة تماماً، فإنه يمكننا أن نربط بين الحادثين، ربطاً محكماً، لنرى فيهما حادثاً واحداً مستمراً...

فحلول الروح القدس يوم الخمسين كان البداية التي قامت على أساسها قوة الشهادة للمسيح، من اليهودية إلى أقصى الأرض. أما التأثير المباشر على المؤمنين فظهر على صورة تحوُّل جارف نحو تكوين حياة جماعية مشتركة للمؤمنين، على حساب تذويب الأسرة في الكنيسة، فجرت عمليات تنازل علنية عن الممتلكات، لرؤساء الجماعة ــ أي الرسل، وبجانبها تمت عمليات بيع للمخصصات الفردية وتسليم أثمانها؛ وترتب على ذلك ــ أو ربما كان هذا هو الدافع ــ تكريس الحياة كلها، لخدمة الكنيسة، في الداخل والخارج. وبهذا تشكلت صورة الكنيسة الأولى: جماعة مكرسين فقراء بإختيارهم، يعيشون حياة شركة.

فلو تأملنا في هذا الذي تم، لانذهلنا كيف أمكن لهؤلاء اليهود المحبين جداً للمال والملكية، مع حبهم الشديد للتجارة والمكسب والرصيد، أن يتنازلوا و يبيعوا، و يسلموا كل ما لهم تحت أرجل الرسل، وفي لحظة يصيرون فقراءَ معدمين!...

كذلك لو تأملنا في تسليمهم لكيان الأسرة، لتذوب كل روابطها اليهودية، من جهة الأسباط وحفظ الأنساب وسلطان الأب وميراث البكر، لتدخل ضمن كيان الكنيسة، تحت أبوة جديدة، ونسب جديد روحي، يصير فيه الكل إخوة، و يتحول

الميـراث الأرضـي والـتخوم الأبو ية إلى رجاء بغير المنظور؛ لو تأملنا في هذا كله، لتيقنّا أنهـا قـوة فـائـقـة لـلطبيعة البشر ية، تلك التي أرسلها المسيح بعد صعوده بعشرة أيام، في شخص الروح القدس. «... تنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم» (أع ١ : ٨).

و يـنـبـغـي الآن أن نتبين أن هذه القوة الروحية الجديدة التي تقبّلها المؤمنون، كان أول عمل لها **تحويلاً جذرياً في الطبيعة البشرية**، في علاقتها بالمال والأسرة والكيان الإجتماعي بالنسبة للعمل الدنيوي. وأي طبيعة؟ الطبيعة اليهودية العنيدة التي أخفقت كـل وسـائل الله سابقاً في تهذيبها روحياً، سواء بالمحبة والعطف والحماية، مع فيض من الخيـرات الأرضية، أو بالمعجزات العيانية، أو بالقسوة والعنف والسبي والبهدلة ــ كل هذا لم يستطع أن ينتقل بالطبع اليهودي درجة واحدة ناحية السلوك الروحي الخالص.

هـذا الـطـبـع أُخـضـع للـروح القدس في لحظة، وصار مثلاً مُذهلاً للتجرد والإماتة والزهد وتكر يس الجسد والقلب والفكر لله.

ولكن الذي نود أن نتأمله جيداً هو شكل الكنيسة الأولى: إن هذا الذي حدث في يـوم الخمسين و بعده كان إستجابة حرة مطلقة لفعل الروح القدس في القلب. الكنيسة بـدأت شكلها بدون أي تنظيم أو تخطيط. الروح القدس كان يعمل أولاً في كل قلب، وكـل من يتقبّل عمل الروح، يذهب و يبيع كل شيء، حتى نفسه، و يأتي لينضم إلى الـكـنـيـسـة. كـان مـفـهـوم الـعـضـو ية في الكنيسة الأولى، أن يبيع الإنسان ممتلكاته وخـصـوصياته وأسرته أيضاً، لأنه إذا امتنع الأب أو الأم أو الأخ أو الأخت أو الإبن أو الإبنة أن يقبل هذا الإيمان، فكان على الإنسان أن يتركهم، و يترك كل شيء، و يأتي إلى الـكـنـيـسـة بمفرده. الكنيسة هنا صارت بمثابة المسيح نفسه، «... ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك» (مت ١٩ : ٢٧)، لأن الروح القدس كان متركزاً بصورة سر ية في وسط الجماعة.

كـانـت هـذه الحـركـة الأولى التي بـاشـرها الروح القدس بنفسه، في قلب المؤمنين الـبـسـطـاء، طبق الأصل من الحركة التي صنعها الرب يسوع في قلوب تلاميذه: هجرة

كاملة للعالم، وترك كل شيء، والمسير وراء الله.

غير أن الكنيسة لم تستطع أن تحتفظ بهذا الوضع الإجتماعي الإقتصادي الجديد. أما هذا الذي حدث أولاً، بتلقائية الروح والإستجابة له، فكان صورة فقط لما سيكون في آخر الأيام، كعيِّنة مفرحة للملكوت العتيد أن يعيش فيه الإنسان، بالتجرد الكامل، تحت حكم الله وتدبيره المطلق.

• • •

ولكن، كان عزيزاً على الروح القدس أن تفقد الكنيسة صورتها الملكوتية هذه، وأن تضيع من قلب الإنسان هذه الإستجابة الحرة لدعوة الملكوت، بالتجرد الكامل، وهجر العالم هجراناً كلياً، لأن هذه الصورة بحد ذاتها تُعتبر من صميم عمل الروح القدس، وشهادةً للرب يسوع، وتحقيقاً متواصلاً للإنجيل. لذلك ظلّ الروح يعمل في القلوب لتحقيق هذه الإستجابة، نحو التجرد الكامل، والإماتة الكلية، وهجران العالم، وإنما بصورة فردية وليست جماعية، على أنها لم تكن أقل قوة أو شهادة من الحركة الجماعية الأولى؛ فظهرت حالات الإستشهاد الرائعة التي عبَّرت أقوى تعبير عن استمرار قوة الروح القدس المنسكب في قلب المؤمنين، وأفصحت عن قدرة التجرد والإماتة الكامنة في قلب الكنيسة، في أعلى حدودها، كإستجابة واضحة لدعوة ترك كل شيء، وغلبة العالم، بالإيمان بغير المنظور...

• • •

ولم تنته حالات الإستشهاد، حتى بدأت إستجابة جديدة لدعوة الروح القدس عينها بصورة أخرى، تكاد تكون طبق الأصل من الإستشهاد، إنما كممارسة يومية، وعلى مدى الحياة!!: **الرهبنة** التي لا تزيد عن كونها ترك كل شيء، وحمل الصليب **كل يوم**. هذا إذا حاولنا أن نمجد الدعوة الرهبانية. ولكن لو أنصفنا، لرأيناها إستجابة، مجرد إستجابة، لحرارة الإيمان البسيط الهادىء التي يزكيها الروح القدس بلهبه السري، فيترك الإنسان كل شيء، و ينطلق وحيداً، ليحقق إيمانه ورجاءه وحبه مع الله.

وقد رأينا أن الإيمان الأول في الكنيسة بدأ بهذه الصورة عينها: ترك كل شيء، وبيع كل شيء، وهجران كل شيء، حتى كل أفراد الأسرة؛ للإنضمام إلى الكنيسة والتكريس لحسابها، أو على الأصح للسير وراء الله. ورأينا الإستشهاد أيضاً هكذا، إنما بصورة خاطفة.

الرهبنة، إذن، إمتداد للإيمان الأول بدون تعديل. فنحن نقرأ في سيرة القديس أنطونيوس هذا المعنى تماماً:

[وفي ذات يوم ناجى أنطونيوس نفسه وهو ذاهب إلى بيت الرب، كيف أن الرسل تركوا كل شيء وتبعوا المخلص، وكيف يذكر سفر الأعمال عن الذين باعوا ممتلكاتهم، وأتوا بأثمانها، ووضعوها عند أرجل الرسل].

فاللهب الذي اشتعل في قلب أنبا أنطونيوس، كان إمتداداً للّهب الكامن في قلب الكنيسة، الذي اشتعل فيها يوم الخمسين. فالرهبنة، أصلاً، فعل غير منطفىء للروح القدس، بدأ يوم الخمسين، بهجران العالم، فكوّن الكنيسة الأولى، وتأجج في أزمنة الإستشهاد فشرح قوة إيمانها، ثم استقر في الحياة الرهبانية يعزّي قلب الكنيسة بحرارة الإيمان الأصيل، القائم على التجرد والهجران الكلي للعالم، فصارت الرهبنة كنبضات من الروح القدس آتية إليها من خلف العالم، من البراري والقفار، لتنعشها إلى مدى الأيام.

• • •

لما حلّ الروح القدس يوم الخمسين، دخلت الكنيسة في حالة نشاط روحي بلغ الدرجة القصوى من الملء، في كل موهبة إلهية، بقدر ما تحملت الطبيعة البشرية، وبقدر ما استجابت لدفقات الروح وإلهاماته وإستناراته؛ فكان كبداية لحمل رسالة البشارة والشهادة للرب يسوع إلى أقصى الأرض.

وكان محور الشهادة علامات ومعجزات وآيات تتبع المؤمنين، فائقة على الطبع البشري، كقوة مضافة على الإنسان تشهد لنفسها وتشهد لمنبعها وأصلها: «أيها الرجال

الإسرائيليون، ما بالكم تتعجبون من هذا، ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي. إن إله إبراهيم وإسحق و يعقوب، إله آبائنا، مجّد فتاه يسوع... و بالإيمان بإسمه شدّد إسمُه هذا الذي تنظرونه وتعرفونه، والإيمان الذي بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم» (أع٣: ١٢ــ١٦).

وهكذا ظلت الآيات والمعجزات محور الشهادة والتبشير، إلى أن حلّ عصر الإستشهاد، و بدأت البشارة بالإنجيل، والشهادة ليسوع المسيح، تظهر بدون معجزة كقوة أعلى من المعجزة، أعلى من روابط الأسرة، أعلى من محبة العالم وتهديده، أعلى من الطبيعة البشرية وإلتزاماتها وخوفها من الموت، وأعلى من كل الحياة التي على الأرض. فكان منظر إنسان مؤمن حديث الإيمان يستشهد علناً تحت أقسى أنواع التعذيب والموت، بإسم يسوع، من أجل يسوع، هو أوضح تعبير عن معنى الإيمان بالمسيح وقوته، إذ كان بحد ذاته كفيلاً بأن يجعل الواقفين يؤمنون بالرب يسوع، بل إن الوالي نفسه والمعذّبين كانوا كثيراً ما يرتعبون و يؤمنون. وهل يمكن لأي إنسان أن يتمالك نفسه إزاء منظر الأم «دولاجي»، وهي تقدّم أولادها السبعة الصغار للذبح، وتشجعهم على الإستشهاد، ثم تقدم نفسها للسيف بعدهم، حباً في المسيح؟!

وهكذا فالإستشهاد برز كمحور آخر دارت عليه البشارة بالإنجيل، والشهادة للرب يسوع...، لم تكن هذه القوة معجزة في حد ذاتها، لأنها لم تبدُ منفصلة عن طبيعة الإنسان، كالمعجزة، فشفاء الأعرج وإقامة «طابيثا» من الموت مثلاً لم تكن قوة طبيعية في بطرس، ولكن كانت قوة آتية من خارجه، إستحضرها بطرس بالدعاء والتوسل والإيمان... أما الإستشهاد فهي قوة تعادل المعجزة تماماً، ولكنها متحدة بطبيعة الإنسان. الإنسان الشهيد يتقبَّل نفس قوة المعجزة، إنما في طبيعته، لتكون قوة حاضرة فيه يشهد بها للحياة الأخرى؛ لا ليشفي بها مرض الآخرين بل عدم إيمانهم. هنا الشهيد يتقبَّل من الروح القدس قوة ومعجزة يعلنها في نفسه كأنها صارت له ومنه، يميت بها ذاته ليحيي بها الآخرين، يوازن بها ــ أمام نفسه، وأمام الله، وأمام الحاضرين ــ بين أفضلية الموت للمسيح عن الحياة بدون المسيح، شاهداً بهذا أن: «لي الحياة هي

المسيح، والموت هو ربح» (في ١ : ٢١).

الشهيد، بقوة شهادته، يعلن عن إيمان تغلغل فيه، وعن قوة إلهية حية إتحدت بطبيعته؛ هذه القوة تستعلن قيمتها عند سفك الدم، عندما يسقط الجسد على الأرض، فتتجسم الشهادة، وتتحدد، وتعلن، وتُضاف لحساب الإنجيل، كقوة حياة إلهية متحدة بالطبيعة البشرية، يدفعها الموت بالصدق، كشهادة لا تكذب، وكأساس تنمو عليه الكنيسة وترتفع.

فإن كانت المعجزات والآيات في العصر الأول تُعتبر إنجيلاً مقروءاً من فوق الطبيعة البشرية، وبواسطتها، فالإستشهاد في العصر الذي يليه صار إنجيلاً مقروءاً في صميم الطبيعة البشرية، كفعل إلهي بشري فوق الطبيعة ومتحد بها.

• • •

إذن، فالتدرج في الشهادة للمسيح والإنجيل والحياة الأبدية، سار في العالم بدقة مدهشة، أولاً بقوة المعجزة كإقامة الميت حياً، لإظهار قوة الله في حد ذاتها، منفردة، كقوة أعلى من الموت، وأعلى من الطبيعة البشرية؛ ثم ثانياً بقوة الإستشهاد، أي قبول الموت عن فرح وسرور، بسبب قبول قوة الحياة الأبدية الفاعلة في الطبيعة البشرية، كقوة تستطيع أن ترفع الطبيعة البشرية فوق ذاتها في لحظة واحدة، بإيمان منقطع النظير، كقوة تتوازن مع الموت ثم تقهره بشجاعة.

أما ثالثاً، فهنا تنفتح الشهادة على المجال الرهباني، الذي يأتي في الدرجة الثالثة، للشهادة للمسيح والإنجيل والحياة الأبدية ضد العالم، وذلك بقبول قوة من الله، بفعل الروح القدس للخروج من العالم شكلاً وموضوعاً؛ أما شكلاً، فهذا معروف، أما موضوعاً فذلك بتحويل الطبيعة البشرية من الوضع الطبيعي ــ الميت بالخطية ــ إلى الوضع فوق الطبيعي ــ الحي بالنعمة ــ يوماً بيوم، ثم البقاء في هذا الوضع الفائق على الدوام ذبيحة حية، وشهادة أبدية للقوة الإلهية، التي استقبلها الإنسان في صميم طبيعته.

فالحياة الرهبانية تشمل الفعلين السابقين للروح القدس: فعل المعجزة بإقامة الميت حياً، وفعل الإستشهاد الذي يرفع الطبيعة البشرية فوق ذاتها؛ ثم يزيد عليهما الروح القدس إستمرار قيام الإنسان في حالة التحول من الموت إلى الحياة كل يوم، مع بقاء تمسكه بالوضع الفائق للطبيعة.

فالراهب إنسان مسيحي قد مات، ولكنه قام ليعيش، شاهداً كل أيام حياته للقيامة الحقيقية.

وهو مُستقبِل في طبيعته الميتة فعلاً حياً فائقاً لطبيعته، الذي هو نسمة الحياة الأبدية، لذلك هو يستشهد كل يوم بفرح:

[وحينما كفَّ الإضطهاد، بعد أن تقبَّل بطرس خاتم الشهداء إكليله، غادر أنطونيوس الإسكندرية وعاد راجعاً إلى وحدته، حيث قدم نفسه كل يوم شهيداً إزاء ضميره، محارباً في معارك الإيمان الخفية، إذ كان يمارس النسك بغيرة فائقة](1).

والراهب بذلك لا يمثل إلا صورة أصيلة للإيمان الأول، كفعل حي للروح القدس، الذي بدأ يوم الخمسين كالنار، ثم عبر عصور الشهداء فتخضَّب بالدم، ثم استقر خلف العالم يوازنه و يشهد ضده...

□

+

الرهبنة إذن هي آخر مرحلة من مراحل الشهادة للإيمان المسيحي الحار الملتهب، الذي استقر في الكنيسة بفعل الروح القدس؛ ليست هي إيماناً مسيحياً خاصاً، ولا درجة من درجات الكمال في الإيمان، وإنما هي صورة حية للشهادة للإيمان المسيحي، تمثِّل، أو تعيد إلى الذهن، بدء الإنفعال للإيمان، لما حل الروح القدس يوم الخمسين، حينما ترك كل إنسان كل ما له وأهله و بيته وانضم للرسل ــ كوصية الرب أصلاً.

---

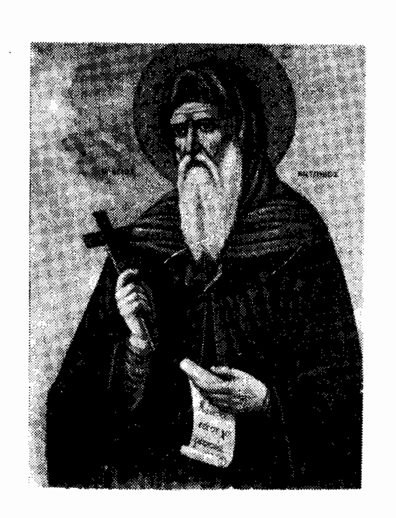
(1) J. Quasten, Patrology, III, ch. 47.

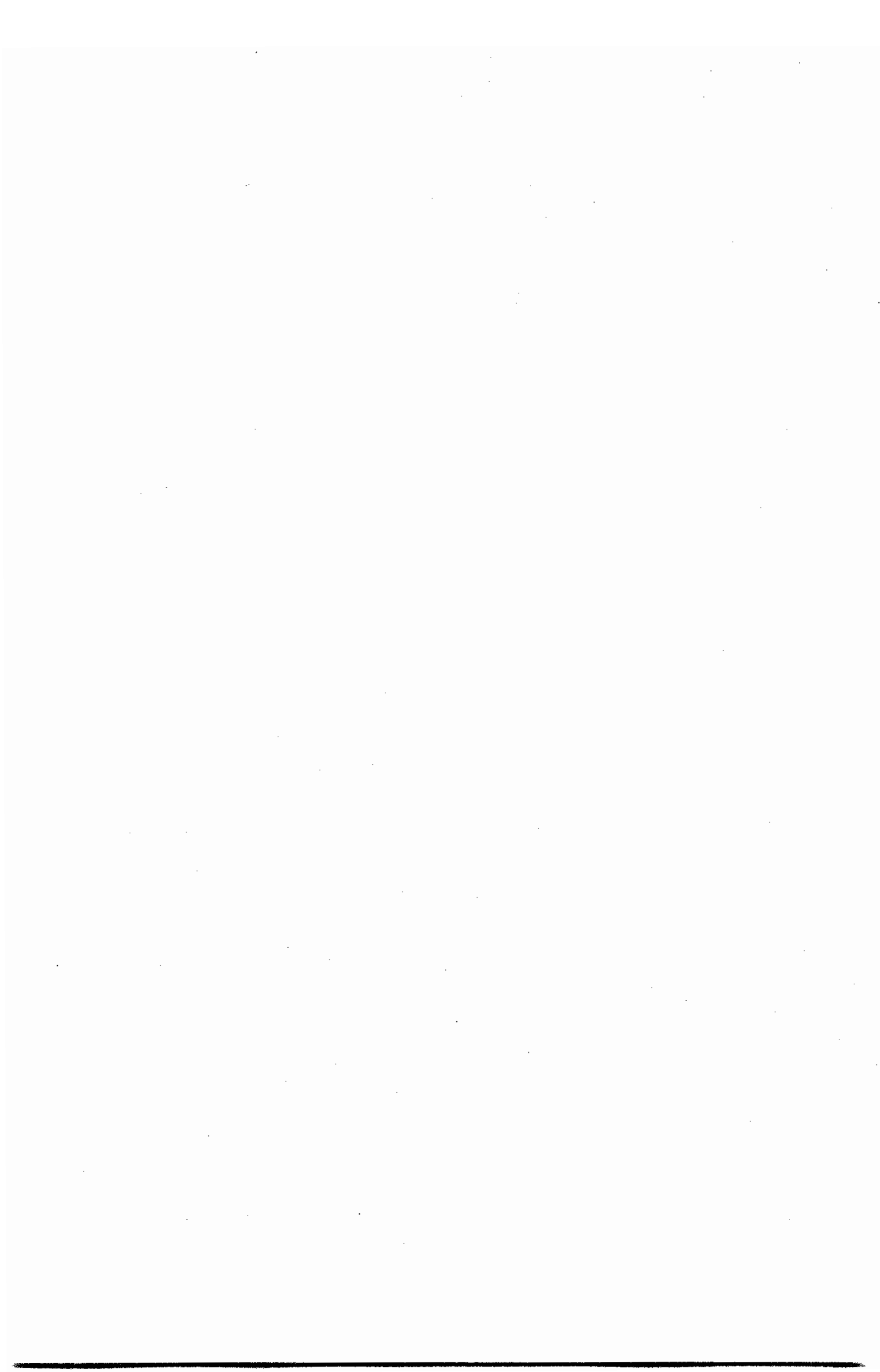
وهي تمثِّل أيضاً، أو تعيد إلى الذهن، الإنفعال الإيماني للإستشهاد، حينما استلزمت الشهادة للمسيح حمل الصليب والموت علناً!...

فالرهبنة حياة شهادة لإيمان حار، كصورة صادقة لإيمان الكنيسة الأولى وحياتها، فهي نموذج للحياة المسيحية الأصيلة، حسب الوصية تماماً، ليست نموذجاً أعلى وإنما نموذجاً صادقاً...

لذلك حينما نتكلم عن الرهبنة، فنحن نتكلم عن الحياة المسيحية الصادقة، وحينما نتكلم عن المسيحية الصادقة نتكلم عن الرهبنة، كنموذج لها، حي وموجود!!

* * *





الروح القدس والإستشهاد

نص الكلمة التي ألقيت بكنيسة القديس العظيم أنبا مقار الكبير بديره العامر ببرية شيهيت ، يوم عيد آبائنا الرسل الأطهار الموافق ١٢ يوليو ١٩٧٣ م ــ ٥ أبيب ١٦٨٩ ش .

الروح القدس والإستشهاد

اليوم تعيّد الكنيسة لتذكار شهادة القديسين بطرس و بولس .

هذه الشهادة هي ثمرة مباشرة لحلول الروح القدس يوم الخمسين .

تذكرون قول الرب الذي سجله لنا لوقا الإنجيلي في سفر الأعمال : « لكنكم ستنالون **قوة متى حل** الروح القدس عليكم ، **وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي** كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض » (أع ١ : ٨) .

إذن هذا العيد أو هذه الشهادة التي ختمها الرسولان بطرس و بولس بالدم ، هي تحقيق مباشر لوعد الرب ، و برهان لعمل الروح القدس .

معروف أنه يستحيل على أي إنسان أن يقول ـــ مجرد قول ـــ أن المسيح رب إلا بالروح القدس ، فكم بالحري تتطلب الشهادة للمسيح باستعداد سفك الدم ؟ يلزمنا هنا أن نتأمل طو يلاً في معنى الإستشهاد .

معنى الإستشهاد :

قد يبدو الإستشهاد بسفك الدم على إسم المسيح عملاً من أعمال الشجاعة أو البطولة أو مجرد قوة إيمان ، ولكنه في الحقيقة عمل من أعمال الروح القدس المباشرة التي يطبعها في الإنسان على أساس أنه ينقل للإنسان الذي يؤمن بالمسيح صفة من صفات المسيح التي هي « وضع الذات » أو بذلها للموت : « لي سلطان أن أضعها » (يو١٠ : ١٨) ، فالمسيح وضع ذاته وأطاع الآب حتى الموت موت الصليب (في ٢ : ٨) .

وظيفة الروح القدس الأساسية فينا هي أن ينقل لنا كل ما للمسيح ، وضمناً هذا السلطان عينه أي سلطان المسيح على ذاته : « لي سلطان أن أضعها » ، فكما وضع المسيح ذاته على الصليب وأطاع الآب حتى الموت ، و بذلك أصبح موت المسيح هو بمجد

ذاته طاعة للآب و بالتالي صورة وشهادة لتمجيد الآب ، هكذا تماماً ينقل لنا الروح القدس هذه الصفة الأساسية التي كانت للمسيح وهي سلطان وضع الذات و بذلها للموت طاعة وشهادة لمجد المسيح والآب .

والمسيح لما وضع ذاته وأسلم نفسه للموت طاعة للآب ، لم يكن يطلب بالصليب مجد نفسه بل مجد الآب ، لأن الصليب بحد ذاته إخلاء وفضيحة ومهانة ، بل ولعنة في أشد حالاتها .

ولكن الذي ينبغي أن ننتبه إليه جيداً هو أن وضع الذات و بذلها بالصليب ، لم يأتِ فجأة في حياة المسيح ، فقبل إخلاء الذات من الكرامة البشر ية وقبول فضيحة الصليب ، سبق أن أخلى المسيح ذاته من مجد الألوهة عندما قبل أن يتجسد في صورة إنسان كعبد من عبيد الله ! ...

إذن الإخلاء تم على مستو يين في المسيح :
الأول : سري داخلي وخاص جداً على مستوى الله .
والثاني : علني وعمومي وعلى مستوى الناس بالصليب .

هكذا تماماً في موهبة الإستشهاد العلني بالنسبة لنا ، لا يمكن أن نتهيأ لها فجأة و بدون مسبقات ، بل يلزم بالضرورة أن يكون الروح القدس قد جاز بالإنسان إخلاءً سر ياً داخلياً في أعماق الحياة مع الله ، إخلاء يبلغ فيه الإنسان أولاً إلى رفض كل مجد وكرامة تكون من اختصاص الإلهيات والمقدسات التي نسميها اليوم كرامة الكهنوت أو القديسين ، حيث يعيش المؤمن بإحساس العبد المرفوض والمتألم أي نفس الإحساس الذي عاشه المسيح :

« هوذا عبدي يعقل يتعالى و يرتقي و يتسامى جداً ، كما اندهش منه كثيرون ، كان منظره هكذا مفسداً أكثر من الإنسان وصورته أكثر من بني آدم ... لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه ، محتقر ومخذول من الناس ، رجل أوجاع ومختبر الحزن ، يخفون وجوههم عنه ، محتقر فلم نعتد به ... ونحن حسبناه

مضروباً من الله ومذلولاً ! ... ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه » (أش ٥٢).

هنا وعلى هذه الحال من الرفض والمهانة ، وبهذا الإخلاء الداخلي أمام الله وكما من الله ، يمكن أن يأتي إخلاء الذات على الصليب ، ويحتمل الإنسان عار الموت العلني وفضيحة التعذيب حتى الموت حيث تغذي الشهادة الداخلية الشهادة الخارجية .

ولكن الصليب لا يمكن أن يتركب على كرامة ، الشهادة للمسيح من خلال الفضيحة والتعذيب وسفك الدم يستحيل أن يقبلها إنسان متمسك بذاته وكرامته .

سر احتمال الصليب وقبوله بفرح ،يكمن في الحياة التي تسبقه ، الشهادة للمسيح بسفك الدم تتجمع قوتها وإمكانياتها من إتضاع الحياة السابقة . فموت الذات بسفك الدم يلزم أن يسبقه إنكار الذات بالخضوع لكل تأديبات الله .

عمل الروح القدس في الإستشهاد :

حينما ينقل لنا الروح القدس قوة عمل المسيح في الإخلاء الذي هو تمهيد الصليب ، ثم في إنكار الذات و بذلها حتى الموت بسفك الدم الفعلي على الصليب ـ ينقلها إلينا و يغرسها في طبيعتنا الجديدة لا كأنها أعمال غريبة عن الروح القدس بل هي كعمل من صميم إختصاص الروح القدس ، ومناسبة أشد المناسبة لصفاته الخصوصية !! فالروح القدس يعمل فينا وهو في حالة إخلاء لذاته أيضاً بل وإنكار لذاته على أعلى مستوى ، فالمسيح يصف عمله لنا وفينا هكذا : « **لأنه لا يتكلم من نفسه** بل كل ما يسمع يتكلم به ... **ذاك يمجدني** لأنه **يأخذ مما لي ويخبركم** » (يو١٦ : ١٣، ١٤).

ويمكن تشبيه الروح القدس بالتلسكوب الذي يكشف لنا أسرار السماء و يقنعنا بحقيقتها دون أن يكشف نفسه هو، فعندما نضع عيننا على التلسكوب نرى السماء في الحال بكل وضوح وجمال ومجد ، دون أن تقع عيننا على شيء من تركيب التلسكوب ، أو يتدخل التلسكوب في إضافة أو حذف أي شيء من حقيقة النجم الذي نرصده ...

بـل ونـقـتـنـع أن عـيـنـنـا هي التي ترى مباشرة كل مجد السماء ، إذ لا ترى أي أثر لهذا الـوسـيـط الـذي يتوسط بين عيننا و بين السماء !! حيث ينحصر عمل التلسكوب في أنه يكشف مجد السماء لعين الإنسان وحسب !!

الـروح الـقدس يعمل هكذا : يمجد المسيح دون أن يتمجد هو لأنه يخلي ذاته . « لا يتكلم من نفسه » ، « ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم » .

حـالة الإخلاء الكلي التي يعمل من خلالها الروح القدس فينا والتي هي من صميم صـفـاتـه الأقـنـومية ، تؤثر فينا تأثيراً مباشراً ومشابهاً ، فتلغي إحساسنا البشري وتتجاوز مـنـطـقـنـا الـعـقلي ، لـنـرى المسيح في حقيقة ذاته الإلهية ، و بالتالي تنكشف لنا آلامه الخلاصية على الصليب في صميم دوافعها الإلهية الكريمة والمجيدة ، فنتحقق فيها أمر ين خـطير ين للغاية : **الأول** حب الآب لنا في بذل إبنه ،**والثاني** حب الإبن للآب ولنا في طاعته حتى الموت من أجلنا !!

هـذا يـكـشـف لـنـا أهمية الصفة العجيبة التي هي « **الإخلاء** » : « لا يتكلم من نفسه ، ذاك يمجدني » ، التي يباشر بها الروح القدس عمله فينا للرؤ يا الإلهية الصافية ، ولمعرفة الحق الإلهي الخالص لشخص يسوع المسيح والآب . إذ أن هذه الصفة ليست في الـواقـع لازمـة للـروح الـقـدس في ذاته بقدر ما هي لازمة لنا في ذواتنا لإمكانية الرؤ يا الـصـافـيـة ومـعـرفـة الـحـق الخـالـص من شوائب الفكر والمنطق البشري . فالإخلاء من الـذات ومـن المـنـطـق البشري والقياسات العقلية لازم لنا أشد اللزوم حتى نستطيع أن نـرى الإلهـيـات في عـمـل المـسـيـح ، ونصدق الحق في كلمة الله ، ونفهم منطق الله في الـصـلـيـب ، ونقبل مواهب الله الفائقة المجانية التي بلا حساب و بلا كيل والتي حصل عليها المسيح لنا من الله الآب بدمه !

أمـا بدون الروح القدس فلا يمكن أن نرى المسيح إلا « رجل أوجاع ومختبر الحزن ، مـضـرو باً من الله ومذلولاً » ، ولا نرى الصليب إلا « جهالة » و« عاراً » و« لعنة » ! لأنـنـا نرى ذلك من خلال إحساسنا بذاتنا وخضوعنا لمنطقنا العقلي . أما بتوسط الروح الـقدس أو بالحري من خلال الملء بالروح القدس ، فنحن نرى المسيح (مع إستفانوس

الشهيد) جالساً عن يمين الآب في السموات ، كما نرى الصليب (مع بولس الرسول) قوة الله للخلاص الذي به استُعلن مجد المسيح والآب ! أي أن الروح القدس يعطينا أن نرى المسيح ونفهم عمله بصورة من المجد حتى على الصليب لا يمكن أن ترى بالعين البشرية أو تفهم بالعقل البشري .

ولكن تشبيهنا لعمل الروح القدس فينا بالتلسكوب ، يظل بعد كل هذا تشبيهاً ناقصاً ، لأن التلسكوب بالرغم من أنه يرينا الشيء بصورة واضحة جداً وممجدة جداً ، إلا أنه يظل هذا الشيء ببعده عنا كما هو، فيوهمنا أننا على بعد خطوة من الشيء مع أننا نكون على بعد مئات الأميال . ولكن الروح القدس لا يرينا المسيح من على بعد ، ولا يكشف لنا حقيقة الصليب كعمل آخر خارج عنا ... الروح القدس ينقلنا عبر نفسه إلى المسيح و ينقل المسيح إلينا عبر نفسه أيضاً ، فيصير أو يحل المسيح في قلبنا بالروح القدس ، ونصير نحن في قلب المسيح بالروح القدس أيضاً .

الروح القدس يختزل ــ بإخلائه الفعلي لذاته و بطبيعته القدوسة ــ المسافة الروحية مع كل الأجواء المعاكسة التي تفصلنا عن قداسة المسيح . أو على وجه أصح يلغيها تماماً بإخلائه العملي لذاته و بقوة قداسته الفائقة ، فلا يعود شيء قط يفصلنا عن المسيح ، لا خطيئة ولا عجز ولا موت ولا أية قوة معاكسة شريرة أياً كانت . بل وإن الروح القدس يصنع من ذاته عملاً خلقياً جديداً فينا (خليقة جديدة من ذاته) يجعلنا بها مؤهلين في الحال للإتحاد بالمسيح ، فيصير موت المسيح موتنا ، وقيامته قيامتنا ، وحياته حياتنا ، وجلوسه عن يمين الآب جلوساً لنا ، ومجده أيضاً مجدنا !! ننظر إليه فنرى أنفسنا ، ونعرفه فنعرف أنفسنا ، لأننا بواسطة الروح القدس نتحقق أننا « من لحمه وعظامه » وأن « المسيح نفسه يحيا فينا » .

الروح القدس يختزل كل حاجز يفصلنا عن المسيح ، و يلغي كل ما يعوق الإتحاد ، سواء كان هذا العائق زمنياً أو مكانياً أو كيانياً أو خلقياً أو نفسياً أو عقلياً من أي نوع . في ملء الروح القدس أرى نفسي في الحال ــ بكل ثقة و بلا حاجة إلى أي تفكير أو برهان ــ أني مع المسيح صلبت ومع المسيح قمت ومع المسيح أجلس في

السماو يات !! لا كأني أحصل على هذا ببري أو بطهارة يدي أو قلبي ، ولكني أحصل على كل ما حصل عليه المسيح لأجلي ، بتوسط الروح القدس الذي يلغي أي عائق و يتجاوز أي حاجة إلى برهان أو منطق ! ... إنها رؤ يا من خلال الروح القدس مفرحة ، وواقع مشبع معاً ، هبة وحق معاً ، حياة وشهادة معاً ، خبر وإيمان معاً ! ...

إذن ما هو صليب بطرس و بولس في هذا اليوم المبارك إلا فعل من أفعال الإمتلاء من الروح القدس ، الذي أكمل فيهما عملاً من أعمال طبيعته الفائقة وهو الإخلاء لحساب مجد المسيح ؟! هذا الذي جعل هذين الرسولين الكريمين يقبلان سفك الدم باعتبار أنه أعلى حالات الإخلاء أو إنكار الذات كشهادة لمجد المسيح على مستوى صليب الرب الذي بذل عليه نفسه لمجد الآب !! الروح القدس كان يشهد فيهما بإلحاح ــ منذ يوم الخمسين ــ لموت الرب المحيي ، وكانا هما يشهدان أيضاً بذلك و باستمرار ، لذلك جاء سفك دمهما ختماً صادقاً لشهادة الروح القدس فيهما ، وشهادتهما بالروح القدس لمجد المسيح الحي حسب وعده !!

كيف نعيّد روحياً لتذكار سفك دم بطرس وبولس ؟

الحقيقة أن صوم الرسل بأكمله يعتبر عيداً متصلاً لعمل الروح القدس في الكنيسة ، فهو عيد الخدمة والصلاة المتواترة من أجل إرسال الفعلة إلى الحصاد ، وتكريس الكهنة الذين وعد بهم الرب قديماً على لسان النبي إرميا في العهد القديم قائلاً : « وأعطيكم كهنة حسب قلبي فيخدمونكم بالمعرفة والفهم » (إر٣ : ١٥) .

أما سفك دم بطرس و بولس على إسم المسيح في هذا اليوم ، و بعد خدمة طو يلة مثمرة للغاية ، فهو تمجيد رسمي قدمته الكنيسة لشخص الرب . فكما كان سفك دم المسيح على الصليب أول تمجيد للآب تم على الأرض بشهادة الطاعة المطلقة والحب الأمين حتى الموت ، هكذا قدم الرسولان بطرس و بولس شهادتهما للمسيح في ملء طاعة الروح القدس الناطق فيهما لحب المسيح ومجده ، فتم فيهما وبهما وعد الرب القائل : « روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي ، وتشهدون أنتم أيضاً » (يو١٥ : ٢٦ و٢٧) .

و ينبغي أن ندرك أن سفك دم الرسولين العظيمين بطرس و بولس معاً وفي يوم واحد، هو أعلى ذوكصولوجية حب قدمتها الكنيسة لشخص المسيح، لا على مستوى اللحن والترتيل، كما يفعل المحترفون في هذه الأيام، ولكن على مستوى إنكار الذات و بغضة النفس وقبول حكم الموت والرفض والتعذيب والقطع من أرض الأحياء، بلا خوف أو انزعاج أو ندم أو نظر إلى الوراء!

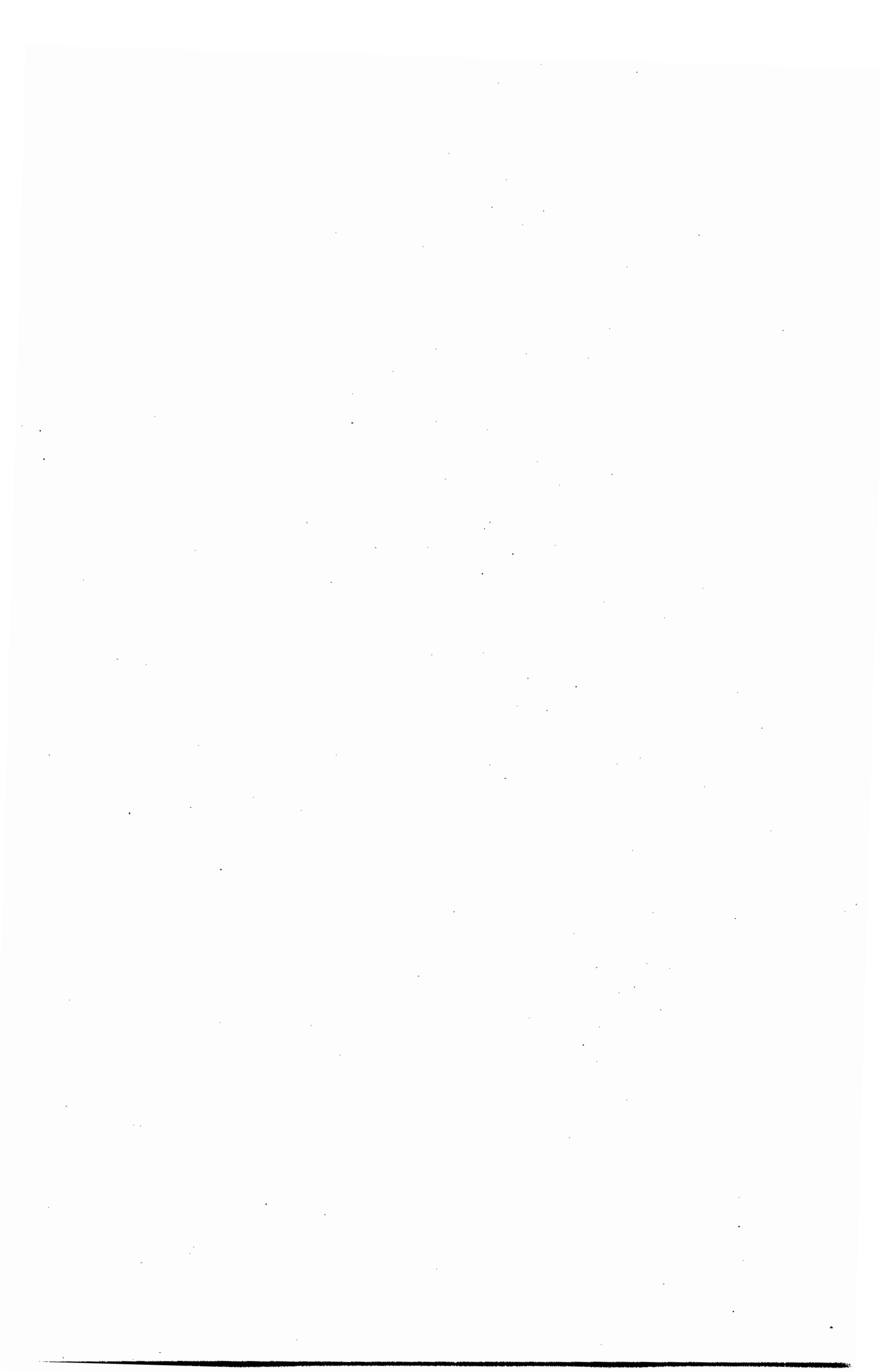
المسيح اليوم، وفي ذكرى إستشهاد الرسولين بطرس و بولس، طالب مثل هذه الذوكصولوجية الصادقة الأمينة باستعداد صبغة الدم. الرب يطلب لحن إنكار الذات بإحساس الصليب، بموت المشيئة، بنية رفض كل حياة لمجد الناس والجسد.

فمن ذا الذي يعيد اليوم بالروح القدس لموت بطرس و بولس على إسم المسيح، إلا الذين لم يحبوا حياتهم حتى الموت؟! يعيشون سهارى متيقظين في كل لحظة كما كان بطرس على إستعداد «**لأي ميتة كان مزمعاً أن يمجد بها الله**» كما سجل له يوحنا الرسول في إنجيله كوعد الرب له.

إذن ومن قول الرب لبطرس يتضح جلياً أن **تمجيد الله** يرتفع ليس بارتفاع طبقة اللحن من الحناجر المتقنة الحفظ، بل بارتفاع أنين الألم والظلم وعنف الإضطهاد حتى الموت. «تمد يديك وآخر يمنطقك (أو يربطك) ويحملك **حيث لا تشاء.** قال الرب هذا مشيراً إلى أية ميتة كان بطرس مزمعاً **أن يمجد بها الله**» (يو٢١: ١٨، ١٩).

نعم هذا هو لحن عيدنا اليوم أيها الأحباء، وهذا هو تصميم تمجيدنا لله والمسيح، أن نكون في هذه اللحظة وكل لحظة آتية، باستعداد الشهادة للمسيح بملء الضمير بكل إخلاص النية، بكل عزم، باستعداد إنكار الذات حتى الدم، هذا الذي لا يمكن أن نبلغه إلا بملء الروح القدس. آمين.

❁



أعمال الروح القدس في العهد القديم

أغسطس ١٩٧٦

بمناسبة صوم الرسل وتقليد الكنيسة من جهة قراءة سفر أعمال الرسل أثناء فترة الخمسين وما بعدها.

أعمال الروح القدس في العهد القديم

□ □ □

بطرس الرسول يجمل عمل الروح في كل الأسفار هكذا: «عالمين هذا **أولاً**، أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص، **لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس**» (٢بط١: ٢٠، ٢١).

بل وقد اعتبر بطرس الرسول أن الروح القدس الذي كان في الأنبياء والقديسين في العهد القديم، كان يخدم بوضوح قضية آلام المسيح الفدائية، وأمجاد قيامته التي للتبرير والخلاص:

ــ «نائلين غاية إيمانكم **خلاص النفوس، الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياءُ. الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أي وقت** أو ما الوقت (زمان البر والخلاص) الذي كان يدل عليه **روح المسيح الذي فيهم. إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد (القيامة) التي بعدها.** الذين أُعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور» (١بط١: ٩ــ١٢).

والحقيقة أن بطرس الرسول كان يعتمد في تقريره هذا على شهادة تلميذي عمواس، اللذين أخبرا التلاميذ كيف بدأ الرب يشرح لهما و يفسر منهج الإشارات، **التي أوردها الروح القدس على لسان الأنبياء في كل أسفار العهد القديم الخاصة بآلامه ثم أمجاده:**

ــ «**أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا و يدخل إلى مجده؟ ثم ابتدأ من موسى**

(الأسفار الخمسة) **ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب**([1])» (لو٢٤: ٢٦، ٢٧).

وفي قول الرب لتلاميذه مباشرة «هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم، أنه لابد أن يتم جميع ما هو **مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير،** حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب» (لو٢٤: ٤٤، ٤٥).

والآن تظهر أمامنا حقيقة عمل الروح القدس في العهد القديم في غاية الوضوح، وهي أن أعمال الروح القدس في الأسفار في العهد القديم، كما في سفر الأعمال في العهد الجديد، كانت في جملتها تخدم الخلاص الذي نعيش نحن فيه الآن، والذي كان عتيداً أن يكشفه الروح القدس عندما يُستعلن المسيح في آلامه وقيامته: «الذين أُعلن لهم أنهم **ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور** التي أُخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم **في الروح القدس** المرسل من السماء» (١بط ١: ١٢).

إذن، فأعمال الروح القدس في العهد القديم كانت ذات صلة أساسية بعمل الروح القدس في العهد الجديد!!

ولكن كيف كان يعمل الروح القدس في العهد القديم؟

إن كانت أعمال الروح القدس، التي بدأ يعملها المسيح في العهد الجديد، هي بعينها التي كان **يخدم بها الأنبياء والقديسون في العهد القديم،** فنحن نتوقع تطابقاً شديداً بين المنهجين؛ غير أن أعمال الروح التي تمت بالمسيح في العهد الجديد كانت علنية، واضحة، عامة. أما أعمال الروح في العهد القديم فكانت سرية، رمزية، خاصة.

وبالدراسة والتعمق نجد أن الروح القدس أكمل عمله في العهد القديم على ثلاثة مستويات:

---

(١) ليلاحظ القارىء كلمة «الأمور المختصة به في ,,**جميع**،، الكتب»، حيث هنا يؤكد الرب أن جميع الكتب أي جميع الأسفار المقدسة في العهد القديم تختص بالرب.

أولاً: مستوى الكهنوت والذبائح.
ثانياً: مستوى القضاة والملوك.
ثالثاً: مستوى الأنبياء.

* * *



أولاً ـ أعمال الروح القدس على مستوى الكهنوت والذبائح
= الملامح الأولى لعمل الخلاص في مسحة الكهنة للتقديس والفداء

وظيفة الكهنوت في العهد القديم يمكن أن نلخصها في كلمة واحدة: «**التقديس**»، أي التكريس للمصالحة. فالكهنوت في مجمله كان عملية تقديس أو تكريس يقوم بها الروح القدس ـ **مسحة الكهنة** ـ ليفرز عينة **مختارة** من البشرية «**لتخدم**» **الله نيابة عن الشعب**، لتوصيل «**بر الله**» للناس.

أما الذبائح في العهد القديم فيمكن تلخيصها في كلمة واحدة أيضاً: «**الفدية**»، أي تحمُّل الآلام والموت عن آخرين، حيث ترفع الخطية ـ التي عقابها الموت ـ عن نفس الخاطىء، ليضعها على رأس الذبيحة، لتموت «**لتبرير الخاطىء**». وهذه العملية، التي كانت تتم في الحقيقة بواسطة الروح القدس، الذي كان يُمسح به الكهنة المختارون، كانت عملية **سرية**، أي لا يُدرَك فيها ماذا يتم في الشخص أو ماذا يتم في الذبيحة. وكانت **رمزية**، تشير إلى المسيح الواحد ككاهن وذبيحة معاً. وكانت **خاصة**، في حدود الشخص **المختار**.

ولكن الروح القدس في العهد القديم لم يحتفظ بالكهنوت والذبائح في شكلها السري المغلق، بل عاد وأفصح عنها، وكشف عن مفهومها، وأشار بوضوح إلى مرموزها.

فإشعياء النبي كشف في نهاية العهد القديم عن المفهوم الروحي الأصيل لمعنى «**الكهنوت ككل**»، أنه: «**خدمة وطاعة عبد واحد مختار آتٍ في ملء الزمن**»:

ـ «هوذا عبدي الذي أعضده **مختاري** الذي سُرَّت به نفسي، **وضعت روحي عليه** (لأن الرب مسحني) فيخرج الحق (البر) للأمم» (إش ٤٢: ١).

كما كشف أيضاً عن المفهوم الروحي السري لماهية موت الذبيحة: **«الموت الكفاري»**، ليس على المستوى الحيواني، بل الكاهن نفسه، أو الخادم، أو العبد!!:
ــ «**جعل نفسه ,, ذبيحة إثم**،، ... «**كشاة** تُساق إلى الذبح» ... «**سكب للموت نفسه... وهو حمل خطية كثيرين** (الكل)» ... «**الرب وضع عليه إثم جميعنا**» (إش٥٣: ٦ــ١٢).

وهكذا يوضح لنا إشعياء النبي أن عمل الروح القدس السري، الذي كان يعمله في الكهنوت والذبائح ألف سنة و يز يد، و بدون ملل، الذي ظل يعمله الروح في كل العهد القديم، **إنما كان يقوم على أساس عمله، أي عمل الروح القدس، في المسيح** ككاهن مختار وذبيحة مختارة معاً: «**وضعت روحي عليه**» ــ «**لأن الرب مسحني**» (إش٤٢: ١؛ ٦١: ١).

كما كشف إشعياء النبي أن ما كانت تجلبه كل الذبائح في العهد القديم بالنسبة ليهوه (الله) من رضى أو سرور، كانت في حقيقتها نابعة ومستمدة من مسرة الله الآب في ذبيحة إبنه:
ــ «هوذا عبدي الذي أعضده، **مختاري** الذي **سُرَّت به نفسي**... أما الرب **فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن إن جعل نفسه ذبيحة إثم... ومسرة الرب بيده تنجح**» (إش٤٢: ١، ٥٣: ١٠).

وهذا هو بعينه ما أعلنه الله في العهد الجديد، على مياه الأردن، بصوت من السماء، عندما قام الآب **بمسح إبنه قدوس القديسين، بالروح القدس**، لبدء خدمة الكهنوت الحقيقية على الصليب**!!** «أنت ابني الحبيب **بك سررت**» (لو٣: ٢٢).

على أنه ينبغي أن نفهم أن رضى الله وسروره في ذبائح العهد القديم، لم تكن في الذبائح الحيوانية بل فيما كانت تجلبه للخاطىء من إحساس برفع الذنب أو التبر ير، وهذا أوضحه إشعياء النبي أيضاً، بصورة جلية، بقوله: «وعبدي البار **بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها**» (إش٥٣: ١١).

هنا الربط بين كهنوت وذبيحة المسيح، وكهنوت وذبائح العهد القديم، هو المفتاح السري الذي **يفتح لنا آفاقاً هائلة لماهية عمل الروح القدس في كهنوت وذبائح العهد القديم**، على أساس عمل الروح القدس في خدمة وذبيحة المسيح، **الذي تم بصورة كهنوتية عالية، كمسحة عليا من الله، بالروح القدس، من السماء، بعلامة منظورة**؛ فصار هذا بحد ذاته كشفاً لسرّ اختصاص عمل الروح القدس في كل أسفار العهد القديم!!

لأن المسيح لم يُمسح ولم يُذبح ليجبر نقص كهنوت العهد القديم فحسب: «ما جئت لأنقض بل لأكمّل» (مت٥: ١٧)، بل وليجعل الشعب كله على مستوى الكهنوت «**مملكة كهنة وأمة مقدسة**»[٢] (خر١٩: ٦)، أي شعب مبرر مخصص لخدمة الله بتقديم كل إنسان نفسه ذبيحة على مثال المسيح: «من أجلك نُمات كل النهار قد حُسبنا مثل غنم للذبح» (رو٨: ٣٦).

فالكهنوت في العهد القديم، كاختصاص في سبط لاوي، قام على أساس عدم صلاحية الشعب عامة أن «**يخدم الله**» ككهنة، لنقص عام في مستوى القداسة والطهارة. هذا النقص العام لم يستطع حتى الكهنوت المخصص أن يعوضه، بالرغم من مسحة التقديس التي نالها من الله، بل اكتفى أن يبقى هو، بحد ذاته و بعجزه، رمزاً وإشارة للمسيح الكاهن الوحيد المختار، الذي بقداسته المطلقة وذبيحة نفسه، قدّس و برّر له شعباً مختاراً، جعله كله خداماً لله = «شعباً مبرراً ومملكة كهنة» على مستوى نفسه في «القداسة والحق».

على هذا الأساس تستضيء صورة العهد القديم كله بكل أسفاره أمام ذهننا، فكل إخفاقات التاريخ المقدس، على مدى كافة الأسفار، ولكل الشخصيات، كان منشأها عدم وجود الكاهن الحقيقي المبرّر، الذي يصالح، والذبيحة الحقيقية التي تبرّر،

---

(٢) كما يمنح المسيح نفسه للكنيسة، كرئيس كهنة، مذبوحاً على الصليب؛ هكذا تقيم الكنيسة أشخاصاً مختارين يحملون رسالة المسيح ليصالحوا الشعب بالله، كسفراء عن المسيح.

على مستوى الروح، لرفع العجز الكامن في طبيعة الإنسان، سواء في نفسه أو في غيره.

أما عمل المسحة (الروح القدس) التي كان يُمسح بها الكهنة، ألوف ألوف، لأجيال وراء أجيال، فكان عملها أن تشهد من جهة على استعداد سخاء الله، بإصرار دائم لتقديس الإنسان؛ ومن جهة أخرى على قصور دائم في طبيعة الإنسان للإستجابة لفعل التقديس بالروح، بانتظار من تحل عليه المسحة، كالمثيل على المثيل، فيصير، بدمه، التقديس الكامل لكل الشعب مجاناً.

لذلك، كانت الأسفار كلها، وكانت الشخصيات المسئولة كلها، تدور حول شخصية الكاهن الوحيد المختار القادم «العبد المتألم»، الذي قدم نفسه ذبيحة إثم، «ليبرر كثيرين (الجميع)»(*). وتتبلور جميع الأسفار في أن جميع الأنبياء كانوا، بروح الله، ينادون بالبر (العدل)، وظل جميع القضاة ثم الملوك، بإلهام وتدبير الروح، على ضوء مناداة الأنبياء، يحاولون تحقيق البر ــ العدل في قصور وعجز، إلى أن جاء المسيح الذي صار هو نفسه، بدمه و بروحه، للعالم كله براً كاملاً وقداسة وفداءً أبدياً (١ كو١: ٣٠).

إذن، فحينا نسمع في العهد الجديد أن «**الله كان، في المسيح، مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم**»، وفي موضع سابق أن الله «**صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة**» (٢ كو٥: ١٩، ١٨)؛ فإن هذا يعتبر إشارة بليغة إلى **عمل مسحة الكهنوت السمائي العالي التي للمسيح، والتي منحها لنا بواسطة كهنوته السري**: «واضعاً فينا كلمة المصالحة»، لكي «نسعى كسفراء عن المسيح، نطلب **عن المسيح**، تصالحوا مع الله» (٢ كو٥: ٢٠). و بإشارة أخرى بليغة، ينعطف بولس الرسول مرة واحدة لكي يشير إلى أن هذه المصالحة العظمى للبشرية مع الله، التي تمت بمسحة كهنوت المسيح، هي قائمة أساساً على «**سر الذبيحة**»، ذبيحة المصالحة التي أكملها المسيح أمام الله، في نفسه، عوض كل ذبائح العهد القديم، عندما

(*) «الكثرة» تفيد «الكل» في المدلول اللغوي العبري.

حمل خطايانا فمات على الصليب «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطيةً لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه» (٢ كو٥: ٢١).

وبهذا يتحقق أمامنا، بصورة رائعة ناصعة، أن الروح القدس كان في القديم يعمل في سر الكهنوت والذبيحة، لمصالحة الإنسان بالله من خلال فعل كهنوت المسيح وذبيحته، بأثر رجعي فائق «دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم» (١ بط ١: ١٩، ٢٠)، لأن المسيح قد تعيَّن، منذ الأزل وقبل تأسيس العالم، ليحمل قضية الإنسان و يتبناه «فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم ولكنه الآن أُظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه» (عب ٩: ٢٦).



ثانياً ــ أعمال الروح القدس على مستوى القضاة والملوك
= الملامح الأولى للخلاص بروح القوة والرئاسة والقيادة

أ ــ القضاة: بدأت أعمال الخلاص بالنسبة للشعب في العهد القديم على أيدي القضاة.

وفي الحقيقة يعتبر الله نفسه هو قاضي إسرائيل:

ــ «فإن الرب قاضينا، الرب مُشرِّع لنا، الرب ملكنا، وهو يخلِّصنا» (إش٣٣: ٢٢).

ولكن موسى كان هو أول من قضى باسم الله، و بروحه، للشعب:

ــ «وحدث في الغد أن موسى جلس ليقضي للشعب... فقال موسى إن الشعب يأتي إليَّ ليسأل الله!!» (خر١٨: ١٣، ١٥).

ولكن عصر القضاة يبدأ بعد موت يشوع، حينما صرخ الشعب لله يطلب الخلاص: **«وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم»** (قض٢: ١٦). هؤلاء كانوا يتكلمون و يعملون بروح الله.

وكان أول القضاة **«عُثْنِييِئيل»** أخا كالب، وآخر القضاة كان **شمشون، ودبورة** كانت الرابعة في ترتيب القضاة. ولكن هذا لم يمنع قيام قضاة حتى وفي زمن الملوك، لأداء مهمة خاصة يدعوهم لها الروح القدس. وكان اعتمادهم الكلي على ممارسة وظيفتهم الخطيرة في الحرب والسلم هو الروح القدس، لتقرير **ما هو الحق**، واستعادة **ما هو حق.** فالقاضي في العهد القديم هو مقرر الحق ومُقيمه، لذلك فهو المخلِّص من يد الناهبين، والمقام لهذا الخلاص كحقيقة تُعاش:

ــ «وحينما أقام الرب لهم قضاة، كان الرب مع القاضي، **وخلَّصهم من يد أعدائهم، كل أيام القاضي...، وعند موت القاضي كانوا يرجعون و يفسدون أكثر من آبائهم...»** (قض٢: ١٨، ١٩).

وتعطينا طريقة إقامة القضاة المفاجئة بواسطة الروح القدس فكرة مبكرة، عن كيفية حلول الروح القدس على الإنسان، وبدون وسيط على الإطلاق، بعكس إقامة الكهنة التي كان يسبقها اختبار، ثم اختيار، ثم تقديس بالمسحة، علني، ووضع اليد. ولكن الملاحظ أن المسحة لا يصحبها في الكهنوت أية علامة أو قوة، فسر الكهنوت كان دائماً ينطوي على السرِّية في البذل والفداء، في مظهر إخلاء وضعف، وليس في مواهب وقوة.

والسبب في ذلك واضح، لأن الكاهن صاحب وظيفة ممتازة بحد ذاتها، فهو الوسيط المصالح بين الخاطىء والله، يبارك ويلعن، ويرشد وينذر، كما من الله، بحسب قوانين وأصول ونواميس دقيقة موضوعة سابقاً، يطبِّقها دون أن يخرج عليها، لا بالزيادة ولا بالنقصان. فهو، بحسب تعبير الرسالة إلى العبرانيين، عبد أمين على بيت الله... (عب٣: ٥). ومثل هذه الوظيفة لا تقبل آيات ومعجزات؛ أولاً لأن الكاهن يطبق نواميس دقيقة موضوعة وحسب، وثانياً لئلا بالمعجزة والآية تزداد هيبته في أعين الشعب، أو في عين نفسه، فيتعالى على الله الذي يمثِّله.

أما القاضي فلأنه من عامة الشعب «ها عشيرتي هي الذُّلَّى في مَنَسَّى وأنا الأصغر في بيت أبي» (قض٦: ١٥)، وقد أقامه الله لخلاص شعب برمته، لذلك فقد لزمت هنا المعجزة والآية جداً، أولاً: حتى يتحقق الشعب أن الأمر من الله، وثانياً: لكي لا يخور القاضي بسبب ضعفه وفقره وذُلِّه ومسكنته.

والقضاة كان يقيمهم الروح القدس من عامة الشعب، بدون سبق إنذار أو ترقب أو تعيين؛ كقوة تحل عليهم أو قوة تلبسهم لبساً، فتتغير أشخاصهم في الحال، حيث يكون حلول الروح على مستوى القوة والمباغتة، لدرجة يتعذَّر معها الرفض أو المقاومة، كما في شمشون أو جدعون أو شاول، حيث يتغيَّر الشخص تغيُّراً شاملاً ومفاجئاً فيصير «رجلاً آخر»، بتعبير الكتاب، لكي يصلح لأداء المهمة العظمى للخلاص التي أقامه الروح لها لخلاص الشعب من الأعداء، أو لقيادته في الضيق، بقوة فائقة على الطبيعة وبأعمال إعجازية خارقة، حيث كان يعمل روح الله في القضاة سواء بأيديهم أو

بقلوبهم أو بمنطقهم الذي لا يقاوَم، لجمع كلمة الشعب وإلهاب نار الغيرة فيه وتوحيد قواه وقيادته كرجل واحد و بنفس واحدة، لخلاص يسبق الروح فيعيِّنه ويحدد زمنه، حتى يبقى الروح القدس متفوقاً فوق قوة الشعب وعدده وأسلحته، و يكون هو صاحب الكلمة والمشورة والنجاح والقيادة: «**لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي** قال رب الجنود» (زك ٤: ٦).

وربما كان هذا هو السبب في أن الروح كان يحل ويملأ بقوة مفاجئة ومباغتة، و بدون تمهيد أو تدر يب سابق، حتى لا يتوهم القاضي أو الشعب أن هذا كان بتقوى الأشخاص أو بقداسة الشعب، ومن جهة أخرى حتى يقتنع الشخص و يقتنع الشعب أن التعيين صدر من الله، بدون تدخل أو تزكية من إنسان:

ــ «فأقام الرب **مخلِّصاً لبني إسرائيل فخلَّصهم: عُثْنِيئيل** بن قناز أخا كالب الأصغر. **فكان عليه روح الرب**، وقضى لإسرائيل، وخرج للحرب، فدفع الرب **ليده**... ملك آرام... واستراحت الأرض» (قض ٣: ٩ــ ١١).

ــ «وكان **روح الرب على يَفْتاح**، ... ونذر يَفْتاح نذراً للرب... فدفعهم الرب **ليده**» (قض ١١: ٢٩ــ ٣٢).

ــ «ونزل شمشون وأبوه وأمه إلى تِمنَه، وإذا بشبل أسد يزمجر للقائه، **فحل عليه روح الرب** فشقه كشق الجدي وليس في **يده** شيء» (قض ١٤: ٥، ٦)ــ هنا الحلول مباغت وسر يع للغاية ليناسب هجوم الأسد.

ــ «وحل روح الله على شاول عندما سمع الكلام،... فوقع رعب الرب على الشعب **فخرجوا كرجل واحد**» (اصم ١١: ٦، ٧).

ــ «**ولبس روح الرب جَدْعُون**، وقال جدعون لله إن كنت **تخلِّص**، **بيدي**، إسرائيل **كما تكلمتَ**...» (قض ٦: ٣٤، ٣٦).

من هذه الآيات نستشف كيفية ومعنى حلول «روح الرب» في القضاة، لأن بهذا الحلول استطاع الله **أن يعمل، ويحكم، و يؤدب، ويجازي، ويخلِّص بنفسه، من خلال الإنسان.**

فالله في العهد القديم كان يتراءى خارج الإنسان، بهيئة ظاهرة، إما بواسطة ملاك ــ «وقال لي ملاك الله... أنا إله بيت إيل...» (تك ٣١: ١١، ١٣)، «**ها أنا مُرسِلٌ ملاكاً أمام وجهك ليحفظك** في الطريق، ويجيء بك إلى المكان الذي أعددتُه. احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه، **لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن إسمي فيه** (أي إني مستعلن فيه)» (خر٢٣: ٢٠، ٢١).

وإما كان الله نفسه يتراءى داخل الإنسان، «بروحه»، كقوة سرية، غير منظورة، تحل في كل الكيان.

وقد استقر علماء اللاهوت المتخصصون في العهد القديم على أن تعبير «روح الله» يعني الله نفسه، مستعلناً في عمل سري، أو في قوة ما داخل الإنسان أو خارجه: «من قاس **روح الرب... فبمن تشبهون الله** وأي شبه تعادلون به» (إش ٤٠: ١٣، ١٨). كما اعتبروا حلول «روح الله» في القضاة كقوة فعالة دخلت كيانهم لم يكن شيئاً آخر سوى حلول الله نفسه[٣]. ولكن هذا الحلول الإلهي في الإنسان (القضاة) لم يمنع من مفارقة روح الله لهم، عند سقوط بعضهم في الخطيئة، وانطراحهم بعيداً عن الله، مثل شاول. ولكن ضعف الإنسان لم يستنفد صبر الله ولا سخاء روحه قط، فقد ظل الله يقيم مخلِّصين عوض الساقطين، على مدى التاريخ.

كما يلاحظ القارىء أن العهد القديم استخدم في حلول الأقنوم الثالث نفس الإصطلاح الذي استخدمه العهد الجديد في حلول الأقنومين الثاني والثالث «**ولبس** روح الرب جدعون»، «**تُلْبَسوا** قوة من الأعالي»، «كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل٣: ٢٧)؛ حيث «اللُّبْس» هنا هو عملية سرية للغاية، تفيد تغييراً جذرياً في طبيعة الإنسان، لا يُفقدها كيانها، بل **يضيف** إليها ما هو ليس لها. وهو نفس التعبير الذي استخدمه بولس الرسول بخصوص تجديد طبيعة الإنسان «**تخلعوا**... العتيق **وتلبسوا الجديد**» (أف ٤: ٢٢ــ٢٤)، حيث يصير الإنسان **خليقة جديدة**؛ ولكن الخلع هنا، الذي يتم بموت المسيح في العهد الجديد، يفيد موتاً سرياً

---

(3) Theol. of O.T., by Davidson, p. 116, 123.

لجسم الخطيئة «إن كان المسيح فيكم، فالجسد ميت بسبب الخطية» (رو٨: ١٠)، أما في العهد القديم فالخلع يفيد انتفاضة يفقد فيها الإنسان كل ضعفه وخوفه، و يُلبَس قوة الله، لإتيان المعجزة.

ولا يصعب على القارىء أن يستشف من تاريخ القضاة ورسالتهم، القائمة على أساس حلول الروح القدس عليهم، واقتدارهم في القول والعمل للخلاص، سواء بالحرب أو بالقيادة في السلم، تحت ظل الناموس؛ لا يصعب على القارىء أن يستشف أنهم يمثلون صورة مبكرة للخلاص الماسياني، بعمل الروح القدس، العتيد أن يُستعلن في المسيح، كمخلِّص، وكقاضٍ، قضى لنا من الناهبين لنا، ومن عبودية الشيطان، بالحرب العلنية ضد الشيطان، هذه الحرب التي بدأت بعد مسحة المسيح بالروح في الأردن: «إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (مت ١٢: ٢٨)؛ أو بالحرب غير المنظورة التي أكملها المسيح على الصليب.

لذلك، فإن عمل الروح القدس في **«القضاة»** لا يمكن تفريقه عن عمله في العهد الجديد، إلا بالقدر الذي يمكن أن نفرق به الخلاص من العبودية جسدياً ــ في معناه الضيق، والخلاص من العبودية الروحية ــ في معناه المتسع اللانهائي، روحياً.

على أنه حتى ما كان يعانيه الشعب من مذلة السبي أو التأديب الجسدي بأي نوع، هذا لم يكن إلا عقاباً لشرور وتعديات على وصايا الله والناموس الروحي. فعمل الروح القدس في **«القاضي»**، في العهد القديم، كان يدور ما بين الخطية والعقاب والتوبة والخلاص، إنما على مستوى الشعب؛ حيث كان روح الله يعمل دائماً على مستويين: يبني ويهدم، يغرس و يقلع. يرضى فيعفو، و يغضب فيعاقب: «إذ **غسل** السيد قذر بنات صهيون، ونقى **دم** أورشليم من وسطها، بروح القضاء، و بروح الإحراق» (إش ٤: ٤).

بهذا وذاك كان **«روح القضاء»**، في العهد القديم، يعمل عمل الماء والدم، في العهد الجديد، بموت المسيح، حيث قضى لنا **على الصليب**.

هذا هو الوجه الأول للصليب، أي عملية القضاء ضد الشيطان = (روح القضاء).

أما الوجه الثاني للصليب، فهو عملية ذبيحة المحرقة المقدمة لله عن خطايا الشعب = (روح الإحراق).

إذن، فروح القضاء وروح الإحراق، في العهد القديم، توضحا على الصليب بقوة فائقة. أما **روح الإحراق**، في العهد الجديد، فهو نار الروح القدس الذي فسَّره بولس الرسول هكذا: «إذ اغتسلتم، بل تقدستم، بل تبررتم باسم الرب يسوع و بروح إلهنا» (١ كو٦: ١١).

وفي الحقيقة يعتبر سفر القضاة، في العهد القديم، بأشخاصه الذين اختارهم روح الله من عامة الشعب، صورة مطابقة وشارحة لسفر أعمال الرسل لخلاص شعب إسرائيل في العهد الجديد، لأن في كليهما **يُستعلن الروح القدس، كعمل تصحبه المواهب الممتازة والمعجزات الفائقة على قوى الإنسان والطبيعة، لخلاص الإنسان، ولتمجيد الله**. في حين أن الروح القدس، في أسفار الأنبياء، في العهد القديم كما في الأناجيل، في العهد الجديد، **يُستعلن «بكلمة الله» الفعَّالة للخلاص أيضاً، ولكن من داخل الإنسان، أي في ضمير الإنسان، لتغييره للخلاص ولتمجيد الله بالنهاية**.

على أن استعلان وظيفة الروح القدس **بالعمل** (في سفر القضاة وسفر أعمال الرسل)، أو **بالكلمة** (في أسفار الأنبياء والأناجيل)، كل منهما ملتحم بالآخر **«العمل والكلمة»**، وكل منهما معجزة وآية، تهدف نحو الخلاص وتمجيد الله، وهما وظيفتان أساسيتان للروح القدس في العهد القديم، كما هو في العهد الجديد.

□

ب ــ عمل الروح القدس على مستوى الملوك:

يُعتبر الملوك في العهد القديم ورثة لنظام «القضاة»، ولكن بصورة رسمية أكثر

وبصفة دائمة نوعاً ما، لأن إقامة الروح القدس للقضاة، للخلاص، كانت تدعو إليها الضرورة الشديدة، بسبب وقوع الشعب تحت الضيقة أو السبي.

ولكن نظام مسح الملوك بالدهن، لحلول الروح القدس عليهم، أخذ صفة وضع سياسي ورسمي دائم للمحاماة الدائمة عن الشعب، ولقيادته أيضاً في الحرب والسلم، بالقوة والقانون. وهكذا لا يمكن أن نغفل سبب قيامه، من واقع مركز إسرائيل الحرج وسط شعوب معادية.

فبينما الروح القدس كان يحل على القضاة بصورة مباغتة، وبدون اختيار أو تزكية، بل وبدون إعداد أو استعداد، حيث كان الحلول تفرضه ضرورة ملحة سريعة — من الواقع؛ نجد عكس ذلك في حالة إقامة الملوك. إذ أن النظام أو الطقس بدأ يدخل في رسامة الملوك، لحلول الروح القدس، وذلك بالإختيار، والإعداد، والمسح بدهن المسحة، حتى يتخصص الشخص أو يتقدس، ويصير ملكاً دائماً من قِبَل الله، «مسيحاً للرب»، حيث المسحة تعتبر كختم سري يطبع على الملك صورة الله، ويمده بجلالٍ وهيبةِ روح الله الذي يحل عليه، ولكن بدون معجزات باهرة، بعكس ما حدث في القضاة:
— «فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصبّ على رأسه (شاول) وقبّله وقال: أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً» (١صم ١٠: ١).
— «فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته، وحلّ روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً» (١صم١٦: ١٣).

هنا مفهوم الخلاص بالروح القدس، الذي يحققه نظام الملوكية في العهد القديم، بدأ يمتد خطوة أعمق، في الرمز، عن مفهوم الخلاص الذي حققه قيام القضاة. فالخلاص في القضاة، هو «**خلاص من الناهبين**» بالقوة والبأس والمعجزة، أما الخلاص في «**الملوك**»، فهو للتعبير عن خلاص بالمجد والجلال وهيبة الرئاسة «وبروح رئاسي عضِّدني» (مز٥١: ١٢).

فالملك في القديم، بعد زمن القضاة، بدأ يأخذ صورة «شخص الله» نفسه، جالساً

على عرشه، وفي يده صولجان الملك، بل و بدأ الله يمده بهيبته الخاصة وصفاته، التي كانت تقع على الأعداء، كرعبة ورعدة، تدفعهم للخضوع والتذلل، حتى و بدون حرب كما في أيام سليمان الملك.

وعلى العموم، فإن عصر الملوك في العهد القديم يمثل و يرمز لـ«ملكوت الله» في المستقبل، **وكان حلول الروح القدس على الملوك، بالمسحة، يتمم بالفعل حضور الله في وسط الشعب، ويحقق الخلاص بالتفوق القائم على سلطان الله وحضوره.**

ولا يغيب عن البال أن الله كان يحسب نفسه، أو يحسبه الوحي، أنه **«ملك إسرائيل»**، المتفوق على كل الملوك (مز٩٥)، الحقيقي والوحيد، وأن كل ملك إنما هو صورة ورمز، أو فم و يد تتمم مشيئة الله: «بمجد مُلْكك ينطقون وبجبروتك يتكلمون، ليعرِّفوا بني آدم قدرتك ومجد جلال مُلكك، مُلكك مُلك كل الدهور، وسلطانك في كل دور فدور» (مز١٤٥: ١١ــ١٣).

وحينما كان ينخدع الشعب من سلطان وقوة من يحل عليهم روح الرب للتسلط، كان روح الله يلهم الملك أو القاضي أن يرد السلطان الحقيقي إلى صاحبه:

ــ «وقال رجال إسرائيل لجدعون **تسلَّط علينا أنت وإبنك وإبن إبنك، لأنك قد خلَّصتنا** من يد مديان، فقال لهم جدعون **لا أتسلط أنا عليكم**، ولا يتسلط إبني عليكم. **الرب يتسلط عليكم**» (قض٨: ٢٢، ٢٣).

لذلك لا يمكن أن يحسب نظام **«الملوكية»** في العهد القديم، بالنسبة لشعب إسرائيل، أنه مثل أي نظام ملوكية لأي شعب آخر، فلك إسرائيل ملك ممسوح بروح الله، فهو قائد ملهم ومشرِّع، يستمد قوانين مملكته من الروح الذي حل عليه من قِبَل الله، ليتمم أعمال الله ومشورته، و يؤسس العدل والبر على الأرض بالنسبة للشعب، لأنه مختار من الله بفم نبي.

ولكن من بعد سليمان الملك اختفت من الملوك عامة مواهب الروح والإلهامات التابعة، لكي تمهد لمفهوم المسيا الملك الواحد الوحيد الحقيقي.

لذلك نلاحظ كيف انتقلت اصطلاحات الملوكية «**العرش**» و«**التاج**» و«**قضيب الملك**»، شيئاً فشيئاً، من المفهوم البشري إلى التعبيرات الروحية: «**عرش النعمة**»، «**تاج الخلاص**»، «**قضيب تأديبات الله**»، وهكذا انكشف عمل الروح القدس في هذه الإصطلاحات، وجاء المزمور الثاني ليكشف بصراحة ووضوح أكثر عن الحقيقة الإلهية المختفية وراء نظام الملوكية القديم برمَّته:
ــ «**أنا قد مسحت ملكاً على صهيون** جبل قدسي، أنت ابني أنا اليوم ولدتك، اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك، **وأقاصي الأرض مُلكاً لك**» (مز٢: ٦ــ٨).

والعجيب أنه قد تم في أيام الملوك، أي في صميم العهد القديم نفسه، انكشاف مفهوم نظام الملوكية برمته، عند الإعلان عن المسيا أنه «الملك» الحقيقي، بالمفهوم الروحي الإلهي، مما شجع الملوك في إسرائيل أن يأخذوا أكثر فأكثر صفات وأعمالاً إلهية، ليست لهم أصلاً، بل كانت من اختصاص رؤساء الكهنة:
ــ «**وبنى داود هناك مذبحاً للرب، وأصعد محرقات وذبائح سلامة، واستجاب الرب** من أجل الأرض، فكفَّت الضربة عن إسرائيل» (٢صم٢٤: ٢٥).

وفي هذا الجو السرِّي لمفهوم الملوكية، بدأ طقس رسامة الملوك يأخذ تعبيرات كهنوتية وماسيانية صريحة وواضحة. فمزمور ١١٠ صار تسبحة التتويج الرسمية في يوم مسح أي ملك لإسرائيل:
ــ «قال الرب لربي إجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. يرسل الرب قضيب عزك من صهيون... أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق».

وكذلك، وبنفس الروح، كان يُقال المزمور الثاني في طقس رسامة الملوك.

وليس أعجب من المزمور ٧٢، الذي ألَّفه سليمان، طالباً من أجل أبيه ومن أجل نفسه روح قضاء وعدل، وروح فهم للحق، وروح خلاص للبائسين، وسحقاً للظالمين، ورهبة وخشية تقع على الأعداء حتى يلحسوا أمامه التراب، وحتى يسجد له كل ملوك الأرض!! وهكذا يسترسل في الدعاء، حتى يختلط على القارىء هل هو يتكلم عن

نفسه كملك أرضي، أم يتكلم عن المسيّا (الله) الذي «تتعبد له كل الأمم»؟ (مز٧٢: ١١).

وهكذا تنجلي الملوكية في إسرائيل، بكل طقوسها وإعلاناتها ومواهبها الروحية ــ المحدودة آنذاك، عن حقيقة «**ملكوت الله**»، التي انكشفت بمسح المسيح، وبإرساليته كملك حقيقي على كل الأمم، الذي استُعلن للرسل ثم للأمم، بقوة فائقة وسلطان إلهي، بالروح القدس، يوم الخمسين، جاعلاً من كل الذين آمنوا به واقتبلوا سر قيامته، **ملوكاً وكهنة معه لله أبيه، بمسحة الروح القدس ومواهبه الفائقة.** وهذه الحقيقة العجيبة نراها في غاية الوضوح في العهد القديم، كما في العهد الجديد تماماً.

ففي العهد القديم:

ــ «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقرّبوه قدامه، **فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة... أما قديسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين... وأعطى الدينونة لقديسي العلي، وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة... والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء، تُعطى لشعب قديسي العلي، ملكوته ملكوت أبدي**» (دا٧: ١٣، ١٤، ١٨، ٢٢، ٢٧).

وفي العهد الجديد:

ــ «لأنك ذُبحت واشتريتنا لله، بدمك، من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة، **وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة، فسنملك على الأرض**» (رؤ٥: ٩، ١٠).

وكأنما كل نظام الملوكية في إسرائيل صُنع وخُطّط بالروح، **لينتهي إلى الصورة والنعمة التي نحن فيها مقيمون، في المسيح، بالروح القدس، مع انتظار ملء استعلانها بمجيئه.**

لذلك كيف نعبر على سفري الملوك الأول والثاني، دون أن نكتشف أنفسنا في كل

حركة من حركات الروح، الذي كان يدبر خطة الخلاص العظمى من أجلنا نحن، «الذين أُعلن لهم أنهم، ليس لأنفسهم، بل لنا، كانوا يخدمون بهذه الأمور، التي أُخبرتم بها أنتم، الآن، بواسطة الذين بشروكم في الروح القدس المرسَل من السماء» (١بط ١ : ١٢).

فإن كان الروح القدس في سفر القضاة في القديم هو المثيل المطابق لعمل الروح القدس في سفر أعمال الرسل الذي لم ينته بعد، إذ لا يزال الروح القدس يعمل فينا بنفس المواهب والقوة، لتكميل القديسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة إبن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح (أف ٤ : ١٢، ١٣)؛ هكذا أيضاً عمل الروح القدس في سفر الملوك، **فهو المثيل المطابق لعمل الروح القدس لإستعلان سر ملكوت الله فينا، الذي صار انسكاب الروح القدس يوم الخمسين هو ختمه الخالد فينا كمسحة الملوك:** «إذ أنتم **خُتمتم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا...**» (أف ١ : ١٣، ١٤)، الذي كشفه سفر الرؤيا بوضوح: «جعلنا **ملوكاً** وكهنة لله أبيه» (رؤ ١ : ٦)، حيث الملوكية أو ملكوت الله، في العهد الجديد، هو الدور الأعظم سرية الذي تقوم به الكنيسة. فالكنيسة في العهد الجديد تتمم سفر الملوك وتعلن أسراره الفائقة: «**والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تعطَى لشعب قديسي العلي،** ملكوته ملكوت أبدي» (دا ٧ : ٢٧).



ثالثاً ــ الشهادة بالكلمة:
عمل الروح القدس على مستوى الأنبياء

درجات الأنبياء في العهد القديم تنقسم إلى ثلاثة مستويات:

١ ــ **رائي** = النطق العبري Roeh

٢ ــ **الناظر** = النطق العبري Hōzeh

٣ ــ **النبي** = النطق العبري Nabi

أولاً: الرائي:

وإن كان من الصعب التفريق بين عمل الروح القدس في هذه المستويات لأن كل واحد منهم قد يقوم بعمل الآخر، إلا أن التفريق في الأسماء واضح على مدى التاريخ. في بداية العهد القديم، كان التفريق بين النبي والرائي واضحاً جداً، كما ذكر الكتاب: «هوذا يوجد بيدي ربع شاقل فضة فأعطيه **لرجل الله** فيخبرنا عن طريقنا، **لأن سابقاً في إسرائيل** هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله هلم نذهب إلى **الرائي**، لأن **النبي** اليوم كان يدعى سابقاً **الرائي**...» (١ صم٩: ٨، ٩).

واضح هنا أن زمان تدوين سفري صموئيل النبي جاء متأخراً جداً عن زمن صموئيل نفسه، كذلك واضح جداً أنه بمضي الزمن حدث تغيير في استخدام هذين اللقبين، من لقب الرائي إلى لقب النبي، وهو لقب **رجل الله** الذي كان يعطي مشورة من الله و يرد على أسئلة الشعب باسم الله.

ولقد صار النبي في العصور المتأخرة عضواً في جماعة تدعى جماعة الأنبياء ــ وهي جماعة تسمع وترى الغيبيات وهي في شبه غيبوبة، في حين أن الرائي كان شخصاً قائماً بنفسه، ولكنه كان ذا أهمية وقدرة تفوق قدرات النبي في جماعة الأنبياء، والذي يمثل **شخصية الرائي** في العهد القديم تمثيلاً دقيقاً، و بالدرجة الأولى هو صموئيل النبي.

ثانياً: الناظر:

أما لقب «الناظر» hōzeh ، فقد جاء للأسف في الترجمة العربية للعهد القديم كثيراً تحت كلمة الرائي، مع أنها ذات أصل لغوي آخر في اللغة العبرية. وهي تفيد «النظر» وليس «الرؤيا»: «الذين يقولون **للرائين لا تروا وللناظرين لا تنظروا** لنا بالمستقيمات (بالإستقامة) كلمونا بالناعمات. انظروا مخادعات (خداعاً)...» (إش ٣٠: ١٠).

والفرق بين الإثنين أن الرؤيا (وبالتالي الرائي) تفيد المعرفة بالروح، والعقل في حالة «غيبة». أما النظر (وبالتالي الناظر) فتفيد المعرفة بالروح للأمور المستقبلة بالإستشفاف، والعقل في حالة صحو. والناظر بالروح يسمى أيضاً **العارف بالروح** «لأن ملك بابل **وقف على أم الطريق ليعرف عرافة**... بالترافيم نظر إلى الكبد» (حز ٢١: ٢١).

ووظيفة «الناظر»، كما جاءت في سفر أخبار أيام الملوك الأول والثاني تحت كلمة «رائي»، جاءت متعلقة دائماً بالملك وبكل مهامه ومختلف أعماله، فكان «الناظر» هو رجل الله المرسَل من الله، الذي **ينظر المستقبلات بالروح، ويشير على الملك** بما ينظره بالروح، أو يوبخه على أعماله الشريرة، **فكان يعمل عمل النبي تماماً ولكن في حدود مهام الملك**. وكان ذا كرامة ويحسب في الشعب كالرئيس:

ــ «لأن الرب قد سكب عليكم روح سبات وأغمض عيونكم، الأنبياء **ورؤساؤكم الناظرون** غطاهم، وصارت لكم رؤيا الكل مثل كلام السفر المختوم الذي يدفعونه لعارف الكتابة قائلين اقرأ هذا فيقول لا أستطيع لأنه مختوم» (إش ٢٩: ١٠).

ــ «ورجع يهوشافاط ملك يهوذا إلى بيته بسلام إلى أورشليم وخرج للقائه ياهو بن حناني الرائي، وقال للملك يهوشافاط أتساعد الشرير وتحب مبغضي الرب، فلذلك الغضب عليك من قبل الرب» (٢أي ١٩: ١، ٢).

ــ «وبقية أمور منسَّى (الملك) وصلاته إلى إلهه وكلام الرائين (الناظرين) hōzeh له الذين كلموه باسم الرب إله إسرائيل ها هي في أخبار ملوك إسرائيل،

وصلاته والإستجابة له وكل خطاياه وخيانته... قبل تواضعه ها هي **مكتوبة في أخبار الرائين** (الناظرين) hōzeh » (٢أي٣٣: ١٨، ١٩).

وهنا يلاحظ أنه كان من صميم أعمال الناظر والرائي والنبي تدوين أخبار عصره بالروح، كمؤرخ ملهم، وخصوصاً الأخبار الملكية التي كلفه الله بعلاجها:

ــ «وأمور داود الملك الأولى والأخيرة هي مكتوبة في سفر أخبار **صموئيل الرائي** وأخبار ناثان النبي وأخبار جاد الرائي» (١أي٢٩: ٢٩).

ــ «وبقية أمور سليمان الأولى والأخيرة أما هي **مكتوبة في أخبار ناثان النبي، وفي نبوة أخيَّا الشيلوني، وفي رؤى يَعْدُو الرائي**...» (٢أي٩: ٢٩).

ــ «وأمور رحبعام الأولى والأخيرة أما هي مكتوبة في أخبار **شَمعِيا النبي وعِدُّو الرائي**...» (٢أي١٢: ١٥).

وهنا تتحول الشهادة التلقائية بكلمة الله التي يرسلها في موقف خاص إلى شهادة دائمة مدونة في سفر، لتصبح ميراثاً قانونياً وتشريعياً للشعب.

والرائي كان يتنبأ أيضاً ــ دون أن يدَّعي أنه نبي ــ بتلقائية كمن يرى أمامه بعينيه الحوادث القادمة مكتوبة كتابة وكأنها في صفحة يقرأها ويعيها:

ــ «فقال أمَصْيا لعاموس أيها الرائي (الناظر= hōzeh) اذهب إهرب إلى أرض يهوذا... وهناك تنبأ... فأجاب عاموس وقال لأمَصْيا لست أنا نبياً ولا أنا إبن نبي (أي ليست مهنتي ولا أتبع جماعة الأنبياء) بل أنا راعٍ وجاني جميز، فأخذني الرب من وراء الضأن وقال لي الرب اذهب تنبأ لشعبي، فالآن اسمع قول الرب...» (عا٧: ١٢ــ١٦).

وفي نهاية العهد القديم كان معروفاً أن «النبي» يستطيع بالروح أن **يتنبأ، ويرى** الرؤيا، **ويعرف** عرافة أو ينظر نظراً:

ــ «وتكون يدي **على الأنبياء** الذين **يرون** الباطل والذين **يعرفون** بالكذب» (حز١٣: ٩).

ثالثاً: النبي:

كلمة «نبي» و«أنبياء» Nabiim لم تكن مستخدمة أو معروفة عند شعب إسرائيل، منذ البدء، ولكنها دخيلة بعد زمان صموئيل بمدة طويلة، كما سبق وأشرنا، وكما هو وارد في تسجيلات سفر صموئيل الأول.

الروح والكلمة: الشيء الذي يسترعي الإنتباه أن الأنبياء القدامى وخاصة الكبار كانوا يعتبرون أنفسهم شيئاً آخر غير الرائين والناظرين، فبينما الرائي والناظر **يتكلم كفم لروح الرب** الذي يحل عليه، نجد النبي **يتكلم عن «يد الرب»** التي تحل عليه وتمسكه، **فينطق بكلمة الله:**

ــ «فإنه هكذا **قال لي الرب بشدة اليد**، وأنذرني أن لا أسلك في طريق هذا الشعب» (إش٨: ١١).

ــ «**ومدَّ الرب يده ولمس فمي، وقال الرب لي:** ها قد جعلت **كلامي في فمك**» (إر١: ٩).

ــ «لم أجلس في محفل المازحين مبتهجاً، **من أجل يدك جلست وحدي** لأنك قد ملأتني غضباً» (إر١٥: ١٧).

ــ «**فحملني الروح** وأخذني فذهبت مُرّاً في حرارة روحي، **ويد الرب كانت شديدة عليَّ**» (حز٣: ١٤).

هذا الإختلاف الواضح في التعبير عن كيفية عمل الروح في كل من الفريقين، فريق الرائين والناظرين من جانب، وفريق الأنبياء في جانب آخر، هذا بحد ذاته يوضح في الحقيقة اختلافاً في نوع الرسالة والدعوة والواجب الملقى على كل من الفريقين، الذي كان غالباً بالنسبة للأنبياء ثورة جارفة ضد كل شيء، وخاصة أعمال الملوك وعثراتهم وانحرافات رؤساء الكهنة والكهنة. فجاءت دعوتهم تحت ضغط نفساني شديد، جعلهم يندفعون في النطق بالكلمة بشدة وعنف ضد الواقع المنحرف:

ــ **«قد أقنعتني يارب فاقتنعتُ وألححتَ عليَّ فغلبتَ،... كلما تكلمتُ صرختُ، ناديت: ,, ظلمٌ واغتصاب،،، لأن كلمة الرب صارت لي للعار وللسخرة كل**

النهار، فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه، فكان في **قلبي كنار محرقة محصورة في عظامي، فللت من الإمساك ولم أستطع**» (إر٢٠: ٧ـ ٩).

ــ «إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلا وهو يعلن سرّه لعبيده الأنبياء. **الأسد قد زمجر،** فمن لا يخاف. **السيد الرب قد تكلم فمن لا يتنبأ**» (عا٣: ٧، ٨).

والنبي يعي تماماً أن «الكلمة» أو «الكلام» الذي ينطقه إنما هو «كلمة الرب» يقولها بفمه، ولكنه يستمدها من روح الله مباشرة. والعلاقة بين **«الكلمة» و«روح الله»**، عند الأنبياء، علاقة واضحة تكاد تكون ملموسة ومتصلة ودائمة:

ــ «**ثم حملني الروح، فسمعت خلفي صوت** رعد عظيم: مبارك مجد الرب من مكانه» (حز٣: ١٢).

ــ «ومدّ شبه يد وأخذني بناصية رأسي **ورفعني روح** بين الأرض والسماء وأتى بي في رؤى الله... **وقال**...» (حز٨: ٣، ٥).

ــ «فقال لي يا ابن آدم قم على قدميك فأتكلم معك، **فدخل فيَّ روح لما تكلم معي وأقامني على قدمي، فسمعت المتكلم معي وقال**...» (حز٢: ١ـ ٣).

هنا واضح أن إرسالية النبي هي **الشهادة بكلمة الله، بقوة الروح القدس ــ الناطق في الأنبياء ــ** أمام الملوك ورؤساء الكهنة و بقية الشعب:

ــ «فاحتملتَهم سنين كثيرة **وأشهدتَ عليهم بروحك عن يد أنبيائك**» (نح٩: ٣٠).

ــ «بل جعلوا قلبهم ماساً لئلاً يسمعوا الشريعة **والكلام الذي أرسله رب الجنود ,,بروحه،، عن يد الأنبياء الأولين**» (زك٧: ١٢).

وفي شهادة مبدعة لميخا النبي، يقارن هذا النبي الملتهب بين الكلمة الكاذبة في فم الأنبياء الكذبة من الرائين والعرافين، وبين نفسه كنبي **امتلأ بقوة روح الرب للشهادة:**

ــ «هكذا قال الرب على الأنبياء الذين يضلون شعبي... تكون لكم ليلة بلا رؤيا، ظلام لكم بدون عرافة، تغيب الشمس عن الأنبياء و يظلم عليهم النهار **فيخزى**

الراؤون ويخجل العرافون... لكنني أنا ملآن قوة روح الرب وحقاً وبأساً لأخبر يعقوب بذنبه وإسرائيل بخطيته» (ميخا٣: ٥ـ٨).

وغالباً ما كان يمتلىء النبي من روح الله فجأة، فيأتي بأعمال خارقة للطبيعة مثل إيليا النبي الذي جرى فسبق فرسان مركبة آخاب من جبل الكرمل إلى مدينة يزرعيل نحو ١٥ ميلاً (١مل١٨: ٤٦)، الأمر الذي جعل بني الأنبياء يقولون لأليشع تلميذه بعد صعود إيليا في المركبة أنه ربما يكون «حمله روح الرب **وطرحه على أحد الجبال»** (٢مل٢: ١٦).

وطبعاً، هذا يعتبر مقدمة لما عمله الروح القدس مع فيلبس المبشر عندما خطفه من أمام الخصي فوُجد في أشدود (أع٨: ٣٩).

وهذا أيضاً يعزز القول الذي يقوله بعض النساك بأن طغمة السواح لها قدرة على الإنتقال اللحظي بالروح القدس محمولين من مكان لمكان، أو السير في الهواء، ولكن ليس للإستعراض: «إطرح نفسك من على جناح الهيكل» (مت٤: ٥، ٦)، وإنما لإظهار مصدر السلطان والقوة التي يكرزون بها ولتمجيد الله الذي يخدمون الحق والخلاص باسمه، لأن مجال خدمتهم وإنذارهم وتوبيخهم كان لدى العظماء والمتعظمين في الشعب، أي رؤساء الكهنة والملوك، لذلك لزم أحياناً أن تتعزز كلمة الله في فمهم بسلطان فائق لردّ الملوك ورؤساء الكهنة إلى الطريق المستقيم.

وهنا نشير إلى الحكمة البالغة في اختيار الأنبياء من طغمة العلمانيين غالباً، بل ومن الفقراء المعدمين القانعين:

ــ «لست أنا نبياً ولا إبن نبي (بالإحتراف)، بل **أنا راعي غنم** وجاني جميز، **ولكن الله قال لي تنبأ»، وذلك حتى تنفصل رسالة الحق عن رسالة العدل تماماً، فيصير الأنبياء المسئولون عن النطق بالحق الإلهي رقباءً من قِبَل الله على المسئولين عن تأسيس العدل وتنفيذه**، وهذا لنا فيه رجعة عند البحث في رسالة الروح القدس في العهد الجديد.

موقف الأنبياء من الله:

أما بخصوص الأنبياء بالنسبة للشهادة «**بالكلمة**»، **فموسى** يُعتبر رأس جميع الأنبياء بصفته المثل الأعلى، كأول نبي تكلم مع الله وجهاً لوجه، وأخذ «**الكلمة**» (لوحي الشهادة) من يهوه ليكلم بها شعب إسرائيل، و يقودهم بها على مدى التاريخ، «أنت تتكلم بكل ما آمرك به» (خر٧: ٢).

أما النبي الآخر بعد موسى، الذي رآه موسى بالنبوة أنه «مثله»، فهو المسيح «كلمة الله» نفسه!

أما جميع الأنبياء من موسى للمسيح فقد كانوا أوعية متعددة الأنواع، قريبة جداً من فم الله، عاشت في حضرته وكانت مسوقة بالروح القدس الذي كان ينطق فيهم بحسب تعبير بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين: «**الله بعد ما كلَّم الآباء بالأنبياء** قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في إبنه» (عب١: ١).

و يؤكد لنا بطرس الرسول أن «كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم ,, **رجال الله**،، القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢بط١: ٢٠، ٢١).

ولكن إرميا النبي يعطينا صورة مبدعة عن موقف الأنبياء من الله وكيفية حصولهم على كلمة الله الصادقة، فالنبي الصادق الطائع لروح الله، يغشى مجلس الله كواحد من ملائكته: «**لو وقفوا في مجلسي لأخبروا شعبي بكلامي** وردُّوهم عن طريقهم الرديء وعن شر أعمالهم» (إر٢٣: ٢٢).

ولكن لم تقتصر رسالة الأنبياء على النطق بالكلمة لإعلان حق الله وتثبيت عدله وبره، ولكن تعدّى ذلك أحياناً إلى التأثير في المستقبل بقوة خارقة، وإليك حادثة من هذا النوع تبين سلطان النبي الروحي على الزمن والتاريخ والحروب والخلاص في المستقبل:

ـ «ومرض إليشع مرضه الذي مات به. فنزل إليه يوآش ملك إسرائيل و بكى على وجهه وقال ياأبي ياأبي، **يامركبة اسرائيل وفرسانها.** فقال له إليشع: خذ قوساً وسهاماً. فأخذ لنفسه قوساً وسهاماً. ثم قال لملك إسرائيل: ركّب يدك على القوس. فركب يده، **ثم وضع إليشع يده على يدي الملك.** وقال: افتح الكوة لجهة الشرق. ففتحها فقال إليشع: إرم. فرمى. فقال: سهم خلاص للرب، وسهم خلاص من أرام، فإنك تضرب أرام في أفيق إلى الفناء. ثم قال: خذ السهام. فأخذها. ثم قال لملك إسرائيل إضرب على الأرض. فضرب ثلاث مرات ووقف. فغضب عليه رجل الله وقال: لو ضربت خمس أو ست مرات، حينئذ ضربت أرام إلى الفناء. وأما الآن فإنك إنما تضرب أرام ثلاث مرات» (٢مل١٣: ١٤ــ١٩).

وهذه الواقعة تشرح لنا العلاقة الأساسية القائمة بالروح القدس بين النبي والملك في العهد القديم، حيث يبدو الملك خاضعاً طائعاً باكياً على وجه إليشع وهو يحتضر، متوسلاً منه المعونة باعتباره **قوة إسرائيل الخفية:** «يامركبة إسرائيل وفرسانها». ثم من وضع يد إليشع النبي على يد الملك، يتضح أمامنا مركز النبوة بالنسبة لسلطان الملوكية!

وأخيراً تنطلق من شفتي إليشع النبي مع انطلاق سهم الملك كلمات نافذة بالروح القدس تخترق حاجب الزمن لتكيف المستقبل وتُخضع حوادثه القادمة لسلطان الإرادة النبوية بشموخ، لا يمكن وصفه، إلا بكونه إلهياً بملء الكلمة.

هنا تظهر رسالة الروح القدس في فم النبي وإرادته بالنسبة لمصير الشعب وملوكه، فائقة إلى أقصى حد، **فكانت عندما تُقبل** تُخضع الحاضر لإرادة الإنسان، وتكيِّف المستقبل بقدر ما يتمنى و يترجى، تحرك السماء وتزلزل الأرض، لإقامة حق الله لخير الإنسان، وتثبيت العدل لصالح الضعفاء. **وكانت عندما تُرفض** تجلب العار والبوار على الشعب وعلى ملوكه معاً، مع دينونة مخيفة، فيقف لهم الحاضر مُرّاً كالإفسنتين، والمستقبل يصير عدواً مخيفاً بلياليه السوداء المرعبة، حيث تصير الخصومة مع الروح القدس و بالاً على الإنسان.

على أن رفض الملوك ورؤساء الكهنة والشعب للأنبياء الذين استشهدوا على

أيديهم، وسفكوا دماءهم في نهاية إعلانهم لكلمة الله، هو بحد ذاته أعمق تعبير عن أصالة الرسالة التي حمَّلها الروح القدس للأنبياء، لتكون مثيلاً نبوياً للمسيا الآتى، المرفوض والمصلوب بيد رؤساء الكهنة والملوك معاً.

هذه الرسالة عينها، رسالة الروح القدس النبوية الرائعة، وضعها الروح على أكتاف الكنيسة ــ في المسيح ــ لتشهد بفمه وتموت كل يوم عند إعلان الحق والمناداة بالعدل في وجه الملوك والرؤساء لدى شعوب كل الأرض.

* * *

مختصر المقال

١ ــ الروح القدس، منذ البدء، يعمل لخلاص الإنسان على أسس واضحة وثابتة، فكما كان **«ناطقاً بالحق في الأنبياء»، كان مخلِّصاً بالمعجزة في القضاة، ومؤسساً للعدل والبر في الملوك، ومصالحاً الخطاة مع الله في الكهنوت.**

٢ ــ أربعة اتجاهات يعمل فيها الروح القدس للخلاص على مدى جميع أسفار العهد القديم:
النطق بالحق، الخلاص من يد الأعداء، تأسيس العدل والبر، ومصالحة الخطاة.

٣ ــ وأربعة أشخاص استخدمهم الروح القدس لتكميل رسالته لخلاص الإنسان، على مدى أسفار العهد القديم: النبي، والقاضي، والملك، والكاهن.

٤ ــ وأربعة أقسام سجل فيها الروح القدس جميع أعماله الخاصة بخلاص الإنسان في العهد القديم:
أ ــ أسفار الأنبياء وما يتبعها مثل المزامير والأمثال... إلخ.
ب ــ سفر القضاة...
جـ ـ أسفار الملوك وما يتبعها...
د ــ أسفار الناموس وما يتبعها.

وكان الروح القدس يعمل هذا كله على أساس نفس الخلاص ونوع الوظائف التي سيقوم بها المسيح، مستمداً منه سلطان العمل بأثر رجعي إنما في ظلال ورموز وعجز بشري، لذلك عندما جاء الرب يسوع أعلن أن: «ما جئتُ لأنقضَ بل لأكمِّل»!

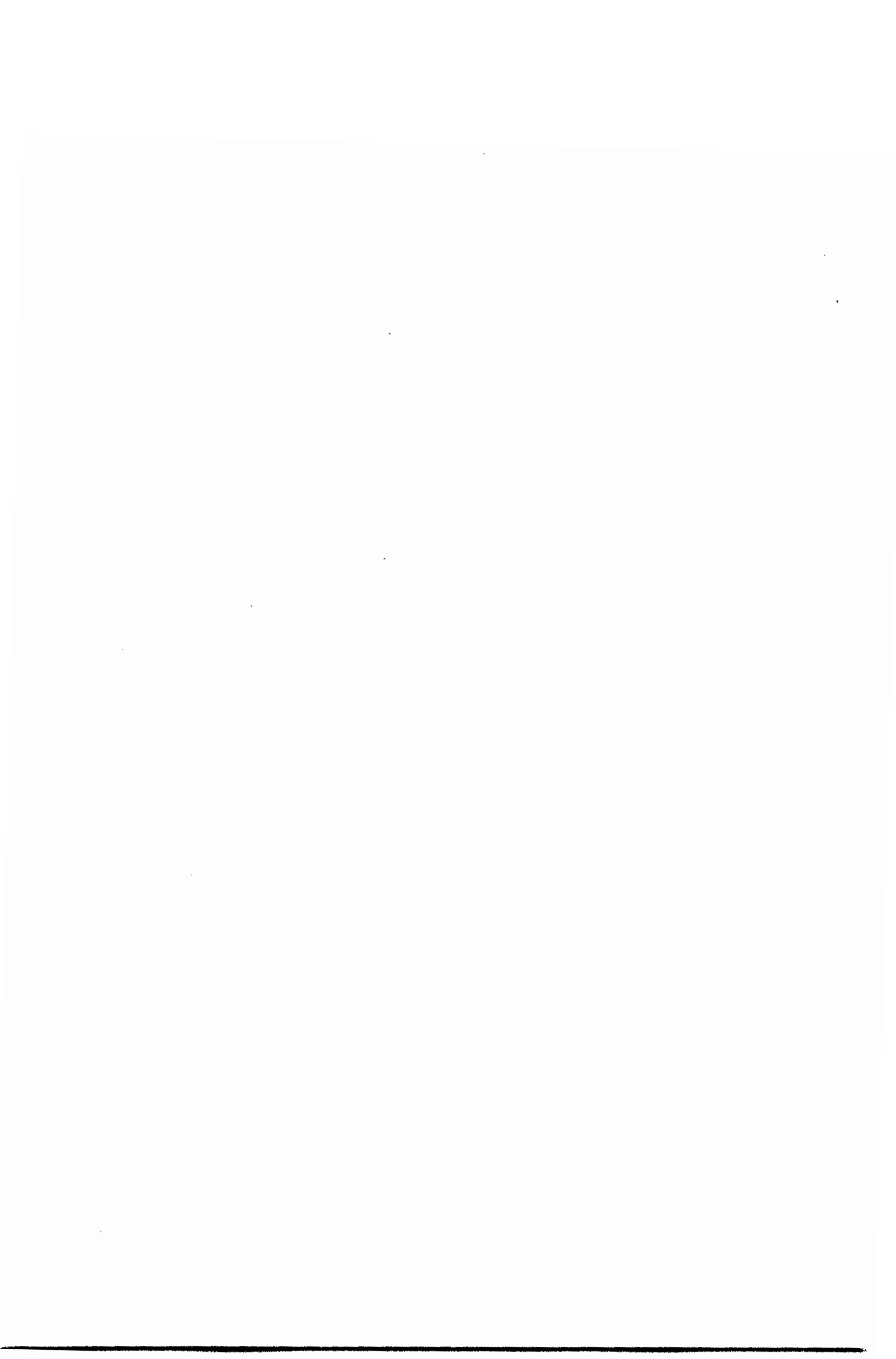
* * *

مقالات قصيرة عن الروح القدس

نشرت بمجلة مرقس ما بين عامي ١٩٦٧ ــ ١٩٧٠
والفكرة مأخوذة أصلاً من كتاب عن الروح
القدس ولكن أُعيد صياغة الفكر والتعبير صياغة
شاملة جديدة مع الصلوات.



المحتويات



١ ـــ أسبقية الروح

«وروح الله يرف على وجه المياه» (تك ١ : ٢).

قبل أن يقول الله «ليكن نور»، كان روح الله يرف على وجه المياه. لقد كان الروح هو المفتاح الأول الذي انبعث منه صوت في الكون وللنفس البشرية. لم يكن هناك فائدة من حضور النور، ما لم يكن الروح أولاً. فالنور لا يجعل وجه المياه سعيداً، ما لم ترف الحياة عليه.

إن النور هو في الخارج فقط، أما الروح فكان راحته من الداخل حيث تبعث السعادة من العمق. هكذا أيضاً من العبث أن تحيطني بالنور وعشب الحقل وطير السماء وسمك البحر، بل حتى ولو بلغت القمة في علاقتي مع إخوتي البشر الذين خُلقوا على صورة الله، فلن تكون هناك سعادة في أعماقي، إن لم يرفّ الروح على وجه نفسي.

إن ما يجعلني سعيداً ليس ما أحصل عليه، بل ما أكونه؛ وما أكونه أنا هو الروح!! إذن فقد كان من الضرورة حضور الروح قبل كل هبات الله، قبل النور، وقبل الجَلَد، وقبل كل خليقة، وقبل عشب الحقل. وكما أنه من الحسن أن يسبق فرح الحياة في القلب الفرح بالكون، هكذا قبل أن يقوم النور يجب أن يرف روح الله على وجه المياه.

□

أيها الروح الإلهي الذي سبق نسيمك كل الأشياء...
إني، بجهل، أسعى لأقلب ترتيب أعمالك...
إنني أسأل عن الأشياء قبل أن أسأل عنك.
إنني قبل أن أطلبك، أسعى في طلب النور والشمس والقمر والنجوم والعشب الأخضر وطير السماء وحيوان الأرض ووجوه الناس.
لقد نسيت أن النور بدونك لا يكون، والحشائش لا تنمو، والطيور والحيوان لا توجد.

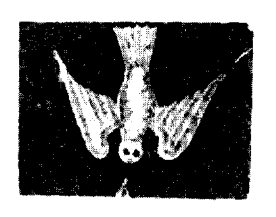
تعالَ أنت بنفسك في قلبي قبل كل شيء، ورف على وجه المياه.

لتعطِ النور حقيقته ومعناه، وللحشائش قوتها ونفعها، وللطير والحيوان ألفته وصحبته معي.

تعالَ واجعلني أرى صورة الله التي في الإنسان، فأطلبها قبل أن أطلبه، وأحبها فأحبه، وأكرمها في كل وجه، فأجد الفرح والسلام.

فبدونك، أيام خليقتي هي أمسية حزينة، بدون صباح... ولكن عندما تتحرك على وجه المياه سوف يشرق في قلبي سبت الخلود الذي لا يأتيه ليل!...

* * *



٢ ـ رجاء الروح

«لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد» (تك٦: ٣).

وإن كفّ روح الله عن مؤازرة عامة فليس دائماً، لأنه سيكون هناك سلام للروح في النهاية، إذ لا يمكن أن تدوم قوتان متضادتان!! لابد أن تنتصر واحدة وتصبح الكل في الكل. فهل يمكن أن تكون هي الجسد؟ أم تكون الروح؟...

الطوفان يجيب مبدئياً على هذا السؤال. فكل جسد متمرد تحطّم، وكل الشهوات الحيوانية غرقت مع ارتفاع ينابيع الغمر، وكل فجور العالم آنئذ دُفن تحت الأمواج العاتية؛ وأخيراً، ساد الحب وتسلط ونجا الإيمان حاملاً الروح في فلك النفس.

*

أيتها الروح المجيدة التي لله، التي استُعلنت وسط ظلام الفيضان، لقد كنتِ كحمامة مبشرة بالسلام والراحة فوق المياه، ولكنك تخبرين عن راحة أعظم من تلك التي على جبال أرارات، عندما تحين الأوقات التي لا يكون فيها بحر ولا غمر ولا خوف ولا خطية.

إنكِ تخبرين عن صيف بلا عواصف، عن صباح مشرق إلى الأبد بلا سحاب، عن لحظات أبدية بلا خوف. لقد كان «قوس قزح»، الذي أقيم كعهد وسط المياه، ذو السبعة الألوان، رمزاً لسبعة أرواح الله. فذاك كان وعداً بالإنعتاق من عقوبة الجسد، أما أنت فلما أشرقت على الأردن، صرت ضماناً للإنعتاق من الخطية إلى الأبد، أما كمال وعدك بالخلاص فسيتم حتماً عندما تتحقق الرؤيا في بطمس.

*

ياروح الله لماذا أنا في حرب معك؟ مع أنه ليس في الخليقة من يعصاك!! نتحدث أن الطبيعة كلها تطيع ناموسك الذي وضعته لها، أما قلبي فقد عجز وحده أن يقول: «فلتكن مشيئتك»!

أنا الذي خلقتني لأكون معجزة الكون، وقفت وحدي وسط الخليقة كلها أتصارع معك!
مع أني في أشد الحاجة أن أخضع لك وأذعن لتدبيرك.
أتوسل إليك، أيها الروح القدس، روح المسيح، روح الآب!
اهزم إرادتي حتى ينتهي عصياني.
أخضِعْ قلبي لك حتى أسير وفق ناموسك.
وحِّد قصدي مع قصدك، حتى أتصالح مع كل شيء، فتعمل الأشياء كلها للخير لحياتي معك.
دعني أعرف الفرح، لكي أكون بغير شذوذ وسط الكون الحي، فلا أتداخل وأفسد ترتيب عملك الذي صنعته يداك المباركتان.
إن كل الأشياء سوف تمجدك معي، عندما أكف عن عصياني لناموسك.



٣ ــ واقعية الروح

« فقال فرعون لعبيده: هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله؟ » (تك ٤١ : ٣٨).

لقد كان فرعون عالمياً؛ فكيف يستطيع أن يحترم رجلاً كان ينتمي إلى الله، وإلى عظم الإتساع والأبدية؟

إن السبب في ذلك هو أن روح الله، كما الأبدية، يحتوي الساعة الحاضرة كجزء منها. فروح الذي له سلطان الأبدية الخالدة له أيضاً بالضرورة تدبير الزمن الحاضر وكفاءته... وهو ظاهر كما في أمور الله، كذلك في أمور الناس.

*

إذا لم تكن ترى أبعد منك، فأنت لا تناسب مصر، ولا تصلح لفرعون، ولا تنفع في المجاعة المقبلة على البلاد. ولكن إن كنت، بالروح، ترى ما لا يُرى؛ فأنت رجل الساعة أكثر من هؤلاء الذين يدّعون أنهم « رجال العصر ».

والذي يريد أن يدفع العصر الذي يعيش فيه أمامه، يجب أن يسبقه بالرؤيا التي لا تخطىء، لأن العالم الحاضر يضيء الآن بواسطة النور الآتي من الأبدية، المنعكس على القلوب الأمينة.

فياروح المسيح، اجعلني نوراً للأرض التي أسكن فيها.

لقد تعودت أن أسألك من أجل أمور الحياة الحاضرة...

أتوسل إليك أن تعدني للحياة الآتية، حتى أكون نوراً للذين يطلبون شهادة الدهر الآتي، وأصلح أن أعطي مشورة نافعة لحياة الناس.

٤ ـ تنازل الروح

«وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة،
لإختراع مخترعات ليعمل في الذهب والفضة والنحاس» (خروج ٣١: ٣، ٤).

عجيبة أن يمتلىء بالروح من أجل أعمال يدوية بسيطة! و يلهم بالحكمة والفهم و بكل معرفة، لا لشيء سوى أن يعمل في النحاس والحديد. إن هذا يبدو شيئاً تافهاً بسيطاً، فالكل يعتقد أن الرجل إنما يعطى إلهاماً لكي يعيش بالروح أفضل من معيشة أهل هذا العالم. ولكن أن يمتلىء إنسان بالروح من أجل أمور عادية في هذه الحياة، و يؤتىَ روح الحكمة، لكي يؤدي أشياء تبدو جميلة لعين الجسد وحسب، ألا يعتبر هذا تنازلاً عن علو مصدر الإلهام والحياة؟

كلا، إن هذا صعود، بالإلهام، خفي. فمجد الروح هو في قدرته وسلطانه لإعلان نفسه، في إظهار ذاته في الأشياء الصغرى، كما في الكبرى، فالحكمة التي تلهم العقل تلهم اليد والعين لمجد الله.

النحاس والحديد والخشب حينما يلمسه الروح في حذق الصناعة وحكمتها، يستطيع أن ينطق بمجد الله. إن جمال الله معلَن للعين البسيطة في كل شيء، حتى وسط البشاعة والتشويه. وحينما يتقدس القلب بالروح، يستطيع أن يحس بالسلام وسط العاصفة، و يلمح القوة من خلال الضعف، و يؤمن بالحياة و يراها وسط الموت.

فياروح المسيح، الروح الذي وهب الحكمة بصنعة النحاس والحديد الذي في هذا العالم، أنا آتي إليك لكي أجد الله في كل ما أحتاج إليه.

إن ما أريده ليس العزلة عن العالم، بل سلطان الروح الذي يعمل في العالم، القدرة على القيام بالواجبات اليومية العادية.

من أجل هذا، ألهمني حكمة للأعمال الجسدية، حتى استعلن الله في كل شيء.

اجعلني مناسباً لكل خدمة، طالما كل عمل يمكن أن يتخلله الروح.

ساعدني في تكريس كل ما أربحه، لخدمة الحب، ولنفع البشرية، ولإطلاق سراح من هم في عبودية الفكر بعيداً عنك، حتى أصنع لك أصدقاء بمال الظلم.
إن تجسُّد المسيح سوف يصبح كاملاً عندما تملأني، أيها الروح، لعمل النحاس والفضة وكل شيء.



٥ ـــ توزيع الروح

«فنزل الرب في سحابة وتكلم معه وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلاً الشيوخ» (عدد ١١ : ٢٥).

إن الرب يتكلم عادة في سحاب، أي يعلن ذاته خلال الأوقات أو الأشياء، التي تُعتبر حاجزاً أو مانعاً عن الرؤيا.

هكذا تصبح أوقات حزني هي هي أوقات شركتي، ويصبح صمت الأرض، بل وهَجْوُها لي، حديثاً مشتركاً مع أغاني السماء.

هذه هي الميزة الكبرى لسحابتي، إنها تبدد وحدتي، حينما أرى من خلالها الله. لقد كانت تبدو من قبل ضد سلامي وعزائي، حينما كنت أجهل صوت الله فيها، فكانت تخيفني وتدفعني بعيداً عن حقيقة نفسي. هذا هو طقس الرسالة التي تأتي خلال السحاب، أو خلال الصعاب، تأتي كرسالة من أجل البشرية. وحينما أذعن لها، تلبسني روح السلام، ولا أمانع أو أرتاع حينما تأخذ الروح الذي وضعته عليَّ، وتضعه على الآخرين!!

وحينما أرحِّب بمواهب الآخرين، أشعر أن حِمْلي مشترك مع كل الذين يعملون! وعندما أنقص ليزيد الآخرون، لا أكون أبداً صغيراً، وكلما كنت تحت السحابة صرت أقرب لجميع الناس، لأننا لا نتقابل جميعاً تحت أشعة الشمس، ولكننا نتقابل كلنا تحت سحاب الصعاب. فالمشقات التي نعانيها معاً تلهب طاقات الحب. إنها تحمل حياتي إلى حياتك، وأفكاري لأفكارك، وقلبي إلى قلبك. فالحب يجد دائماً مدخلاً خلال الحواجز التي أقامتها الصعوبات بين الإنسان وأخيه الإنسان، فتوحِّد روح داود بروح يوناثان.

ياإبن الإنسان، دع صليبك يكون واسطتي لعبوري نحو أخي الإنسان...
دعني أتقابل تحت ظل سحابة حضورك، وجهاً لوجه مع نفس حبيبي، الذي يناصبني العداء.

أريد أن نرتبط كلانا بوحدانية الروح، شهادة لعملك، أريد أن نتحد في سر عشائك الرباني ـــ في سر آلامك المخفية.

لقد فشلنا أن نتحد تحت وحدانية الإخاء واليُسر، والمنفعة الكاذبة، فاربطنا بصليبك ياإبن الإنسان، وحّدنا بذبيحتك وتجرُّدك وفقرك وألمك، وصّلنا بواسطة سحابتك.

احضرْ قلوبنا إلى حضرتك، فوق العواطف والأحاسيس الجسدية، بلمسة نعمتك، المشتعلة بلمسة صليبك، بالآلام التي أسلمت ذاتك لها على الصليب.

دعنا في أتون النار، ولكن ليس كل واحد بمفرده، إنما في زمالة الألم ثلاثة ثلاثة، حتى نرى الرابع يشبهك.

إنه استعلان لمجد الألم والعذاب، في هذا الدهر، حينما يصيرا واسطة لتجمعنا في سحابة حضورك، حينما يأخذ الروح من القوي و يعطي الضعيف، بسخاء المحبة لمجد الكنيسة.



٦ ـ إعلان الروح

«فلما حلت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيدوا» (عد١١ : ٢٥).

«عندما حلت عليهم الروح تنبأوا» . إن حلول الروح يفك عقدة اللسان المربوط بعجز الخطيئة، ويجلي الرؤيا أمام العين التي تعتمت بالشهوة.

إن أوقات الإعلانات والرؤى هي أوقات انفتاح الذهن... أصمت وانتظر بإيمان وأنت ترى الله.

هذا هو ناموس نظرة الروح الداخلية. أو لماذا رأى اسطفانوس السماء مفتوحة وابن الإنسان جالساً عن يمين الله؟ أليس ذلك بسبب أن الروح كان حالاً عليه؟

والروح وديع هادىء، كالحمامة، وفي الوداعة والهدوء تنظر العين ما لم تكن تراه!!

هناك مئات من الأشياء الروحية العجيبة تحيط بي، ومع هذا لا أستطيع أن أراها، إذا كان يعوزني الهدوء والوداعة. لماذا كانت هاجر تعاني البؤس والشقاء في الصحراء؟ وبئر الماء كان أمام عينيها مباشرة ومع ذلك تاهت عن رؤيتها؟ لم تكن إرادة النظر التي منعتها من الرؤية، ولكن حاجتها إلى حلول الروح!! أو بالحري إلى الهدوء والوداعة...

الحزن والكآبة يفسدان العين الجسدية، فما بالك بعين الروح؟ اليأس يبدد الخيرات والنعم من محيط الرؤيا، ويخفي منظر الله الواقف أمامنا. وعندما يحل الروح، نرى ما لم نكن نراه؛ ولكن عندما نحاول أن نزيد الرؤيا تكف وتتلاشى...

ولا يحل الروح إلا عند الحاجة، والحاجة يقررها الروح و يسبق و يعلنها فينا...

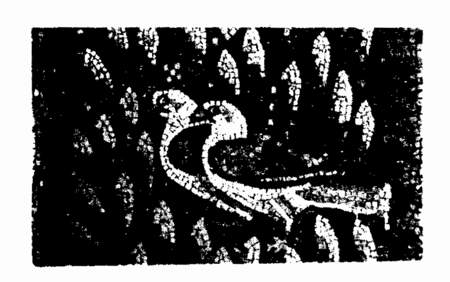
أيها الروح الذي يحل في القلب، فترى العين ما لا يُرى، و ينطق اللسان برجاء الخلاص...

إني انتظرك، وأعدُّ قلبي لمجيئك كل يوم، وأهيىء قلبي بالشكر مقدَّماً، وأعد لساني بالتسبيح.

تكلم ياروح الله بالسلام لنفسي، حتى أتيقظ للأنغام العذبة التي تعزف حولي بعجائب الله التي تحيط بي.

تكلم بالسلام لنفسي، حتى أستطيع في أحرج ساعات ظلمتي أن أرى السلم القائم بين الأرض والسماء، والملائكة آتية إليّ من فوق.

تكلم ياروح الله بالسلام لنفسي، حتى أدرك في شدة حيرتي أن هناك سبعة آلاف ركبة حولي، تسجد لك في الخفاء، فأتنبأ برحمتك، التي تفوق عجز الإنسان.



٧ ــ تأثير الروح في العالم الدنيوي

«ولما اجتازوا إلى هناك إلى جبعة إذا بزمرة من الأنبياء لقيته (شاول) فحل عليه روح الله فتنبأ في وسطهم» (١صم١٠: ١٠).

«عندما جاءوا إلى هناك إذا بزمرة من الأنبياء لقيته».

ما أعظم فعل الجماعة على النفس الضعيفة، وما أحلى اجتماع الإخوة في عين الروح. إذ لما اجتمعوا لم يكن من مانع لدى الروح لكي يحل على هذه الزمرة، ويحل أيضاً على شاول. هكذا تنحصر النفس الضعيفة في مجال الأقوياء فتقوى؛ وتتبارك الروح السقيمة وسط الكنيسة وتتقدس.

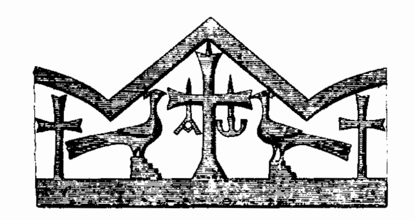
الروح لما يحل يأخذ من القوي و يعطي الضعيف، فالضعيف يتشدد والقوي يزداد قوة!!

ما أغنى الروح وما أكثر اتضاعه، لأنه دائماً أبداً لا يعطي من ذاته، فإنه لا يزال يأخذ من المسيح و يعطينا. وها هو مستتر في الكنيسة، لا يعمل إلا من خلال الوسائط المقدسة!!

ولكنه لا ينحصر داخل الكنيسة فإنه يتابع القديسين أينما ساروا، وأينما حلُّوا، يقدس لهم القفار والجبال، ويجعل من «جبعة» معبداً لله.

إنه ليس الجبل الذي يقدس، ولا الصوت البشري هو الذي يحول. فالأماكن التي تبدو لك مقدسة اليوم لم تكن مقدسة بالأمس والتي كانت مقدسة بالأمس ليست مقدسة الآن. والكلمات التي تُدخل إلى قلوبنا البهجة في المساء، ربما كانت بلا فاعلية في الصباح!! فالله يختار وسائطه المقدسة بنفسه، ويختار الأشياء الخاصة به، لكي يتقدس فيها و يقدّس بها من يشاء. وما على الإنسان إلا أن يعد قلبه دائماً ويميل بأذنه، لعله يصيب في القفر ما لم يُصِبْه في القدس، و يسمع في اليأس ما لم يسمعه في أبهج ساعات العمر!!

ياروح المسيح، قدس الدنيا التي أعيش في وسطها.
قدس الجبل والوادي والصحبة وكل الجماعة، حيث أحيا كل يوم وأعمل.
اجعل أذني تلتقط رسائلك وسط ضجيج هذا العالم، حتى أفرز صوتك الحلو من بين آلاف الأصوات التي أسمعها...
وأفتح عيني، لأكتشف قداسة الناس حولي، فلا أعدم زمرة الأنبياء كل حين، إذ أجدها في إخوتي وأحبائي وزملائي وكل الناس، أينما كانوا...
فقط اكشف لي حضرتك في وسط الزمان والمكان، فينطلق لساني بالحديث عنك، وبتسبيحك وشكرك، في وقت مناسب وغير مناسب...



٨ ــ غضب الروح

«فحل روح الله على شاول عندما سمع هذا الكلام وحمى غضبه جداً» (١صم ١١: ٦).

يوجد غضب بشري، و يوجد غضب إلهي. غضب الإنسان لا يصنع بر الله، ولا يوافق قصد مشيئته، لأنه من حركة النفس عندما تحقد وتثور لذاتها، ذلك لأنها تستاء من الألم!

الغضب المقدس يتفجر من الروح في القلب، أما غضب الإنسان فينبع من جرح يكون قد أصاب الذات.

عندما يحمى غضب الروح في قلب الإنسان، ينسى نفسه، و يطلب ما لله. وعندما يهيج القلب بالغضب المفسد، ينسى الإنسان الله، وكل ما هو لله، ولا يذكر إلا نفسه، وما أصاب كرامته...

عندما يغضب الله لنفسه، يهتف له الأبرار، لأنه مستحق كرامة ومجداً... وعندما يغضب الإنسان لنفسه، يبكي القديسون، لأن إسم الله يُهان!!

□

فياروح المسيح، يامن أتيت لكي تقدّس كل غرائز طبيعتي لله، قدّس غضبي لك، ليمجدك، ويخدم برّك.

لقد أتيت لا لكي تهلك بل لتخلّص.

فلا تطفىء شجاعتي، التي تدفعني للغضب المفسد، بل اشعلها بروحك لكي تنقاد إلى المتواضعين...

اسند غضبي، حتى لا يتحيز لنفسي أو «ليوم بشر»، واملك على تسرُّعي، حتى لا أحكم قبل الوقت، أو أدين، وأنا مديون...

لا تجعلني أغضب على خطيئة إنسان أو خطأه، وأنا واقع مثله تحت الحكم!!

أيقظ ضميري، ياروح الله، حتى لا أحزن على اليقطينة الذابلة، وأنسى

المدينة الهالكة، فأغضب لتوافه الأمور، وأنسى عملك العظيم، وجسامة الخدمة!!

تكلم في قلبي، ياروح الله، حينما تثور طبيعتي فيَّ، حتى لا أنطق إلا بكلمات الصَحو واليقين، وكل ما يبني الآخرين، وحينما تشعل غضبي على بيتك وأولادك ومقدساتك وعبادتك وحقك، امنع نفسي من أن تنزل بمستوى الغيرة المقدسة، إلى مستوى الطين والتراب!!



٩ ــ مخاوف الروح وأخطاره

يظن الجهلاء أن للروح القدس مخاوفَ وأخطاراً، ولكن ليس الروح هو الذي يلقينا على الجبال، بل كبر ياؤنا، ولا هو الذي يُسقطنا في حضيض الأودية، بل يأسنا وصغر نفوسنا.

فعلى الإنسان الذي يصادق الروح القدس، أن يحذر من هذين الخطرين: خطر الزهو والإعتداد بالذات، وخطر اليأس وصغر النفس.

لأنه بينما يكون الروح صاعداً بنا إلى علو التأمل والصلاة، و بينما تنتابنا أفكار الزهو والخيلاء، فنسقط على شوامخ جبال الرؤى والتجليات والأحلام، حيث يفصلنا عن الواقع مخاطر النزول، فلا يمكن أن نعود إلى اتضاعنا السهل، إلا بالمحن والإنحدار، تلو الإنحدار!!

كذلك بينما يكون الروح حاملاً النفس في مركبته النارية الملتهبة، وقد احتواها بحرارة العبادة، والغيرة المتقدة؛ ثم يحدث أن تميل إلى اليأس والشك من صعودها، وتتمسك برُبُط خطاياها، وتفقد رجاءها؛ حينئذ يتخلى عنها الروح، فتقع في حضيض الدنيا، وتلتصق بتراب الأرض، حيث يفصلها عن حقيقة الروح والحياة الأبدية هوة سحيقة، وبحر اليأس، الذي لا يمكن عبوره إلا على دم المسيح!!

فياروح الله، الذي أصعد إيليا إلى السماء على مركبته النارية...
أعطني اتضاع المسيح، الذي أصعده من تراب القبر إلى عرش الله.
حقق فيَّ رجاء المسيح ووعده...
خذ منه واعطني، خذ مما له وحصِّني، لأن الصعود بالروح شاق شاق جداً، لإنسان يحمل ثقل خطاياه...

إن كان العشار المبرَّر لم يستطع أن يرفع عينيه إلى السماء، فكيف ترتفع روحي لتبلغ الله؟ وإن كان التلميذ الغيور صرخ أنه غير مستحق لأن يقترب الرب إلى سفينته، فكيف أبلغ أنا حضرة القدير؟

وإن كان الصعود شاقاً بهذا المقدار، فاحتمال السقوط من بعد الصعود أشق وأخطر.

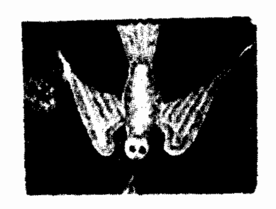
فياروح الله، أمّني ضد الزهو والكبرياء...

الناس في العالم يؤمّنون حياتهم ضد الفقر والعوز والذلة، ولكن أمّني أنت ضد الغنى والعظمة والكرامة...

أمّني ضد نفسي حتى لا تطلب العزة التي لله وحده...

أمّني ضد الإرتفاع الخاطىء، لئلا أسقط، ويكون سقوطي عظيماً.

احملني في مركبتك الخفيفة، التي تلغي ثقلي، واحتويني بحرارتك، التي تعزلني عن العالم، فارتفع حيث تشاء!



١٠ ــ الروح القدس وإلهام الشجاعة للجندي في الجيش

«فحلَّ الروح على عمساي رأس الثوالث. فقال: لك نحن ياداود، ومعك نحن يابن يسى. سلام، سلام، سلام لك وسلام لمساعديك لأن إلهك معينك. فقبلهم داود وجعلهم رؤوس الجيوش» (٢أي١٨: ١٢).

عمساي هذا كان ضابطاً كبيراً رئيساً على ثلاث فرق، حل عليه روح الله، ودفعه لينضم إلى جيش داود لتثبيت مملكته، من بعد موت شاول، وذلك لقمع المتمردين على داود من الأسباط المتخاذلة التي كانت موالية لشاول.

والجديد في الأمر أن نعرض كيف يحل روح الله على جندي محارب؟ هل يمكن؟ ثم يلهمه الكلمة الشجاعة والخطة الناجحة؟

من هذه الحادثة نعلم أن أولاد الله الله معهم، أينما كانوا، وأينما حلُّوا، حتى ولو قام عليهم جيش، أو ساروا في وسط وادي يخيم عليه ظل الموت!!

وفرق بين جندي يستمد شجاعته من قساوة القلب ووحشية قوته، وبين جندي يستمد شجاعته من إلهام الروح، حيث ترتفع كفاءته ولياقته الحربية فوق كل قوة العدو، مهما كان سلاحه متفوقاً وفتاكاً! لأن روح الله حينما يعطي الشجاعة، يعطيها كالتزام، وكواجب، ينبعان من الإحساس بأن الدافع على الحرب صحيح، فيستمد الجندي يقين النصرة من الله، مع عمق السلام الداخلي، الذي يجعل الإنسان يرتفع فوق الأحداث، ويسخر من تعظم عدوه، وكثرة سلاحه، كما سخر الفتى داود من جليات الجبار، إذ بضربة واحدة بحصاة ملساء (زلطة)، من المقلاع الصغير (نبلة)، قضى داود على جليات، فخر جيوش الأعداء... إذن فـ«لا بالقوة ولا بالقدرة بل بروحي قال رب الجنود».

ولكن لكي نميز الشجاعة التي يبثها الروح في قلب المحارب من الشجاعة التي تستثيرها الغرائز فيه، ينبغي أن نبحث معها عن السلام وعن الله وعن احترام الروابط. فشجاعة الروح لابد وأن تفيض في القلب سلاماً، وتلهم مواقع الله وتحركاته معنا،

وتزيد من حساسيتنا تجاه إخوتنا من بني الإنسان في كل مكان: «فحلَّ الروح... فقال سلامٌ سلامٌ لك ياداود، وسلام لمساعديك، لأن إلهك معينك».

فإذا نجح الروح في تلقيننا شجاعة القتال، مع توفير الروابط الإنسانية التي تربطنا بكافة الأجناس البشرية، تنقَّت الروح الحربية، وارتفعت أساليب القتال إلى مستوى النضال الشريف، من أجل القيم البشرية، والحرية، والأخلاق!!

فياروح الله، الذي يستطيع أن يجعل الحرب وسيلة للنضال من أجل سمو الإنسان، وتدعيم الحرية، ونصرة الأخلاق، اعطني، واعطِ كل جندي على خط النار مثل هذه الشجاعة الروحية، وأسِّس فيَّ، بالإلهام، أساليب القتال الشريف الذي لا يعرف الخوف، ولا يميل إلى التهرب من الواجب، كما غرسه الله في الوجود الإنساني، حتى بالجهاد والنضال الذي يفرضه الواجب علينا، نصفي مصادر القوة الظالمة، ونقضي على التجبر والوحشية الآدمية، في كل صورها، المكشوفة، والمخادعة، التي سلبت الإنسان منذ البدء، وحتى اليوم، إحساسه بالإخاء والحب والسلام، وحرمته أغلى وأثمن عنصر في كيانه، ألا وهو الحرية.

وإن كنتَ، ياروح الله، تستطيع أن تجعل من شجاعة الحرب والقتال الدموي وسيلة لسمو الإنسان، فلا تحرمني من شجاعة الحرب والقتال، على مستوى النفس والإرادة تجاه الخطيئة، لأني إن عشت طاهراً لك، فسأكون درعاً مستتراً لأمتي، أصد عنها النكسة، وأفديها حتماً من الهزيمة، لأن «البر يرفع شأن الأمة وعار الشعوب الخطيئة» (أمثال ١٤: ٣٤).



١١ ـ الجمال الهندسي للروح

«وأعطى داود سليمان إبنه مثال كل ما كان عنده بالروح لديار بيت الرب ولجميع المخادع حواليه ولخزائن بيت الله وخزائن الأقداس (من جهة هندسة المباني)» (١أي٢٨: ١٢).

روح الله هو المختص بالإبداع الفني في الخليقة. فالآب يأمر، والإبن ينفذ، والروح يبدع الجمال و يتقن! وفي النهاية تحدّث السماء بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه...

ولولا روح الله الذي فينا، الذي هو روح الجمال والإبداع والتذوق الفني، ما استطعنا أن نرى في الخليقة أي جمال، بل ولا عرفنا أنه يوجد جمال البتة!! فالروح الذي استطاع أن يعبِّر عن مجد الله، بواسطة الإبداع والإتقان للخلائق في السماء والأرض، عاد واستقر في روح الإنسان، فألهمه اكتشاف الجمال فيها، الذي هو لمسة يديه، و بالتالي ألهمه معرفة القدير: «لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات، قدرته السرمدية ولاهوته، حتى أنهم بلا عذر» (رو١: ٢٠).

وهكذا صار الجمال الهندسي لروح الله واسطة لمعرفة القدير. فالجمال وحي وإلهام؛ وإن أحسن الإنسان تقبُّله واستخدامه، دخل في مجال الرؤ يا الكاشفة لمجد الله وحكمته!!

وقد أعطى الله الإنسان في صميم خلقته وكجزء من نفخة روحه فيه هذا الإحساس الجمالي، والتذوق الفني والهندسي، كنعمة عامة، وكمدخل للتعرف على الله، واستقراء وجوده في الخليقة، و بالتالي في نفسه.

والإنسان أول ما عبَّر بالإلهام عن الله، بأعمال يديه، عبَّر بالفن الهندسي. فالأهرامات تُعتبر أول مرحلة من التعبير الإلهامي عن اللاهوت ــ ممثلاً في فكرة الخلود ــ الذي يحسه الإنسان في أعماقه، وقد صاغ الإنسان، بالأهرامات، تعبيره عن الله، بالضخامة الهندسية، و بأكثر ما يمكن من المادة، و بآلاف آلاف الأطنان، ليفصح عن إحساسه بعظم الله وضخامته.

وفي المرحلة التي تليها من الإلهام، انتقل الإنسان في تعبيره عن الله، من الضخامة الهندسية إلى الدقة الجمالية، فدخل في مرحلة النحت، نحت التماثيل الدقيقة والجميلة. فبكمية من المادة، أقل بكثير جداً من الأهرامات، ربما بطنٌ واحد أو أقل، استطاع الإنسان أن يجسِّد إحساسه باللاهوت (الآلهة)، مستخدماً إحساسه الفني الدقيق، ليفصح عن جمال الله وانسجامه اللانهائي.

وفي الدرجة التي تليها من الإلهام، انتقل الإنسان من مرحلة النحت إلى مرحلة التصوير بالألوان. وهنا بعدّة جرامات قليلة من المادة، استطاع أن يعبِّر عن اللاهوت في أروع أحاسيس الحنان والطهارة.

ومن عصر الإلهام بالصورة، انتقل الإنسان إلى عصر الإلهام بالموسيق، حيث بالحركة الآلية واختلاف الأصوات، استطاع أن يعبِّر عن إحساسه بالله بواسطة النغم الجميل، باللحن المؤثر، الذي يبلغ بالشعور حتى أعماق الإحساس بالله...

ومع عصر الموسيقى، انفتح إلهام الإنسان إلى الترتيل، حيث اكتشف في حنجرته وفي صدره أعظم واسطة يعبر بها عن إحساسه بالله. وهنا و بدون مادة أو أي حركة آلية ــ بالصلاة ــ وصل الإنسان إلى آخر درجة للتعبير عن الله!...

فياروح الله، الذي بثَّ في الإنسان، في كل العصور، أن يعبِّر عن وجودك في الخليقة وفي الإنسان، ألهمني أنا أيضاً الواسطة، التي أعبِّر بها عن إحساسي بك، وأن أحسك وأراك في كل هيكل، في كل جمال، في كل وجه، في كل صورة، في كل لحن، في كل صلاة.

حتى حينما أراك وأحبك في كل خليقة، وفي كل إنسان، يصير كل شيء وكل جمال وكل جسد طاهراً في عيني، وواسطة لينطلق في بالتسبيح لقدرتك الفائقة، وجمالك المبدع، ووجودك في كل وجود!!



١٢ ـ رخاء الروح

«وكان روح الله على عزريا بن عوديد. فخرج للقاء آسا وقال له: اسمعوا لي ياآسا وجميع يهوذا وبنيامين. الرب معكم ما كنتم معه» (٢أي١٥: ١، ٢).

ليس الله موجوداً فقط، بل هو أيضاً الوجود ذاته، الوجود الكلي، الذي يستمد منه كل كائن وجوده... و يستحيل أن يوجد شيء ما بدون الله. لذلك ما أسهل أن نكون مع الله، لأن كياننا مرتبط به دائماً، وفي كل لحظة، ارتباطاً صميمياً؛ وما أسهل أن نطلب الله فنجده، لأنه موجود في صميم وجودنا. ففي اللحظة التي نشخص إليه في أعماقنا، حتماً نجده.

كما أنه مستحيل أن نجد الله خارج أنفسنا، أي خارج وجودنا، وعبثاً نطلبه، أو نفتش عليه في غير قلبنا.

ولكن كيف نجد الله، ونبقى معه؟

حينما نسلم له كل عواطفنا وحبنا، حينئذ نتواجه في الحال مع عطفه وحبه.

حينما نسلم له كل قلبنا، نبدأ نحس بقلبه.

حينما نسلم له العين ثم الأذن ثم اللسان، يبدأ شخصه يتصور في إحساسنا، و يبدأ صوته يرن في أعماقنا، و يوقظ ذهننا، و يبدأ لساننا يتلذذ بكلامه، و يتعود عليه، و يلتقطه من وسط آلاف الكلمات...

و باختصار، حينما نسلِّم كياننا كله لله حينئذ، وحينئذ فقط، نجده ونحسه، لأن عملية تسليم الكيان لله هي، في حقيقتها، انفتاح على الله، الذي تستمد منه النفس كيانها. فإذا انفتحت النفس على الله، وجدته، وأحسته، وتعرفت عليه. أما إذا أنكرت النفس الله، أو أهملت السعي في طلبه، أو تلاهت عن التشوق إليه، انغلقت على ذاتها، فلا تعود تحس إلا بنفسها، ومهما حاولت البحث عن الله بالفكر والبرهان، فلن تجده.

فكما أن العين تصاب بالعمى الكلي، حينما ترفض أن تسلم ذاتها للنور وتنفتح عليه باستمرار، فيصبح النور غير موجود بالنسبة لها؛ كذلك النفس التي ترفض تسليم ذاتها لله، مصدر وجودها، تسليماً خاضعاً مذعناً و باستمرار، أو تفقد الشوق للوجود معه، فإنها تفقد إحساسها بوجود الله قليلاً قليلاً، حتى تصطدم في النهاية بالحقيقة المرعبة: أن الله غير موجود بالنسبة لها!!

فياروح الله، الذي كشف هذه الحقيقة العظمى لعزريا بن عوديد منذ آلاف السنين، أتوسل إليك أن تكشف هذا السر لي، ولقارىء هذه السطور، لكي نعلم علم اليقين: أن الله موجود فقط لمن يطلبه.

وأنه يكون فقط مع الذي يكون معه. وأن ما من وسيلة قط للتعرف على صفات الله، إلا بالحب!!

وأن ترك الله وإهماله من القلب، هو الطريق الواسع، المؤدي إلى غياب الله عن الرؤيا، ثم إلى إنكاره...

وإذ علمتنا هذه الحقيقة، نتوسل إليك، ياروح الله، أن تلهمنا الوسيلة تلو الوسيلة، لطلب الله على الدوام، من كل قلبنا، والإلتصاق به باجتهاد لا يكلّ، حتى يصبح وجود الله حقيقة حياتنا الأولى والعظمى، وحتى لا نكتفي ببرهان وجود الله، بل نتلذذ ونسعد بهذا الوجود في حياتنا، كلما استُعلن لنا.



١٣ ــ أولوية الروح

«وأعطيتهم روحك الصالح لتعليمهم، ولم تمنع المن عن أفواههم، وأعطيتهم ماء لعطشهم» (نح ٩: ٢٠).

الروح الصالح أولاً، ثم المن، ثم الماء. هكذا يعضد الله الإنسان في مسيرة غربته على الأرض. وهكذا ينبه المسيح قلبنا أن نطلب كل يوم مشيئة الله ومعرفته قبل خبز الكفاف!! لأنه إن كانت روحنا هزيلة فينا، فمن العبث أن نشدد الجسد. وإن كان الصلاح يعوزنا، فباطل هو الأكل وباطل يكون الشبع. أما مجد الإنسان ففي معرفة الله وصلاح روحه، لا في قوة جسده أو وفرة طعامه وشرابه... فإذا امتلأ الإنسان من معرفة الله وروحه الصالح، فوجهه سيلمع، ولو من كسرة خبز!

هكذا شهد كل عبيد نبوخذ ناصر للفتى دانيال، الذي صلى وصام عن أطايب الملك، فتحولت صلاته إلى فهم وحكمة، وتحول صومه إلى نضارة وقوة.

فياروح الله الصالح، يامن ملأت قلب دانيال فهماً وحكمة، وسندت جسده في الجوع، ومسحته بالقوة.

أعطني أن لا أرتبك من أجل خبز الجسد وأعوازه، بل أولاً أطلب ملكوت الله وبره.

هَبْني أن أهيم بقوة صلاحك، فلا أيأس من عوز خبزي أو ضعف جسدي، لأن قوتك تشدد ضعفي، بل وستقيمني يوماً ما من الموت، أما جسدي فكعشب الأرض يذبل، ونضارة جسدي كزهر العشب الذي تلفحه الشمس، فيسقط ولا يقوم...

ياروح الله الصالح، يامن لم تمنع المن عن إسرائيل الجائع المتذمر، ثم غرَّمته ثمن شهوته مضاعفاً...

أتوسل إليك، أن تعلمني، بصلاحك، أنه لا فائدة من شبعي وملئي وازديادي، طالما لم يشبع قلبي منك، وتمتلىء روحي من حبك وصلاحك...

علمني، علمني، علمني أن مغانم الدنيا كلها بدونك خسارة في خسارة.

١٤ ـ الروح يشهد

«احتملتهم سنين كثيرة وأشهدت عليهم بروحك عن يد أنبيائك» (نح ٩ : ٣).

يالصبر الله! و يالاحتمال الله! لخطايانا الكثيرة واعوجاج سيرتنا.

يتأنى علينا برأفات كثيرة سنين كثيرة، يرسل لنا كل صباح من ينبهنا أو يتنبأ لنا، ولا يدعنا ننام إلا و ينخس ضمائرنا، بكتاب أو بكلمة عابرة.

كل ذلك برفق دون أن يجرح أو يفضح، ودون أن يهدد و يتوعد، بل كمجرد شاهد نصوح، لعلنا نجعل لإستهتارنا حداً؛ ونقوم، فنلوم أنفسنا، ونوقظ إرادتنا.

ولكننا لا نعبأ بلطف الله ولا نقيم وزناً لنُصح الروح لنا، بل نسوِّف ونسوِّف، ونتمادى حتى يتبدد خوف الله من قلبنا، فينقطع رجاء الله فينا، وحينئذ لا يعود روح الله يعمل بعد كمنبه أو مذكِّر، بل و يكف عن الملامة والتأنيب، و يقف منحصراً فينا شاهداً علينا، بلا انقطاع، حتى ليكاد أنينه يصم آذان قلبنا، ولكن الخطيئة تبلد الإحساس وتخدر الضمير؛ فيمر الصباح وليس معكِّر، ويمر المساء ولا شيء يؤذي، وتمر الأسابيع تفرُّ، كعربات القطار، وتعبر السنة برمَّتها، والضمير يستمرىء حياة الإنحلال والتعدي، ولا يكاد يشعر بالخطية، والخطية بدون الروح القدس يصبح تعاطيها سهلاً كالماء...

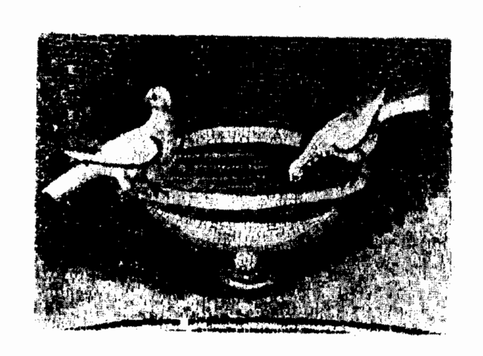
ولكن واحسرتاه! كل ذلك والروح القدس منقلب على النفس داخلها، يسجل عليها درجة اعوجاجها أولاً بأول، و يزن ثقل انجذابها لشهوات التراب، و يقيس مسافة تباعدها عن الله مصدر خلاصها وحياتها. فإذا بلغت إلى الدرجة الحرجة، وانحطت إلى المستوى الذي لا قيام منه، وجمحت إلى الحد الذي لا عودة بعده، يبدأ قضاء الله...

ولكن ياروح الله، أنا لا أزال أطلب وجهك، لا أزال أترجى رحمتك، فلا تطوِ صفحة الحب هكذا سريعاً، لأنه لا يزال عندي كلام لك، وعندي توبة وندامة، وعندي دموع، وعندي صلاة وصلاة، وأصوام...

تأنَّي قليلاً، ولا تختم على أيام الرفق واللطف والوداد...

أنا لست كفوأً لغضبك، ولا حمل أشهادك وموازينك وقلمك...
أصرخ إليك لا تتعجل، كن لي ضميناً عند نفسك.
وإن انحنت بالإثم وعلى الإثم نفسي، فاستقامتها بين أصابعك...
وإن انحدرت حتى الهاوية، فيدك ترفعني إلى العلو، إلى السماء، لأني لا أطيق سقوطي.
وإن تباعدتُ عنك بإرادتي فأين أهرب من روحك؟
اجذبني، فأعود سريعاً، لأن بُعدي لا يشفيه إلا قُربك!!





١٥ ــ الروح يكرز بالجمال

«بروحه زين السموات» (أي ٢٦ : ١٣).

لا يوجد شيء يضيء من ذاته، إن بهاء كل شيء هو من روح الله!...
وروح الله هو روح الحب والفداء، الفداء هو مركز بهاء الكون!...
وإن كان نجم يمتاز عن نجم في المجد، لكن لا يستطيع الواحد أن يقول للآخر: «ليست لي حاجة إليك» (١ كو١٢ : ٢١)، فجمال الكون يعتمد على جمال كل فرد فيه!... وكل فرد يستمد جماله من روح الله!... آه لو علم ذلك الإنسان؟!
وحتى هذا القانون الذي نسميه الجاذبية الأرضية، ليس سوى علامة ابن الإنسان في السماء! حيث مركز الحب الإلهي أصل الجاذبية وجوهرها!... وهكذا كل جِرم في الكون يستحيل أن يكون مركزاً لنفسه، وكل العوالم يحتاج كل واحد منها أن يكون جزءاً في مركز لآخر... وكما أن الآب، أعين الكل تترجاه، وهو يعطيهم طعامهم في حينه، هكذا يعتني الروح أن يوزع القوة في السماء ولا يستأثر أحد بسلطانه لنفسه!... فالسلطان الذي زين السماوات هو من روح ذاك الذي جعل الكل أعضاءً في جسده...

فيامن يحصي عدد النجوم، وقد أعطاها أسماءً بحسب زينتها، عرفني باسمي واسم أخي الذي نقشته على كفك.

وامنحني أن أرى في وجوه نجوم السماء صورة للوحدة العظمى التي تنتظرنا معك في الأعالي، حينما نصبح كلنا أعضاءً فيك.

يامن السموات تتحدث بمجدك، افتح شفتيَّ، لأنطق معها بتسبحتك، فليس مجدك مجد أضواء آتية من نجوم بعيدة، أو مِزَاج ألوان وأطياف وشموس، أو فكرة عن نِسَب وأبعاد شاسعة، فكل هذا مجد محصور.

أما مجدك فهو مجد الروح، مجد الفداء والذبيحة، التي الخليقة كلها تئن وتتمخض معاً، تنتظر استعلانها، عندما يشرق مجد الآب في وجه يسوع المسيح،

ببهاء الروح؛ يوم مجيئه العظيم الذي صار على الأبواب...

يا روح الله، الهمني أن أستشف من وراء زينة السموات عظم اهتمامك بي، ورجاء وعد مجيئك، علمني أن عجائب السماء لا تستجلى إلا من خلال عجيبة صليبك...

والجمال، كل الجمال، الذي في الطبيعة، لا منظر له إلا في سر الجلجثة...

وكما حزنت الشمس، وأظلمّت السموات، يوم عار صلبوتك، لابد وأن تفرح الدنيا كلها وتتهلل في مجد مجيئك، نعم لأنه كما في السماء كذلك يكون على الأرض، مجد واحد، وبهاء واحد، نستمده من قلبك المطعون من أجل الجميع، وإن عرَّفتني ذلك، فسأعرف أن روحك هو الذي زيَّن السموات من أجلي.



١٦ ــ ميراث الروح

«روح الله صنعتني. ونسمة القدير أحيتني» (أي ٣٣: ٤).

إن كان واحد يفتخر بميراث أجداده الصالحين، و يفرح و يرتاح لسلسلة نَسَبه إن كانوا قديسين، فلا يزال أمامه أن يبرهن للعالم أنه جدير بهذا الميراث، وأهل لهذا النَسَب.

نحن من روح الله وقد صنعنا وتبنَّانا، فأبونا روح، وقد استقر في خلقتنا، و به نحيا ونتنفس، فروح الله موجود وماكث فينا، إن طلبناه يوجد لنا، ونعرفه، ونحسه، وإن تركناه يتركنا، ولا نعود نراه، أو نعرفه، مع أنه يظل يحيينا. إن كرَّمناه، يكرمنا و يشهد لنا؛ وإن احتقرناه، نصغر جداً، لأنه ينكرنا...

إن كنا قد ورثنا الجسد من آدم فورثنا به الخطيئة والضعف والتلف والموت، فنحن قد قبلنا ميراث الحياة الأبدية، والقداسة، بواسطة الروح الذي نفخه الله في جبلتنا، وجدده يسوع المسيح في أحشائنا، بالقيامة من الأموات، روحاً مستقيماً ومحيياً، روح البنوة والعفة، روح القداسة والعدالة والبر.

فإن كنا نئن بسبب ميراث الجسد، فعلينا أن نتشدد، بسبب ميراث الروح.

وإن كانت الخطيئة والموت يعملان في أجسادنا، فالحياة والقداسة تسكن الآن أرواحنا.

وإن كان القبر ينتظر الجسد، فالسماء تتلهف لإستقبال الروح.

فياروح الله، أبي وجابلي وسيد حياتي، يامن كرمت طبيعتي بقيامة يسوع المسيح من الأموات، فأقمتني بقيامته، وولدتني مجدداً، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ لي في السماء، أظهر حنان أبوتك لي، وحكمة صنعتك فيَّ، وهيبة سيادتك عليَّ...

اكشف عن عيني لأرى قيامتي بك، لأتقبل منك ميلادي وميراثي.

+ + +

١٧ ـ فيض الروح

«هاأنذا أفيض لكم روحي. أعلمكم كلماتي» (أم ١ : ٢٣).

الصوت هنا صوت الحكمة، وحينما تتكلم الحكمة فالله هو المتكلم. «فالله هو الحكيم وحده بيسوع المسيح» (رو١٦ : ٢٧).

المسيح هو حكمة الله، وكلمة الله، فالمسيح هو استعلان حكمة الله وعلمه وكلمته، «الله كلمنا في إبنه» (عب ١ : ١)، ولكننا لم نفهم «كلمة الله»، ولا يمكن أن نعرفه، إلا بعد أن يفيض علينا روحه. وإذ يفيض الله روحه، يعلمنا الروح كل شيء، «وأما الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء» (يو١٤ : ٢٥).

الله أفاض علينا روحه مرات كثيرة وعديدة، في الخلقة، وعلى جبل سيناء، وبالأنبياء، وعلى العذراء، وفي الميلاد والعماد والقيامة؛ ولكن ليس مثل يوم الخمسين!!

كان يوم الخمسين هو يوم الروح القدس الفريد، الذي فيه انفتحت السماء، وفاض روح الله بغزارة على روح الإنسان الميتة، كما يفيض المطر على أرض جدباء معطشة، فارتوت طبيعة الإنسان من روح الله، وأثمرت معرفة وحكمة وقداسة وبراً إلى مدى الأيام. ومنذ ذلك اليوم، والسماء مفتوحة، ووعد الله قائم إزاء كل بشر. فالبشرية تتجدد بفعل الروح، وتغتسل بسر الكلمة، كما يتجدد وجه الأرض بأشعة الشمس وزَخِّ المطر!!

وليس جزافاً أن يقال عن الروح القدس، كما يُقال عن الماء، أنه يفيض، فالروح يفيض من لدن الله، كالماء من الينبوع. والفيض في الماء وفي الروح سواء، لا يكون إلا من ملء، لذلك يقول الكتاب إن في المسيح حلَّ كلُّ ملء اللاهوت جسدياً، ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا نعمة فوق نعمة.

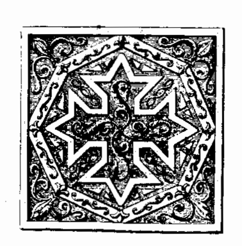
أما كل من يعطش، فعليه أن يأتي إلى ملء المسيح و يشرب، ومن يشرب من سر المسيح، يرتوي، وتفيض من بطنه أنهار ماء حي. لأنه يستحيل ــ حسب الوعد ــ أن يشرب أحد من روح الله، إلا ويمتلىء معرفة، و يفيض بشارة مفرحة.

فياروح الله، في ذكرى انسكابك يوم الخمسين، لتكميل وعد الآب، آتيك عطشاناً، عطشاناً إليك وإلى معرفتك.

فاسقني كلمة، كلمة الحياة المذخر فيها كل كنوز الحكمة، أشربها فأشرب سر المعرفة والحق، فأدخل لجة الحب الإلهي، حيث الإرتواء والإمتلاء وسر الفيض.

ياروح الله، ياوعد الآب الصادق، قلبي اليوم إليك يصلي، الكنيسة كلها تصلي، أعلن ذاتك من السماء، وانفخ فينا روح قوة «لتتقوى من ضعف»، بلادنا تحت تهديد الحرب.

فامنحنا الشجاعة والصمود مع «الذين بالإيمان قهروا ممالك، سدوا أفواه أسود، أطفأوا قوة النار، نجوا من حد السيف، صاروا أشداء في الحرب، هزموا جيوش غرباء» (عب ١١: ٣٣، ٣٤).



١٨ ـ سكنى الروح

«لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه مني» (مز٥٠).

يالها من خطيئة لعينة مفزعة، أرعبت قلب نبي مختار... فإن كانت المزامير كلها لحن توبة واستغفار، فالمزمور الخمسون يبرز من دونها جميعاً، كقرار... فخطيئة داود، فيه، أرهفت حسه، وأذرفت دمعه، وعمقت انسحاق روحه حتى التراب.

صادقة هي كلمة الروح، على فم بولس الرسول، ومستحقة كل قبول: «أن كل خطيئة يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد، لكن الذي يزني يخطىء إلى جسده. أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم» (١ كو٦: ١٨، ١٩).

من جهة هذا يصرخ داود، متوجعاً، عندما أحس أن الروح القدس لم يعد يطيق السكنى فيه، وهو يطلب الفراق، و يلح في الخروج من هيكله، بلا عودة... ياله من إحساس مرعب، عندما يقف الإنسان، في لحظة، وحيداً مطروحاً من أمام وجه الله، بسبب نجاسة الجسد، والروح مزمع أن يفارق هيكله إلى الأبد...

ياله من ثمن باهظ. أبهذا تُثمَّن خطية الجسد؟ أبهذه النهاية المحزنة تنتهي العشرة مع الله، إزاء لذة ساعة، يصحو الإنسان بعدها، فإذا هو فاقد الوجود في حضرة الله، مطروحاً فارغاً طريداً، يعبث في هيكله روح الإثم، وتتراقص فيه أشباح النجاسة! حقاً ما أسهل الخطيئة! وحقاً ما أشنع عقابها! إنها كأس سم زعاف، مذاب في لذة كالسكر، لا يتبين الإنسان منه طعم السم وأثره المدمر، إلا بعد أن يسري الموت في الأعضاء...

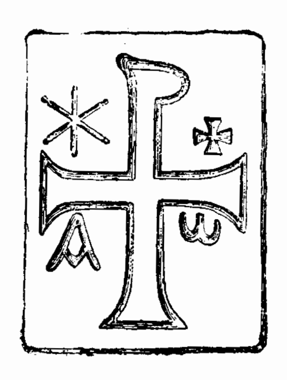
فياروح الله القدوس، ياروح الطهارة والعفة والحياء، أتوسل إليك أن تفتح عيني، لأتبين مواقع موتي وهلاكي، وأُقدِّر خطورة زللي، وأكشف الفخاخ المنصوبة حولي...

جنِّبني أماكن الخطية، حتى ولو كان فيها ربح حلال، فالمال سيفنى، ولا يبقى بعده إلا الندم...

جنِّبْني مواقف العثرة، حتى ولو كان فيها سرور لنفسي، فالسرور ستنطفىء بهجته، ولا يبق بعده إلا نزيف الضمير...

سلِّحني بمنطق الروح، وإحساس الخلود إزاء سحر الأجساد والعيون، لأدرك بالحق واليقين، أنِ التراب حتماً سيعود إلى التراب، والجمال واللذة سراب في سراب...

ياروح الله القدوس، اسكن في قلبي، واختم حواسي، بعهد أبدي، حتى أظل أميناً وفياً على قداسة الدم، الذي سرى في جسدي...



١٩ ــ روح الله وبهجة الخلاص

«رد لي بهجة خلاصك و بروح رئاسي عضدني» (مزمور ٥١ : ١٢).

نحن لا زلنا بصدد مزمور التوبة ، أو بالحري مزمور الخطية : «ارحمني ياالله مثل عظيم رحمتك» !!

قد يصفح الله عن الخطية ، كوعده للتائبين ، وتجف الدموع ، وقليلاً قليلاً تزول القطيعة والغربة ، التي تكون قد انحدرت إليها النفس بعيداً عن الله ، بسبب حماقتها .

بل وقد يحل السلام ، وتدخل النفس منطقة الأمان ، ولكن أين الفرح ؟ أين البهجة الأولى ؟ أين التهليل والترنم ؟ أين الإبتسامة العريضة والوجه المضيىء ؟ أين تعضيد الروح والرأس المرفوعة ؟

... كلها ضاعت . وقد ذوت النفس ، وانحنت على نفسها ، وغاب عنها خلاصها ، واختفت بهجتها ، فهذا هو سر الخلاص الذي تفقده النفس يوم تخلع عنها ثوب طهارتها .

قد يعود الله ، و يستر عورتها برحمته ، حينما ترتد إليه باكية ، وقد يُلبسها أقمصة جلد ليرفع حزنها وعارها ...

ولكن ، أن تكون عروساً ، وأن تتزين بلباس العرس ، وأن تفرح بوجه العريس ، فهذا حصيلة أمانة ينبغي أن تُمتحن كل يوم بالنار من جديد !!

ليس كل من يسقط و يقوم ، يعود إلى بهجته الأولى ، إذ بعد التوبة يتبقى أمام النفس اختبار الركض في ميدان الطهارة ، كل يوم مجدداً ، حتى يختبر مدى اجتهادها ، بل مدى غيرتها ، بل مدى صلابتها وعزمها ؛ حتى تفوز برضا الحبيب وتعود إلى بهجتها الأولى .

من جهة هذا ، يصرخ داود : «**رُدّ لي بهجة خلاصك !**» ، وإذ يرى عجزه وتحطمه وانكساره ، و يرى الميدان طو يلاً طو يلاً أمامه ، والعافية فيه مضمحلة ، يصرخ : «**و بروح رئاسي عضدني**» !! ... يوجد روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ،

روح المعرفة ومخافة الرب (إش ١١ : ١)، ولكن داود يطلب «**روح رئاسي**»، لأن نفسه انحنت فيه حتى التصقت بالتراب. وروحه ذابت في أحشائه، فلم يعد يستطيع أن يرفع وجهه أمام مرءوسيه!!

فيا روح الله، أعن توبتي حتى تفوز بتزكيتك، وانظر إلى حزني وذلي، وامتحن قلبي لعله يصبح يوماً حسب قلبك؛ فأفوز برضاك، وترد لي بهجة خلاصك.





كتاب

مع الروح القدس في جهـــادنا اليومي

Synergy (*)

يونية ١٩٧٥

(*) Synergy كلمة يونانية الأصل معناها «**وحدة العمل**» وقد صارت اصطلاحاً لاهوتياً عميقاً يشرح التعليم الأرثوذكسي في كيفية اتفاق النعمة مع الجهد البشري في كل عمل صالح.



المحتويات



(١)
الروح القدس
والتدرج من حياة الخطية إلى حياة القداسة

الروح القدس لا يعمل في السطح ولا من الظاهر، إنه يعمل في الداخل وفي الخفاء جداً.

لذلك إذا أردنا أن نتتبع عمل الروح القدس في حياتنا، يلزمنا أن نتعمق كل شيء، نتعمق فكرنا، نتعمق ضميرنا، نتعمق دوافع سلوكنا، نتعمق رغباتنا وشهواتنا الطيب منها والرديء، نتعمق صلواتنا وصومنا ودموعنا، نتعمق خدمتنا، وأخيراً نتعمق حبنا لله والناس.

لأنه من هذا العمق نتواجه مع فكر الروح القدس ومطالبه وأهدافه فينا.

والتعمق دائماً يتطلب جهداً، فإذا أهملنا التعمق بسبب صعوبة الجهد المبذول، فإننا ننطرح على السطح ونعيش في مظاهر الأقوال والأعمال فلا نتواجه مع الروح القدس.

أما لماذا لا يعمل الروح القدس إلا في الأعماق، فذلك راجع إلى طبيعة الإنسان، لأن الدوافع والأسباب والغايات **الحقيقية** التي تحرك الإنسان أو التي يتحرك الإنسان بمقتضاها لا تعمل ولا توجد إلا في أعماقه. أما على السطح فلا توجد ولا تعمل إلا الدوافع المزيفة التي تحركها وتتحكم فيها التقاليد الإجتماعية والتأثيرات البيئية والتربوية وإيحاءات الغير.

حينما يبدأ الروح القدس عمله في أعماق الإنسان، يبدأ الإنسان يكتشف مفاعيل الروح القدس الأولية على هيئة صراع داخل الفكر والضمير والأعضاء، صراع بين «روح الحياة في المسيح يسوع» ـــ أي روح الحق والقداسة والبر والتعفف ـــ ضد روح الباطل والنجاسة وخداع الشهوة.

هنا الصراع يبدو مُرًّا وغير محتمل على ضمير الإنسان وفكره، بسبب إمكانية السقوط في الشر مع وجود روح القداسة في ذات الوقت، حيث يبلغ التأنيب أوجه «لأني لست أعرف ما أنا أفعله، إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل... فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا **بل الخطية الساكنة فيَّ**، فإني أعلم أنه ليس ساكن فيَّ – أي في جسدي – شيء صالح. لأن **الإرادة** حاضرة عندي، وأما أن **أفعل** الحسنى فلست أجد. لأني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل» (رو٧: ١١–٢٠).

أما النتيجة الحتمية التي يبتغيها الروح القدس في هذه المرحلة فهي بغضة الخطيئة جداً. و بقدر ما يزداد وجود الروح القدس يزداد تبكيته لسلوك الإنسان، فيزداد الإنسان بغضة لحياة الشر والخطيئة جداً.

هنا يكون الإنسان منحازاً إلى الروح القدس بضميره أو بقلبه، الذي أسماه بولس الرسول «فكر» أو «عقل» أو «ذهن». (وهذا الإلتباس ناتج من تغيير حدث على مدى العصور في معنى الكلمة νοῦς)، حيث التوبة في عرف لغة الإنجيل هي تغيير يتم في العقل μετά-νοια ، كذلك أيضاً فإن عمل الروح القدس لتجديد الإنسان يتم في الذهن أيضاً «تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» تغيروا عن شكلكم = μετα-μόρφωσις أي تغير من طور إلى طور، ذهن = νοῦς .

ولكن لشدة الأسف بينما يكون الإنسان منحازاً للروح القدس بقلبه يكون جسده منحازاً للخطيئة «لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون» (غل٥: ١٧)، وذلك بسبب امتداد غير سوي لسلطان الغريزة والعادة الذي يحتاج إلى بعض الوقت ليخضع و ينضبط لسلطان الضمير والقلب بالروح القدس. علماً بأن الخطيئة تستغل دائماً الغريزة الطبيعية في الإنسان لتنحرف بها دون المطالب الطبيعية.

فإن كانت الخطيئة تجد لها في غرائز وشهوات جسد الإنسان قاعدة تختبىء فيها

وتعمل من خلالها، فإن الروح القدس يجد له في قلب الإنسان (أو عقله وضميره) قاعدة يسكن فيها ليبدأ عمله ضد عنصر الشر المتسلط على جسد الإنسان «اسلكوا بالروح فلا تكمّلوا شهوة الجسد» (غل ٥: ١٦)، حيث يبدأ التغيير والتجديد في الذهن، وهذا أسهل نوعاً ما.

وهذا يوضحه بولس الرسول عندما يشرح حالة الإنسان وهو تحت فاعلية الروح القدس في بداية صراعه ضد الخطية:
ـ «فإني أُسَرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن، ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني و يسبيني إلى ناموس الخطيئة الكائن في أعضائي. ويحي أنا الإنسان الشقي، من ينقذني من جسد هذا الموت. أشكر الله بيسوع المسيح ربنا. إذاً أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية» (رو٧: ٢٢ــ ٢٥).

ولكن إذا انحاز العقل والضمير للشر نهائياً ورفض بإصرار قبول الروح القدس أو الوقوف بجانب مشورته، يتوقف إيحاء الخير، و ينعدم بذلك الصراع بين الخير والشر، و يقف بالتالي التبكيت، و يتخلى الله عن الإنسان، و يسلمه للعدو «وكما لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق» (رو١: ٢٨).

وهنا يصبح الذهن «**ذهناً مرفوضاً**» يفعل كل ما لا يليق بلا مانع و بلا أقل تأنيب!!

بل و يُسر الذهن المرفوض بالذين يفعلون الشر (رو١: ٣٢)، حيث يصبح الذهن هنا فاقداً للنور الإلهي، تابعاً للجسد ومتوافقاً معه، و يسميه بولس الرسول «ذهناً جسدياً»: «متداخلاً في ما لم ينظره منتفخاً باطلاً من قبل **ذهنه الجسدي**» (كو٢: ١٨).

وهذا الإنغلاب الخطير الشامل إنما يبدأ بهجمات الشيطان المتعددة لتشكيك الذهن في ما هو خير وصالح، و يضغط على الإرادة حتى يكسر حاجز المقاومة حيث يبتدىء الإنسان يستسلم إلى مالانهاية.

أما إذا ساد الروح القدس على الذهن وقَبِلَ الإنسان تبكيت الروح القدس واستجاب له بالفعل، فإنه يصبح شيئاً فشيئاً ذهناً روحياً. ويمتد أثر الروح القدس من العقل النشيط المتجدد ليشمل كل ملكات الإنسان العليا فيسمَّى «إنساناً روحياً»، حيث يصبح ناموس الذهن ـ أي القانون الذي يسلك بمقتضاه ـ هو نفسه ناموس الروح القدس!! و يعبر عن ذلك بولس الرسول هكذا: «أُسرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن،... و بذهني أخدم ناموس الله» (رو٧: ٢٢، ٢٥).

ونلخص درجات عمل الروح القدس هكذا:

(أ) بدون عمل الروح القدس يشرب الإنسان الخطيئة كالماء دون أي صراع أو نزاع أو إحساس باللوم أو الندم. إذ يكون مقياس الصلاح (الوصية) والهاتف الداعي إليه غير موجود.

(ب) يبدأ الروح القدس عمله بطرح الوصية أمام ذهن الإنسان كمقياس إلهي وكرسول يطالب بحق الله!! فيبدأ في الحال الصراع بين الذهن القابل لهاتف الصلاح و بين الخطيئة الرابضة في الأعضاء كالحية يحركها الشيطان و يتحرك بها. حيث الصراع هنا يتم داخل الإنسان بين الذهن (أو العقل أو القلب أو الضمير) و بين الجسد. حيث يستريح في الذهن ناموس «**روح الحياة في المسيح يسوع**» كما يستريح في الجسد ناموس «**الخطيئة والموت**».

(جـ) يزداد عمل الروح القدس بمقدار قبول الذهن له وطاعته لمشورته حيث تزداد حدة الصراع، ولكن كلما ازداد الصراع كان ذلك برهاناً أو مقياساً لفاعلية الروح القدس المتزايدة حيث يكون هدف الروح هو الوصول إلى القناعة الأكيدة بشناعة الخطية.

(د) إذا بلغ الذهن إلى القناعة الكلية بشناعة الخطية وخطرها الأكيد، يكون هذا معناه أن الذهن انحاز لناموس الروح القدس، وهذا بذاته هو حالة تقديس للذهن.

(هـ) تقديس الذهن لا يبقى بدون عمل؛ إذ بمجرد أن يتحرر الذهن من ناموس الخطية و يتقدس بالروح القدس، ترتفع القدرة القتالية للإرادة بيقين المعرفة الصالحة للذهن لمواجهة الخطية الرابضة في الجسد والمتحركة بفعل الشهوة التي يلهبها الشيطان

بنوع من الخداع والتهويل الكاذب.

(و) بدء غلبة الإرادة على حركة الخطية وإيحاءاتها الشهوانية المخادعة، هو هو بدء حياة البر أو التقوى أو القداسة.

(ز) هذا الصراع القائم في أساسه بين ناموس الروح القدس في الذهن و بين ناموس الخطية والموت في الجسد لا يكفُّ ولا ينتهي قط طالما الجسد ينبض بالحياة، بل هو دائماً أبداً على أعلى مستوى من **الإستعداد للتأجج** في الإنسان الذي يجاهد في السيرة المقدسة، تارة يرتفع إلى أقصى درجة من الحرارة حيث يرتفع الذهن إلى أعلى درجة من القداسة، وتارة يهدأ عندما تسود النعمة وتملك فتحل محل الصراع إلى حين.

(ح) ولكن مجرد القناعة الذهنية بشناعة الخطية وضررها المفسد والمهلك لا يبرر الإنسان، ولكن يبرره الله وحده. حيث يتضح أن الله هو وحده القدوس! ولكن معلوم أن بر المسيح نضح علينا، فالمسيح برر الخطاة بسفك دمه الكفاري!

إذن، فالوصول إلى قناعة الذهن بشناعة الخطية والإيقان ببر المسيح وتبر يره هو بحد ذاته منفذ عملي للدخول في حياة البر أو حياة القداسة.

والآن نشرح هذا بمعنى آخر:

(ط) إن موت المسيح الكفاري بسفك دمه عن الخطاة دان الخطية وأنهى على سلطانها القتال للناس! إذن فالوصول إلى القناعة الذهنية بشناعة الخطية و بالتالي رفضها ذهنياً هو هو الخروج العملي من تحت دينونتها الرهيبة، وهذا إنما يكون حتماً من فعل الروح القدس ودم المسيح: «**لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت!!**» (رو٨: ٢).

(ي) إذن، فازدياد الذهن والضمير إحساساً بالخطيئة و بفعلها المدمر لحياة الإنسان وخلاصه، حتى ولو لم يكن الإنسان قد بدأ في حياة القداسة كما ينبغي، هذا لا يجب أن يوصلنا إلى يأس، لأنه في الواقع لا يوصلنا إلى الوقوع تحت دينونة الخطية بل بالعكس فهو يخرجنا من تحت دينونة الخطيئة!! لأن جحد الخطيئة والشيطان في الذهن وفي الضمير عن صدق وقناعة كاملة هو بحد ذاته فعل من أفعال الروح القدس وهو ناتج

أصلاً من فعل تبرير المسيح للخطاة بدمه، وبدينونته للخطية والشيطان على الصليب. وهذا ما يفعله المعمَّد قبل أن يبدأ حياة الإيمان المسيحي العملي.

إذن فكل مرة نجحد فيها الخطيئة والشيطان في الذهن، أي في القلب، عن صدق وإخلاص وقناعة روحية كاملة، هذا بحد ذاته تمسُّكٌ ببر المسيح وإعلان إيمان صحيح، وهو كفيل أن يهيىء لنا بداية جديدة لحياة القداسة ودفعاً جديداً لممارسة القداسة عملياً!...

(ك) ولكن بدون حياة القداسة، أي بدون الإنتقال من القناعة الذهنية بشناعة الخطية إلى قتال الإرادة الفعلي ضد الخطيئة العاملة في الجسد بالأهواء وغرور الشهوات، يبقى بر المسيح بلا ثمرة فينا، ولا يكون له في حياتنا شهادة، بل يبقى مجرد وثيقة في يدنا قابلة للصرف، ولكن لم تُصرف بعد للإنتفاع بها.

لأنه لا يمكن أن يُستعلن بر المسيح في الذهن فقط، إذ يتحتم أن ينتقل إلى حياة القداسة وغلبة الخطية أولاً بأول. كما أنه يستحيل أن يوجد خلاص في حياة الخطية.

(ل) لذلك فإن عمل الروح القدس في الإنسان الذي يظهر كصراع ذهني ضد ناموس الخطية الرابض في الأعضاء يتحتم أن يزداد و يزداد و يزداد حتى ينتقل الذهن من القناعة بشناعة الخطية (التي هي حالة قداسة فكرية) إلى إشعال الإرادة نفسها بالقداسة بالفعل. وهكذا تنتقل القداسة من الذهن إلى الإرادة الفعلية، وبالتالي إلى الجسد فيسود الروح القدس على الإنسان كما في الذهن كذلك في الجسد والأعضاء جميعاً.

(م) وهكذا يظل بر المسيح متعلقاً أساساً بتخلُّصنا من ناموس الخطية العامل في الأعضاء!

(ن) هنا يلزمنا جداً أن نعلم أن علاقتنا الدائمة الشخصية بالمسيح بالحب الصادق من خلال إيحاءات الروح القدس المستمرة هي الأساس القوي جداً للإنتصار على ناموس الخطية مهما كان سلطانه: «الذين هم **للمسيح** قد صلبوا الجسد مع الأهواء

والشهوات» (غل ٥: ٢٤). هنا كلمة «للمسيح» تفيد علاقة قريبة شديدة متصلة اتصالاً مستمراً لا يكل ولا يمل.

حيث معروف أن اتحادنا بالمسيح الآن هو اتحاد بالمسيح القائم من الأموات المعطي الروح القدس بالنفخة السرية من خلال كل أسرار الكنيسة «إن كان أحد في المسيح، فهو خليقة جديدة» (٢كو٥: ١٧).

(هـ) فإذا قارنّا في الختام بين ناموس الخطية وناموس روح الحياة، اكتشفنا مقدار الهوة المريعة بين الخديعة التي ننساق إليها إذا اخترنا لأنفسنا الخطية، وبين أصالة الحق والنور الذي سنسير فيه إذا اخترنا الروح القدس وسمعنا صوته ولم نقسي القلب.

فناموس «**الخطية والموت**» قانون صارم مستبد شرس، بلا عقل أو حكمة أو أية منفعة، ناموس أعمى لا معنى له ولا غاية إلا الموت والهلاك الذي شبهه الرسول بسريان النجوم التائهة في فلك الفضاء وهي تحترق وتتلاشى، أو الغيوم التي يسوقها النوء بلا أي نظام، أو سقوط أوراق الخريف كيفما كان فتذريها الريح عن وجه الأرض ولا يقر لها قرار (يه: ١٢، ١٣).

فإذا تسلط ناموس الخطية على الأعضاء أعمى الذهن وجرّده شيئاً فشيئاً من إدراك الحق الإلهي، وحقّر في نظره العفة والقداسة، وقلل من شأن كل فضيلة وكل ما هو لله. فإذا ملك ناموس الخطية على الأعضاء وعلى الذهن أنهى على الإرادة بالتالي وأذلّها تحت كل شهوة ونجاسة واستعبد الإنسان كلية.

أما إذا فحصنا ناموس «روح الحياة في المسيح» نجده من حيث القوة أقوى من ناموس الخطية وأكثر سيادةً وسلطاناً، وقد مثله الرب يسوع في إنجيل لوقا الأصحاح الحادي عشر بـ«الرجل الأقوى». فإن كان الشيطان قوياً فالروح القدس أقوى «ولكن متى جاء من هو أقوى منه فإنه يغلبه و ينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه و يوزع غنائمه» (لو١١: ٢٠ــ٢٦).

فإن كان ناموس الخطية يُحدر الإنسان إلى ما هو دون الطبيعة حتى ينتهي به إلى

الموت فكراً وعملاً، فناموس روح الحياة في المسيح يسوع يرفع الفكر والإرادة والعمل بل وحتى الجسد إلى ما فوق الطبيعة حتى إلى حياة أبدية.

وإن كان ناموس الخطية يعمل في جو من الظلام على أساس الكذب والخداع والكلام الملق والتصورات المفخمة المهولة المملوءة باللذة المخادعة، حتى يتم إلقاء الشبكة وحينئذ يمد الشيطان يده بسرعة خاطفة ليذبح الفريسة قبل أن تستيقظ؛ نجد ناموس الروح القدس يعمل في النور على أساس الحق درجة درجة بتروي، و برهان صدقه فيه، حيث كلما ساد ناموس الروح كلما ساد الإنسان على نفسه وأهوائه وغرائزه، وفاحت من ذهنه وفمه وسلوكه رائحة القداسة، حيث كل خطوة تكون ذات معنى وذات أثر وذات انسجام أعظم مع النفس ومع الناس والله والكون والخليقة كلها.

واضح إذن أنه مستحيل على الإنسان أن ينعتق من ناموس الخطية والموت إلا بهذا الناموس الأقوى والأعظم «ناموس روح الحياة في المسيح يسوع».



(٢)

الروح القدس وجهادنا المتواصل ضد الخطيئة

«أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في ٤ : ١٣).

ينبغي أن نلتفت جداً إلى أساس جهادنا الروحي ضد الجسد والخطيئة والعالم، لأن أي جهاد لا يقوم على الإيمان الصحيح لا يفيد شيئاً.

فأول كل شيء ينبغي أن نثق تماماً أن المسيح لا يعمل فينا بدون الروح القدس، والروح القدس لا يعمل فينا بدون المسيح، ونحن بدورنا يستحيل أن نعمل شيئاً بدون المسيح والروح القدس.

فالروح القدس يأخذ من المسيح و يعطينا، أي أن الروح القدس لا يعطينا من ذاته شيئاً مباشرة، ولكن قدرته الفائقة والعجيبة جداً تنحصر في أنه يستطيع أن يأخذ **كل** ما للمسيح و يعطينا، لأن كل ما عمله وأكمله المسيح في حياته فهو لنا.

فالمسيح أكمل في نفسه ومن أجلنا كل واجبات ومتطلبات القداسة اللازمة والمفروضة لحياة كل إنسان أمام الله «لأجلهم أقدس أنا ذاتي» (يو١٧ : ١٩). لذلك فخارجاً عن حياة المسيح أو بدون حياة المسيح، لا أمل ولا رجاء ولا نصيب في أية قداسة أو بر أو فداء لأي إنسان «ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله و براً وقداسة وفداءً» (١ كو١ : ٣٠).

ولكن في نفس الوقت نجد أن كل ما عمله وأكمله المسيح في حياته ضد الخطيئة والموت من أجلنا، كونه «دان الخطيئة في الجسد» (رو٨ : ٣)، يستحيل أن ينتقل إلينا أو يصير له فاعلية في حياتنا إلا بالروح القدس، كما هو مكتوب: «لأن ناموس **,,روح الحياة،، في المسيح يسوع** قد أعتقني من ناموس الخطية والموت» (رو٨ : ٢).

أي أن الروح القدس ـــ ذا القوة والقدرة الفائقة على الطبيعة البشرية وعلى العقل

وعلى المنطق وعلى الجسد ـ هو الذي يتولى عملية فك ناموس الخطيئة وتحطيم سلطان الموت من الطبيعة البشرية لدى كل إنسان، بعملية سرية أو سرائرية فائقة، تتلخص في إحلال حياة المسيح ـ أي **المسيح الحي** ـ بدل حياتنا الآدمية العتيقة، يأخذ كل ما لنا و يعطينا كل ما للمسيح حتى يستطيع الإنسان في النهاية أن يقول عن إحساس يقيني: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠). وذلك كله على أساس شرط واحد، هو أن نؤمن ونعتمد على أن المسيح مات على الصليب كخاطىء لأجلنا، وقام من الأموات كبارٍّ لأجلنا. أي «أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا» (رو٤: ٢٥).

غير أن الروح القدس **أيضاً** هو الذي يقوم بإقناعنا بهذا الإيمان، أي بالإيمان بموت المسيح وقيامته عنا، و يرفع إيماننا هذا إلى مستوى اليقين الفائق على المنطق والعقل. وهكذا نجد أنه حتى الإيمان نفسه الذي هو أساس عمل الروح القدس فينا هو في الحقيقة ليس منا أصلاً، بل هو عطية الله الفائقة، غير أنه يصبح في النهاية، إذا تمسكنا به، مِلكاً لنا وفعلاً إلهياً ثابتاً فينا، وأساساً لعمل الروح القدس الفائق الوصف.

الروح القدس يحوِّل الإيمان فينا إلى عمل:

أما الإيمان هنا فهو الإيمان بموت المسيح الكفاري عن الخطاة وقيامته لتبريرهم أمام الله الآب.

وأما العمل هنا الذي نقصده فهو الجهاد ضد الخطيئة للسلوك بحسب القداسة.

الإيمان والعمل لا يمكن فك ارتباطهما ببعض، ولكن الإيمان بما عمله المسيح من أجلنا لا يتحول تلقائياً أو بالجهد الذاتى إلى عمل، أي إلى جهاد ضد الخطيئة لبلوغ القداسة، لابد من توسط الروح القدس!!

الروح القدس يستخدم إيماننا الفائق الواثق بشخص المسيح الحي، فمن خلال الإيمان ينفذ الروح القدس إلى أعماق كيان الإنسان الفكري والإرادي، فيجعل الفكر والإرادة في حالة خضوع وقبول شديد لفكر المسيح وإرادته، فيبدأ الإنسان في الدخول

إلى حالة تغيير شديد، و يصبح قادراً في الحال على العمل والجهاد ضد الخطيئة بسهولة و بقوة فائقة على كل إمكانياته الفكرية والإرادية السابقة، مما يكشف فعلاً عن حدوث حالة حلول للمسيح بالإيمان داخل القلب وعن سيطرة الروح القدس على الفكر والإرادة. وما يصبح على الإنسان بعد ذلك إلا الخضوع المتواصل والطاعة المذعنة الفرحة لعمل الروح القدس، حتى يكمل الإنسان بإرادته الجديدة و بفكره الجديد عمل الخلاص بالجهاد النشط الحار ضد الخطية وكل شبه خطية.

«**تمموا** خلاصكم بخوف ورعدة، **لأن** الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة» (في ٢: ١٢، ١٣).

واضح هنا من قول الرسول أن الله هو الذي يبدأ أولاً بعمله الشخصي بالروح القدس داخل إرادتنا، و بإقناعنا للعمل ضد الخطية بسرور الإرادة، ولذلك يطالبنا بالتتميم، أي يطالبنا بتكميل عمله الذي بدأه فينا، بخوف ورعدة، لئلا نفقد خلاصنا و يصير عمله فينا شاهداً ضدنا. وليلاحظ القارىء وضع حرف «**لأن**» بين «**تمموا خلاصكم**» و بين «**الله هو العامل فيكم**». فعملنا متوقف بالضرورة على عمل الله المسبق فينا!!

وهذه المبادرة العجيبة والسرية التي يقوم بها الله داخلنا على مستوى الإرادة والعمل هي بسبب أن الله يعلم تماماً بضعف الجسد وانهزام الإرادة البشرية تجاه سطوة ناموس الخطية ولعنة الموت «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه **فيما كان ضعيفاً بالجسد**، فالله إذ أرسل إبنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد لكي يتم فينا حكم الناموس (**قُرِنَت بر الناموس**) نحن السالكين ليس حسب الجسد **بل حسب الروح**» (رو٨: ٣، ٤).

أي أن المسيح جاء ليمنحنا (في نفسه) بر الناموس متجاوزاً عن ضعف جسدنا، معطياً لنا ما كان له بالجسد من بر ومن نصرة ضد الخطيئة، عطاءً سرياً أو سرائرياً بحلوله فينا بواسطة عمل روحه القدوس داخلنا، وذلك برفع الإرادة إلى مستوى إرادة

المسيح، ورفع الفكر إلى مستوى فكر المسيح حتى إلى درجة العمل والجهاد ضد الخطية بسرور الإرادة «لأن الله هو العامل **فيكم** أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة».

إذن فعطاء الله بالمسيح ليس عطاءً إيمانياً فكرياً أو إيمانياً نظرياً فقط، بل هو إيمان عملي ضد الخطيئة.

من أجل هذا يصرخ يعقوب الرسول محذِّراً أن «الإيمان بدون أعمال ميت» (يع ٢: ٢٠)، لأن مباشرة العمل الخلاصي والجهاد ضد الخطية هي العلامة الوحيدة على أن الروح القدس قائم وفعَّال داخل الكيان الفكري والإرادي، وأن المسيح حي قائم في القلب، أي أن الإيمان حي فعلاً!!

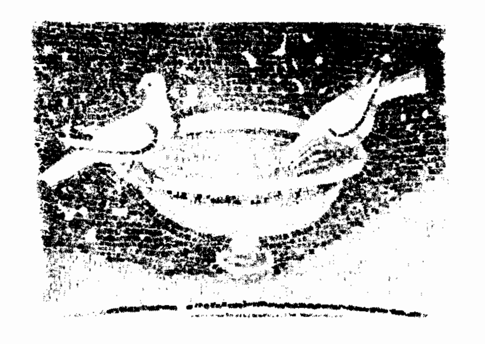
ومن ضمن الوسائل الفعَّالة جداً التي يستخدمها الروح القدس لإقناعنا بمواصلة الجهاد والعمل والسهر ضد الخطية، إدخاله إيانا في إحساس واقعي بالعفو والبراءة بفعل دم المسيح الماسح والغاسل للخطايا بصورة مفرحة ومذهلة للعقل، كلما جاهدنا جهاداً صحيحاً حسب إرادة الله ومسرته!

هنا مواصلة الجهاد والنمو فيه ليس من إرادة بشرية ولا من طموح ذاتي، بل هو في الحقيقة طاعة صادقة لصوت الروح القدس وحثه المقنع والمفرح للقلب لمواصلة الجهاد، ونتيجة مباشرة لتذوق عذوبة العمل المضني والجهاد المتواصل ضد الخطية تحت قيادة الروح القدس، بحيث أن كل خطوة في جهادنا الروحي ضد الخطيئة، بقيادة الروح القدس وتحت طاعته، تجعلنا نمسك أكثر بحقيقة فعل الدم وحقيقة معنى التبرير وحقيقة الحياة الأبدية «**جاهد جهاد الإيمان** الحسن **وامسك بالحياة الأبدية** التي إليها دُعيت» (١تى ٦: ١٢).

هذا الجهاد الروحي بكل مفاعيله الداخلية التي يخلقها الروح القدس في إرادتنا خلقاً متواصلاً بلذة فائقة، وبضبط فائق لكل شهوة وكل انحراف، باستعذاب كل صوم وكل حرمان وكل تعفف وكل مقاطعة لما هو شبه شر، وكل وقوف في الصلاة والسهر مهما طال، هذا كله هو ما يقصده بولس الرسول بقوله «لا شيء من الدينونة

الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو٨: ١).

فالسلوك حسب الروح هو هو هذا الجهاد العذب المتواصل ضد الخطية تحت قيادة الروح القدس.



(٣)
الروح القدس والأعمال الصالحة

نحن مقدسون بالمسيح، أو في المسيح، وخارجاً عن المسيح أو بدون المسيح لا يدعى إنسان ما أنه قديس «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣: ٢٧).

هي إذن «**قداسة المسيح**» التي تُنسب إلى أولاده، يلبسونها فوق عريهم أو فوق خزيهم فإذا بهم قديسون وأبرار. وليس أحد قديساً من ذاته أو من أعماله، لأنه بدون المسيح لا يوجد عمل صالح أمام الله «وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت ليحضركم **قديسين** وبلا لوم ولا شكوى أمامه. **إن ثبتُّم على الإيمان**» (كو١: ٢١—٢٣).

ولكن لا يمكن أن تُضاف إلينا قداسة المسيح بدون الروح القدس. الروح القدس أول كل شيء وبداية كل شيء، فهو يضطلع في المعمودية بعملية غسيل سرية أو سرائرية عميقة أشد العمق فائقة أشد التفوق. فهو غسل يتعمق الطبيعة في كيانها العتيق، يرفع عنها لعنة الموت ورائحته، ويهبها قوة حياة لا تزول، لأن الروح القدس يغسل الإنسان بدم موت المسيح ويدهنه بدهن قيامته السرية، فيخرج من جرن المعمودية خليقة أخرى مقدسة في المسيح لله. «ولكنكم اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع **وبروح** إلهنا» (١كو٦: ١١). (الغسيل للجسد، والتبرير للنفس، والتقديس للروح).

إذن فقداسة القديس ليس في أصلها إلا موت المسيح وقيامته ينقلها الروح القدس من طبيعة المسيح ويغرسها في طبيعتنا أولاً بأول، في سر لا يُنطق به، عبر الإيمان وعبر التوبة وعبر المعمودية وعبر كل تناول وعبر كل قراءة الإنجيل، حتى نتغير عن شكلنا كلية ويصبح «المسيح حياتنا» (في ١: ٢١) و«يحل المسيح بالإيمان في قلوبنا» (أف٣: ١٧).

إذن فالقداسة هي هبة المسيح العظمى، هي سكنى المسيح في القلب بالإيمان، هي موته الذي يلغي نجاساتنا، وهي حياته التي تجدد خلقتنا.

القداسة في المسيح هبة كاملة، وفي النهاية و بعد تكميل كل سر تشمل كيان الإنسان كله جسداً ونفساً وروحاً، لأنه فعل داخلي وعمل إلهي كامل وفائق، ينتهي بها إلى مستوى خليقة كاملة مؤهّلة للظهور أمام الله بلا لوم!

ـ «وإله السلام نفسه **يقدسكم بالتمام**، ولتُحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح. أمين هو الذي يدعوكم **الذي سيفعل أيضاً**» (١ تس ٥: ٢٣، ٢٤).

هذا هو التقديس السري الفائق الذي يضطلع به الروح القدس **«نفسه»** فيعمله في صميم طبيعة الإنسان، ولكن في غير إحساس مادي أو وعي شعوري للإنسان، وذلك بالإيمان و بالإنجيل ومن داخل أسرار الكنيسة!

ولكن، و بعد ذلك التقديس السرائري، يتبقى عمل تقديسي آخر أو تقديس تكميلي يضطلع به الروح القدس **بواسطة الإنسان نفسه** من خلال الأعمال الصالحة! «فإذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء **لنطهر ذواتنا** من كل دنس الجسد والروح **مكمّلين القداسة في خوف الله**» (٢ كو ٧: ١).
أي أنه بعد تقديس الله لنا ــ بواسطة تبنّيه لنا في إبنه و بالروح القدس ــ تقديساً مجانياً كاملاً بالنعمة «إذ لنا هذه المواعيد»، يعود الله و يطالبنا صراحة بأن نجاهد الجهاد الحسن على مستوى الجسد والروح ضد أي خطيئة تمس طهارة الجسد أو الروح «لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح»، ثم نرتفع بهذا الجهاد إلى مستوى أعمال القداسة كالصلاة بلا ظهور والصوم بلا افتخار، وحفظ كلمة الإنجيل بوعي روحي وخوف، والمواظبة على المحبة الأخوية الصادقة بالشركة في الجسد والدم عن استحقاق طهارة القلب، وخدمة البذل والشهادة في حينها. و بالإختصار «**مكملين** القداسة في خوف الله»، حيث هنا لا تكون الأعمال الصالحة بدءاً أو أساساً للقداسة، ولكنها كما

يقول الرسول تكون «**تكميلاً**» حتمياً لها، بحيث إذا توقفت الأعمال الصالحة أو أهملت، لا تكمل فينا القداسة التي وُهبت لنا في المسيح بالروح القدس، بل وتصبح بلا نفع.

بل وأكثر من ذلك، فإن الله يرى أن تكميل القداسة المفروضة علينا بالعمل الصالح ـــ والتي بدأها هو فينا مجاناً ـــ ليس تكميلاً سهلاً أو كأنه تكميل لا يحتاج إلى حذر وانتباه، بل هو خطير للغاية، ويحتاج إلى «**خوف** ورعدة كثيرة»، لئلا يتحول إلى افتخار وتعالي أو يتحول إلى عمل روتيني ميت، فلا يؤدي إلى تقديس حقيقي للجسد والنفس والروح، أي إلى اتحاد بالمسيح، بل إلى رياء فسقوط!...

لذلك، فؤازرة الروح القدس في العمل «لتكميل القداسة في خوف الله» أمر فائق الخطورة والأهمية لخلاصنا، لأن الروح القدس محب جداً للعمل الصالح، وهو الذي يقترحه ويحث عليه، و يعطي المثابرة والنشاط، و يعين ضعفاتنا و يعلمنا ما ينبغي أن نصلي من أجله، و يشفع في جهلنا وعدم معرفتنا بأنَّات لا يُنطق بها، لأنه هو وحده الذي يعرف ما هي حاجة القديسين، وماذا ينبغي أن يكون اهتمامهم، وما هو لازم للروح لتكميل القداسة!...

على أنه ينبغي أن ندرك أن الأعمال الصالحة أو أعمال «تكميل القداسة» ليست من صنع بشر، ولا هي خبرات جماعة نساك أقوياء اقترحوها من أنفسهم، بل هي من صنع الروح القدس وإلحاحات النعمة النابعة من جهاد المسيح، فهي وصايا إنجيلية وهي عمل الله الخفي في قلوب الأتقياء: «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها» (أف ٢: ١٠).

أي أن الأعمال الصالحة هي هي أعمال الروح القدس، أي أعمال قداسة أو تقديس، وهي نابعة أصلاً من المسيح الذي جعل حياته كلها «**عملاً صالحاً**» لحسابنا، لذلك يقول الرب «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو١٥: ٥). وهو قد سبق فأعدَّ لنا كل الأعمال الصالحة اللازمة لتكميل قداستنا واتحادنا فيه، لا كأنها

أعمال توهب بلا جهد بل يقول: «لكي **نسلك** فيها»، أي بمعاناة وآلام وحروب ومقاومات كثيرة وعنيدة، ولكن المسيح سبق أيضاً و وهبنا «**المعزّي**» الروح القدس معطي القوة «تنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم» (أع ١: ٨)، ذاك الذي يستطيع أن يجعل مع جهادنا وسهرنا ومعاناتنا عزاءً ما بعده عزاء، لأن طبيعة الروح القدس تحول طبيعة الألم إلى لذة وفرح وانتصار القداسة «من أجلك نُمات كل النهار، قد حُسبنا مثل غنم للذبح. ولكن في هذه جميعها **يعظم انتصارنا بالذي أحبنا**» (رو ٨: ٣٦، ٣٧).

إذن فأن يصبح الإنسان قديساً أمام الله و بلا لوم فهذا من عمل المسيح مباشرة في الطبيعة البشرية، وهذا يعتمد أساساً وكلية على الإيمان بالمسيح والإعتماد لموته وقيامته وقبول الروح القدس: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين و بلا لوم قدامه في المحبة» (أف ١: ٣، ٤).

ولكن لكي يقبل كل واحد منا قداسة المسيح شخصياً ويحتفظ بهذه القداسة يوماً بعد يوم و يكملها على مستوى الحياة والشهادة، فإن مؤازرة الروح القدس للأعمال الصالحة تصبح ضرورة حتمية «روح الحق يرشدكم إلى جميع الحق» (يو ١٦: ١٣)، «تمموا خلاصكم بخوف ورعدة» (في ٢: ١٢)، «خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنّا» (رو ١٣: ١١)، «مكملين القداسة في خوف الله» (٢ كو ٧: ١)، «في سيرة تليق بالقداسة... مقدماً نفسك في كل شيء قدوة للأعمال الحسنة» (تي ٢: ٣، ٧).

وأعمال القداسة قد تبدو لكثيرين وكأنها زيادة أو مغالاة في العبادة أو التقوى، إذ يكفي في نظرهم أن لا نعمل الشر وكفى، ولكن أمر الله في هذا يقطع بالإلزام «بل نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً **قديسين في كل سيرة**، لأنه مكتوب كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (١ بط ١: ١٥، ١٦)، لأن القداسة «بدونها لن يعاين أحد الرب» (عب ١٢: ١٤).

ومعلوم أن الوصية في العهد القديم التي كانت مكتوبة بحرف الكلمة على الحجر (رمز للقلب الحجري)، صارت مكتوبة في العهد الجديد بالروح القدس على القلب اللحمي. الروح القدس هو الذي يوصي بالقداسة و يرسم كل أعمالها في الضمير.

لذلك فبقدر ما كانت أعضاء الإنسان مغلوبة ومستعبدة لشهوات النجاسة بسبب ضعف الجسد، تصبح بنعمة الروح القدس وقوته الفائقة و بإلحاحاته في القلب قادرة ومستعدة أن تكون مستعبدة بكل فرح وسرور لأعمال القداسة: «أتكلم إنسانياً من أجل ضعف جسدكم، لأنه كما قدَّمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم، هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة» (رو٦: ١٩). هنا القداسة عمل وممارسة وجهاد.

كذلك هنا الإشارة إلى الشيطان واضحة جداً في التعبير عن استعباد أعضاء الإنسان للنجاسة إلى درجة الإشتعال، كذلك الإشارة إلى الروح القدس واضحة أيضاً في الإنتقال من عبودية الأعضاء للنجاسة إلى عبودية الأعضاء للبر والقداسة، حيث يرفع الروح القدس مستوى الإرادة لقبول الأعمال الصالحة والفرح بعملها ومحبتها الشديدة إلى درجة العبودية! وكأن القلب كله قد أصبح كنزاً لكل فكر صالح ولكل فعل ومبادرة صالحة، كنزاً لا ينتهي بواسطة عمل الروح القدس المتجدد فيه «الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يُخرج الصلاح!» (لو٦: ٤٥).

و يلاحظ هنا أن وصف القلب باعتباره الكنز الصالح كناية سر ية عن أنه صار مسكناً للروح القدس، علماً بأن الروح القدس يوصف بحسب التقليد الكنسي أنه «كنز الصالحات» (١). ولكن، وحتى بعد أن يصير القلب متقدساً بالروح القدس وكنزاً للصالحات، فإنه يتبقى عليه بالضرورة عملية إخراج العمل الصالح من القلب إلى حيز التنفيذ، وألا يفقد القلب صفته الإلهية أنه «كنز الصالحات»، لأن الكنز إذا لم

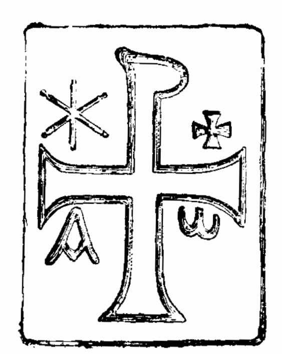
---

(١) قطع صلاة الساعة الثالثة.

يُستخدم يصير هو هو الوزنة المطمورة في التراب. (وما هو التراب إلا الجسد الترابي الذي أغلق على موهبة الروح «الإيمان» فلم تثمر عملاً صالحاً).

ولكن يلذ لنا أن نعيد ونعيد أمام ذهن القارىء أن القلب بدون كنزه الصالح، أي بدون قوة الروح القدس ونوره، يستحيل أن يفعل من ذاته صلاحاً بأي حال من الأحوال «الجميع زاغوا وفسدوا ــ ليس من يعمل الصلاح ليس ولا واحد» (رو٣: ١٢)، «الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا» (في٢: ١٣).

ولكن بمجرد قبول الإنسان للروح القدس والإنقياد تحت مشورته وسلطانه ونوره، يصبح الإنسان قادراً على أن يفعل الصلاح، و يُحسب له هذا الفعل الصالح براً وكأنه من عمل الإنسان الخاص ومن صميم إرادته وإيمانه!! هنا اتضاع المسيح وإخلاء الروح القدس، حيث يتنازل كل منهما عن دوره الأساسي في خروج العمل الصالح من قلب الإنسان إلى حيِّز الفعل والتكميل ليُحسب كلية لحساب الإنسان، وكأنه من جهده الخاص وإرادته وإيمانه وحده!! ولسان حال الإنسان في ذلك أمام الله «لأن منك الجميع ومن يدك أعطيناك» (١أي ٢٩: ١٤)، أو بلغة القداس: «نقرِّب لك قرابينك من الذي لك» (٢).



(٢) قداس القديس باسيليوس ــ قبل سر حلول الروح القدس.

(٤)
الروح القدس وإنكار الذات

الأعمال الصالحة خطرة لأنها تجيز للنفس الضعيفة أن تعتقد خطأ أنه بما أنها منبع العمل فهي بالتالي منبع الصلاح، في حين أن العمل شيء والصلاح شيء آخر. فالكنز الصالح الذي يستقر في القلب فيجعله صالحاً ويهبه قوة العمل الصالح هو الله نفسه؛ هو الروح القدس «الكنز الوحيد للصلاح»، «لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله» (مت ١٩ : ١٧).

الله هو سبب الصلاح وأصل القداسة وعلتها الأولى والأخيرة وليس الإنسان، مهما كان.

لذلك فالتأمين الوحيد الذي يجعل العمل الذي يعمله الإنسان صالحاً حقاً ويجعله قديساً، هو نسبته الكلية لله، أي أن يكون باعتقاد راسخ أشد الرسوخ أنه عطية من الله، وأن تُنسب بالتالي ثماره وكل نتائجه لله.

فإذا علمنا أن السبب الرئيسي أو الأصل اللاهوتي الصرف الذي يكمن وراء كل عمل صالح هو تمجيد الله، كما يقول الرب: «لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (مت ٥ : ١٦)، إذا علمنا ذلك تماماً وتأكدنا منه تماماً، أدركنا لماذا وعلى أي أساس وتحت أي شروط يعطينا الله القوة والبصيرة والنعمة والنشاط الروحي للصلاة والتسبيح والخدمة والوعظ والبذل والمحبة! ثم لماذا يسحبها من بين أيدينا و يتركنا فارغين تماماً جافين باردين، نتلفت وراءنا وأمامنا وكأنه هجرنا مرة واحدة.

إذن فالعمل الصالح يقف ليفرق بين تمجيد الله و بين تمجيد الذات الطامحة في الدنيا أو الطامعة في الشهرة. فإن تحدد تماماً لحساب الله، زاد العمل الصالح وعظم مقداره وازدادت موارده وتأمنت منافعه ودوافعه بلا حدود، وإن هو انحرف لحساب تمجيد الذات، قلّ وشحّ على ممر الزمن، وبهت لونه في أعين الله والناس وضعفت

ثمراته واحتقرت جداً وتساقطت أخيراً لتدوسها الأرجل.

الروح القدس هو الذي يعطي للعمل الصالح «مذاقة الصلاح الحقيقي»، إذ يجعل في صميم الجهد المبذول الإحساس الصادق الأمين بمصدر هذا الجهد الصالح وهذا البذل الصالح، يجعل الإنسان يستنشق من عمله ومن جهده رائحة الله نفسه تفوح بالقداسة، فيزداد الإنسان يقيناً أنه ليس صاحب هذا العمل الصالح مع أنه يجاهد بصميم إرادته، وهذا بالتالي يجعله يلتهب بإحساس قرب الله التهاباً فيحترق شوقاً لجهادٍ أكثر و بذل أعظم.

الروح القدس يقنع النفس في أثناء الجهاد الصالح قناعة ما بعدها قناعة، أن كل صلاح الله المقتنى من خلال العمل الصالح هو لها، ولكن ليس منها!! وأن القداسة الحقيقية ليست في ذات العمل، ولكن في الإقتراب الشديد من الله في أثناء العمل، ثم في رد فضل العمل إلى صاحبه!

غياب الإحساس المستمر بمجد الله وتمجيده في أثناء العمل الصالح، ينفي صفة الصلاح المنسوبة للعمل و يفيد غياب الروح القدس بل وغياب الإيمان بالله حيث تكون الذات هي وحدها صاحبة العمل والمترجية كرامة ومجداً من ورائه «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض؟» (يو٥: ٤٤).

إذن فإنكار الذات هو عمل الروح القدس الأساسي داخل النفس لضمان قيام أي عمل صالح ودوامه، حيث الوسيلة العملية والإيجابية لممارسة إنكار الذات هنا هي تمجيد الله بإصرار كلي، سواء بالكلام أو بالفكر أو بالتصور أو بالإيمان أو بكل قطرة عرق أو بكل الجهد، حيث يقف الروح القدس ليشهد لله بقوة أعظم من كل حيل الذات وخبثها وتهافتها على الكرامة والتمجيد «الروح القدس يشهد لي وأنتم تشهدون أيضاً لي» (راجع يو١٥: ٢٦، ٢٧). ولكن يستحيل على الروح القدس أن يشهد للمسيح بواسطة عمل الإنسان وقوله إلا من خلال إنكار الذات، حيث يمكن أن يكون الله في النهاية هو الكل في الكل!!

فإن كانت هناك صلاة يمكن أن تكون عملاً صالحاً، فهي التي لتمجيد الله وتسبيحه وشكره، وإن كانت هناك خدمة ما أو وعظ أو كرازة يمكن أن يُقال عنها أنها عمل صالح من أعمال شهادة الروح القدس، فهي التي تنتهي ليس فقط إلى مجرد خلاص النفوس، بل التي تنتهي أيضاً إلى طاعة الحق والإيمان وسيادة الله على كل النفوس. كذلك كل أمانة وكل عدل وكل بذل وكل حب، إنما تُحسب أعمالاً صالحة معمولة بالروح القدس إذا كانت لإزدياد مجد الله كشهادة عملية لأمانته وعدله وفدائه وحبه.

وهنا فليلاحظ القارىء أن عمل الروح القدس من أجل إنكار الذات من خلال العمل الصالح هو ليس مجرد حرب ضد النفس أو مقاومة سلبية لإلغاء وجودها أو كيانها، بل هو عمل إيجابي صرف لضبط كل عمل صالح حتى يسير في مساره الأصيل والأمين: من الله وإليه عَبْر الإنسان ــ بشهادة الذات نفسها! حيث تصبح النفس البشرية في النهاية هي أعظم منتفع من العمل الصالح إذا سار في مساره الإلهي الصحيح، أي إذا بدأ العمل باعتراف النفس بفضل الله وانتهى العمل إلى تمجيد الله، حيث تتقدس النفس البشرية بتقديس الله!!

«قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت، السماء والأرض **مملوءتان** من مجدك».
ملء السماء من مجد الله أمر مفروغ منه، فهو قائم بالخدمة الملائكية. الحاجة أشد الحاجة لنا نحن البشر إلى أن تمتلىء الأرض من مجد الله، هذا هو عمل الإنسان الصالح، أن تمتلىء الكنيسة من مجد الله بالعطاء والشهادة و بالخدمة الصالحة، أن يمتلىء كل دير من مجد الله بالتسبيح والإنسحاق والتفاني في المحبة الإلهية، أن يمتلىء كل بيت من مجد الله بالتعاون والطاعة والقدوة الصالحة. وهذا وذاك لن يتأتى إلا من خلال إنكار الذات على مستوى الكنيسة والدير والأسرة لإفساح الطريق للشهادة المطلقة لله حتى تمتلىء الأرض حقاً من مجد الله وحده.

ولكن لحسن حظ الإنسان أن الذي ينكر نفسه من أجل الله لا يضيع ولا يبقى وحده في فراغ، بل يدخل في الحال في قوة مجال المسيح والصليب وسر الإخلاء الإلهي الذي يؤول إلى سر الوجود الأعظم «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل

صليبه و يتبعني» (مت١٦ : ٢٤). وهنا ينكشف سر إنكار الذات كأساس للعمل الصالح المصبوغ بالألم والدم الذي يؤهل إلى الشركة مع المسيح «لمجد الله».

أن نتبع الروح القدس وننقاد إلى مشورته الأولى في الجهاد بأن ننكر ذواتنا في كل عمل وفكر من أجل مجد الله، هو هو أن نتبع المسيح حاملين الصليب في مسيرة الطاعة العظمى لمجد الله!! لذلك يقول الرسول عن يقين «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو٨ : ١٤).

المسيح نفسه قيل عنه أنه أنكر ذاته (الإخلاء)، وقيل عنه أنه انقاد بالروح «وكان يُقتاد بالروح في البرية» (لو٤ : ١). بهذا الإخلاء والإنقياد الطائع العجيب انتهى بالطاعة حتى الموت موت الصليب. لذلك قيل أن الله «رفعه». وهكذا يتحقق بكل قوة و يقين أن إنكار الذات والإنقياد الدائم في ذلك بالروح لتكميل كل عمل صالح هو الطريق السري المؤدي بنا إلى مجد الله في العلا عبر الصليب على الأرض، الذي ينتهي بنا إلى أن يكون الله فينا هو كل شيء.

ولكن هل يكون إنكار الذات كأساس للعمل الصالح سهلاً بغير التضحية بأثمن وأعز العلاقات البشرية؟ الأب، الأم، الأخ، الأخت، الزوجة، والأولاد؟ أو هل يكون بغير نزاع متواصل عنيف ضد الذات وتعلقاتها العاطفية ومتعلقاتها الأرضية وكرامتها وشهرتها وراحتها وآمالها الوهمية؟

هنا ينبري الروح القدس ليعزي الإنسان عن كل ثمين مفقود، وعن كل عزيز مهجور، وعن التخلي عن كل أمل مهما توطد، في سبيل تكميل كل عمل صالح لمجد الله.

أما بدون الروح القدس و بدون عزائه السهل العجيب الحاضر مع الإنسان في الجهاد الصالح في كل لحظة وكل مكان، فيستحيل على الإنسان أن يتجاوز ذاته التي تربت على العطف الزائف والحنان الزائل والمجد الدنيوي، وتغذت على الكبرياء وطلب المزيد من الدنيا بلا تعقل و بلا نهاية.

(٥)
الروح القدس وانسكاب المحبة

«لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا» (رو٥: ٥).

حينما يبلغ إنكار الذات إلى الحدّ الفاصل بين الذات الطامحة و بين تمجيد الله، وحين يطوّح الإنسان بكل علاقاته العاطفية وتعلقاته الدنيوية و يثبّت وجهه نحو الله في شجاعة الإيمان وطاعة البذل وكرامة الخدمة، تنسكب محبة الله في القلب بواسطة الروح القدس بسرٍّ إلهي يفوق الوصف.

الروح القدس، فوق عمله في الأسرار، فهويعمل كذلك من خلال العمل الصالح كالصلاة مثلاً، حينما يبلغ العمل درجة الصفاء في تمجيد الله!

إنسكاب الحب الإلهي بواسطة الروح القدس هنا هوعمل جديد في الطبيعة البشرية، هو متمم للفداء والتقديس بالدم الإلهي. فالحب الإلهي المعطى لنا هو ثمرة من ثمرات الصليب!

الحب الإلهي حينما يشتعل في القلب، يكون أول علامة حية ساخنة من علامات الإقتراب الشديد من الله الذي يمهد للإتحاد، لأن «الله محبة»!

المحبة الإلهية شيء آخر غير المحبة البشرية أو المحبة الطبيعية، محبة الله أقرب إلى النار في طبيعتها منها إلى أي شيء آخر نعرفه، هي ليست صفة بل طبيعة إلهية ذات فاعلية عميقة وتأثير شديد ــ كالنار ــ على كل كيان الإنسان. حينما تنسكب فيه وتسكن فيه تُغيِّر كل شيء فيه!! تغيِّر من طبيعته ذاتها، فتخلق فيه إمكانيات وتحملات وطاقات وإدراكات جديدة، وتلغي منه ضعفات وتعثرات واضطرارات كان ميئوساً منها، لأن الحب قوة مصححة ومؤدبة بسلطان وسيادة لا حدود لجبروتها، غايتها في الإنسان أن تجعله أكثر ملاءمة للحياة مع الله متناغماً مع إرادته المقدسة ومتوافقاً مع غايته.

وما يصنعه الحب في الواحد يصنعه في الآخر، كلٌّ حسب احتياجه، حتى يصير كل إنسان قريباً من أخيه الإنسان. فالحب الإلهي عامل اتحاد لا يجارَى، يعمل بإقناع وبسيطرة وبسر يفوق الوصف. هو أثمن ما يقتني الإنسان في حياته على الأرض، هو رباط الشركة، الشركة مع الله ومع القديسين ــ **لا شركة بدون حب، ولا حب بدون الروح القدس.**

في البداية ينسكب الحب من الله في القلب سكيباً بسر الروح القدس، وذلك عندما يبلغ الإنسان درجة **إنكار الذات**، فتتم الشركة مع الله، وبعد ذلك يفيض الحب الإلهي من الإنسان على الآخرين بفعل الروح القدس الساكن في القلب بعد ما ينجح الروح القدس في تحطيم كبرياء الإنسان وتنظيف وساخات قلبه.

انسكاب الحب الإلهي في القلب لا يمكن أن يتم إلا بالروح القدس. لا يوجد فاصل زمني ولا فارق كياني يفصل أو يفرِّق بين الحب والروح القدس، فحالما يوجد الروح القدس تنسكب المحبة الإلهية في القلب المتعطش لله.

وطالما الروح القدس ساكن في القلب، فالمحبة تفيض بلا مانع بل وبسرور شديد كأنهار ماء حي تروي أينما تجري!...

لا يمكن أن نفصل بين الحب الإلهي والروح القدس. ولكن تعوُّق انسكاب الحب في القلب ليس معناه غياب الروح القدس، ولكن يكون سببه انشغال الروح القدس بتأديب الإنسان وتنظيف وساخاته أولاً. **الروح القدس لا يكل ولا يمل من التأديب والتوبيخ، فهو لا يطيق أي خطية مهما كانت صغيرة لأنها تعيق انسكاب الحب وتعيق سكناه!!** وتأديب الروح القدس **وتوبيخه المستمر للقلب هو هو الحب** في أعمق درجاته العملية!!

الحب الإلهي لا ينسكب من الله في القلب إلا بعد أن ينجح الروح القدس في تطهير القلب من أي حب آخر، وأصعب معوقات انسكاب الحب الإلهي **هو حب الذات**، وهو جذر سام ضارب في أرض الشهوة، ثمراته كلها مُرَّة: طمع، حسد،

حقد، كرامة، عظمة، بغضة، عداوة، وأخطرها الطمع وقد سماه بولس الرسول «عبادة الأوثان» (كو٣: ٥)، لأن الطمع يجعل النفس، بدل أن تكون هيكلاً للروح القدس تقدم بواسطته ذبائح الحب، تصير هيكلاً لروح الخبث تضحي فيه للشيطان ضحايا شهواتها.

علامة سكنى الروح القدس في القلب هي **وجود المحبة.** أما علامة نجاح الروح القدس وتملُّكه على القلب فهي **فيضان المحبة أو انسكابها على الآخرين** بلا حساب ولا حذر.

فيضان المحبة يثبت وجود الروح القدس داخل القلب، و يكشف عن نشاطه وفرحه. والروح القدس يبلغ منتهى نشاطه وفرحه داخل قلب الإنسان حينما ينجح بإقناع المحبة في جمع شمل أولاد الله في وحدانية صادقة ــ أي شركة الإيمان والعبادة والصلح والسلام. لأن هذا هو جسد المسيح «محتملين بعضكم بعضاً **في المحبة**، مجتهدين أن **تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام، جسدٌ واحدٌ وروحٌ واحدٌ**» (أف ٤: ٢، ٣).

أي أن محبة الله المنسكبة في القلب بواسطة الروح القدس هي أصلاً وأساساً لتكوين شركة جسد المسيح، **أي كنيسة الحب والبذل**، أهل بيت الله ــ رعية القديسين. الروح القدس هو الصانع هذه الوحدانية «وحدانية الروح» ــ بيت المحبة. ولكن حفظ هذه الوحدانية قائم ودائم، يحتاج إلى **جهد من الإنسان ومن الروح القدس** لا يكل ولا يمل، **جهد احتمال** «محتملين بعضكم بعضاً»، **وجهد حفظ الصلح** «تحفظوا وحدانية الروح برباط الصلح». وهذه هي علامة المحبة الصادقة والطاهرة بشدة كما يقول بطرس الرسول: «المحبة الأخوية عديمة الرياء»، «من قلب طاهر بشدة» (١بط١: ٢٢)، أي يكون لها «**جهد احتمال**» دائم لا يكل حتى إلى الموت، لأن المحبة أقوى من الموت، **وجهد حفظ رباط الصلح مع الإخوة قائم لا ينقطع مهما كانت التكلفة.**

انقطاع المحبة وتوقف الصلح لا يلغي وجود الروح القدس، ولكن يكشف عن

حرج موقفه، فهو يصير في حالة «**حزن**» **وينحجب نوره الساطع فجأة وكأنه قد «انطفأ»**. وهذا معناه أن الخطية قد استعادت قوتها ورفعت قرنها البشع، ونجحت بشراستها ــ ولو إلى حين ــ في اقتحام قلب الإنسان وإفساد هيكل الروح القدس، وأخمدت حركة الحب. وإذا بالحبيب يُجرح في بيت أحبائه. وفي لحظة يظهر وكأنما «**المعزِّي**» **صار حزيناً يحتاج إلى عزاء!!** وبات الروح ومصباحه منطفئاً في القلب ودنيا الإنسان كلها ظلاماً!

يالرقة الروح القدس ولطفه وحنانه وتودده للإنسان! فهو إذا لم ينجح في أن يجعل الحب الإلهي مسرة القلب وشغل الفكر الشاغل، **ينحصر داخل النفس ويحزن** ويكتئب ويصير **في غمٍّ شديد**، وكأنه يسترجع مواقف الرب حينما وقف إزاء جحود الإنسان يتوجع «نفسي **حزينة جداً** حتى الموت!!» (مت٢٦: ٣٨)، أو إزاء فقدان الرجاء في الطريق إلى قبر لعازر «**بكى** يسوع» (يو١١: ٣٥).

هكذا أيضاً يحذرنا بولس الرسول «لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء!!» (أف٤: ٣٠)، لأن المسيح نور العالم لما صلبوه انحجب نوره فصار العالم كله في ظلمة!! هكذا أيضاً الروح القدس نور الضمير وناره الوهاجة، إذا **أُهينت المحبة أو خُذلت القداسة** أو افتُضح العقل وامتُهنت الرزانة، خبا نوره وانحجبت ناره عن الإنسان، لأن في **طاعته** ينتقل الإنسان في حرارة الحب كل يوم «من مجدٍ إلى مجدٍ كما من الرب الروح» (٢كو٣: ١٨)، **وفي جحوده وعناده ينطفىء لهيبه فجأة** ويصير الإنسان في ظلام وبرودة وعداوة ولا يعرف إلى أين يسير!!» «لا تطفئوا الروح» (١تس٥: ١٩).

***

(٦)
«لا تحزنوا روح الله القدوس، الذي به خُتمتُم ليوم الفداء»
«ولا تطفئوا الروح»
(أف ٤: ٣٠؛ ١تس٥: ١٩)

الإنسان المسيحي مجاهد بالدرجة الأولى، يتقلد «سيف الروح الناري» منذ أول لحظة يخرج فيها من ماء المعمودية كمولود جديد، «هو يعمدكم بالروح القدس ونار» (مت٣: ١١).

فالإنسان المسيحي يقوم في هذا الجهاد والسيف لا يفارق يده والنار لا تفارق عقله وقلبه حتى آخر لحظة من حياته ساعة أن يستودع الجسد للتراب الذي أُخذ منه، مضمخاً بعطر المحبة الخالصة الكثيرة الثمن، وتنطلق الروح في نصرة الروح والتهاب الحب واستنارة الحكمة، لتحيا إلى الأبد تسبِّح في حضرة خالقها.

في ساعات نصرة الجهاد الواعي تحتضن النعمة الإنسان وتلذذه بثمرات الحب الإلهي ونور المعرفة الفائقة، فيحس الإنسان أنه أسعد خليقة على الأرض، بل و يتحدى الملائكة في سعادته ودالته مع الله. في هذه الساعات يفرح الروح القدس بالإنسان جداً.

ولكن حينما ترتد النفس وتنحصر تحت حماقة غرائزها الطبيعية وهيجان اللاشعور، و ينبطح الإنسان في أرض المعركة و يتعدى وصايا الحب الإلهي؛ ينحصر الروح القدس داخل القلب و يكتئب جداً، إذ تتوقف رسالته الأولى والعظمى: رسالة الحب الإلهي، و يصبح خلاص الإنسان في خطر، و يتعطل عمل الفداء.
وهنا يقف **الصديق** الأعظم للإنسان حائراً قلقاً **حزيناً**: «لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتُم ليوم الفداء».

وأمام جهالة الإنسان هذه وحماقته الشديدة، حينما يطرح الحكمة خلف ظهره و ينبذ

الرزانة والوقار و يتدانى إلى مستوى البهيمة أو ما دون، و يدخل عقله في منطقة الظلمة راضياً مستسلماً لأهواء الهوان صائراً في ذلةٍ واحتقار، يرتد الروح القدس إلى خلف و ينطفىء نوره في القلب، و يتوقف لسانه الناري في العقل، فلا يُسمع له صوت فضيلة ولا حركة نعمة ولا فعل إحراق وتطهير «لا تطفئوا الروح» !

كل خطيئة ضد المحبة هي خطيئة ضد الآب وضد الإبن، وضد الروح القدس بالدرجة الأولى؛ لأنه هو الذي يقود الإنسان إلى حضن الآب والإبن. و بالتالي، فكل عداوة وكل بغضة وكل حقد وكل حسد وكل مذمة وكل دينونة وكل احتقار أو إهمال وامتهان للآخرين هي هي خطايا موجهة ضد عمل الروح القدس ورسالته، وهي كفيلة بأن تجعله في غم وحزن واكتئاب، مع أنه هو المتكفل بتعزية الإنسان!! علماً بأن حزن الروح القدس هو بعينه الذي يرتد على الإنسان شعوراً بالخيبة والمرارة والجفاف الشديد، إن كان في القراءة أو الصلاة أو الخدمة، مع وجع في القلب وغُصَّة أشبه ما تكون بغُصَّة الموت! لأنه إذا ضاع الحب والعزاء من الإنسان فماذا يتبقى له؟

كذلك، فإن كل خطيئة ضد الحكمة والحق والرزانة فهي خطيئة ضد الروح القدس، و بالتالي فكل خطيئة ضد العفة والقداسة وكل كذب أو افتراء وكل تصاغر وخفة في السلوك أو التدبير هي خطايا موجهة ضد الروح القدس مباشرة، لأنه هو المتكفل بتلقين الإنسان «كل الحق»، وهي كفيلة بأن تطغى على نوره وعلى تأججه واشتعاله في القلب حتى تطفئه. فإذا انطفأ الروح القدس في القلب فماذا يتبقى للإنسان إلا ظلام و برودة، فلا إلهام ولا فهم ولا مشورة ولا حكمة، بل تخبُّط في الجهالة وفقدان هدف الحياة فيتخبط الإنسان ولا يعرف إلى أين يسير.

وهكذا فإن الروح القدس إذا أُحزن بالأعمال والأقوال التي هي ضد المحبة وأُطفىء بالأعمال والأقوال التي هي ضد الرزانة والحق، لا يتبقى للإنسان أي مصدر للعزاء أو الرجاء، ولا أي ملجأ يلتجىء إليه، ولا أي معين يستصرخ نحوه. لذلك يقول الرب إن الخطيئة ضد الآب تغفر والتي ضد الإبن تغفر أيضاً، ولكن التي ضد الروح القدس لا تجد لها منفذاً ولا غفراناً!! لأن الروح القدس هو الذي يمسك بيد الإنسان و يقوده

بالحب و بالحق إلى حضن الإبن ثم حضن الآب!!

والآن إذا عدنا إلى قائمة الخطايا التي يسردها بولس الرسول في رسالته إلى أفسس وفي رسالته الأولى إلى تسالونيكي باعتبار أنها خطايا تحزن الروح القدس وتطفئه، نجدها في مجملها تنقسم بوضوح إلى قسمين واضحين: خطايا ضد المحبة، وخطايا ضد الحق، وخطايا تحزن الروح القدس، وخطايا تطفىء نوره ولهيبه.

وهنا نرجو القارىء أن يقرأ بتؤدة و بفحص:

أولاً: كل الآيات الواردة في أفسس ٤: ١٤ـــ٣٢، ٥: ١ـــ٢١.

ثانياً: كل الآيات الواردة في اتس ٥: ١٥ـــ٢٤.

١ ـــ «كي لا نكون في ما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس، بمكر، إلى مكيدة الضلال. بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح، الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عملٍ على قياس كل جزء، يحصِّل نمو الجسد لبنيانه في المحبة.

«فأقول هذا وأشهد في الرب أن لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببُطل ذهنهم، إذ هم مظلمو الفكر ومتجنّبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم. الذين إذ هم قد فقدوا الحس أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع. وأما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا، إن كنتم قد سمعتموه وعُلِّمتم فيه كما هو حقٌ في يسوع أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجدّدوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.».

«لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه، لأننا بعضنا أعضاءُ البعض. إغضبوا ولا تخطئوا. لا تغرب الشمس على غيظكم. ولا تعطوا إبليس مكاناً. لا يسرق السارق في ما بعد بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطي من له احتياج. لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم، بل كل ما كان صالحاً

للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمة للسامعين. ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتُم ليوم الفداء. ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث. وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعضٍ، شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح».

«فكونوا متمثّلين بالله كأولاد أحباء. واسلكوا في المحبة، كما أحبّنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة».

«وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يسمَّى بينكم، كما يليق بقديسين. ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التي لا تليق، بل بالحري الشكر. فإنكم تعلمون هذا أن كل زانٍ أو نجسٍ أو طمَّاع الذي هو عابدٌ للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله. ولا يغرّكم أحدٌ بكلام باطل، لأنه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء المعصية. فلا تكونوا شركاءهم، لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنورٌ في الرب. اسلكوا كأولاد نور، لأن ثمر الروح هو في كل صلاح و بر وحق، مختبرين ما هو مرضيٌّ عند الرب. ولا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة، بل بالحري وبِّخوها، لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضاً قبيح. ولكن الكل إذا توبِّخ يُظهَر بالنور. لأن كل ما أُظهِرَ فهو نور. لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح».

«فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء، مُفتدين الوقت لأن الأيام شريرة. من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء، بل فاهمين ما هي مشيئة الرب. ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة، بل امتلئوا بالروح. مكلِّمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب. شاكرين كل حين على كل شيء في اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب. خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله».

٢ــ «انظروا أن لا يجازي أحدٌ أحداً عن شرٍ بشرٍّ بل كل حين اتبعوا الخير

بعضكم لبعض وللجميع. افرحوا كل حين. صلوا بلا انقطاع. اشكروا في كل شيء. لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم. لا تطفئوا الروح. لا تحتقروا النبوات. امتحنوا كل شيء. تمسكوا بالحسن. امتنعوا عن كل شبه شر. وإله السلام نفسه يقدّسكم بالتمام، ولتُحفظْ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح. أمينٌ هو الذي يدعوكم، الذي سيفعل أيضاً» (أف ٤: ١٤ــ٣٢، ٥: ٢١ و١تس ٥: ١٥ــ٢٤).

ونحن نجد أن اهتمام بولس الرسول بسرد قائمة هذه الخطايا بكل تدقيق وكل وضوح وفهم، لا ينبغي أن يعبر عليه القارىء بخفة، كمجرد قراءة، فهذه هي جذور الهلاك التي توطّنت في النفس وتسببت في موت كثيرين، وبرودة كثيرين، وانصداد الكثيرين عن الصلاة وعن حب الكلمة والقراءة.

لينظر كل واحد فينا أي جذر من هذه الجذور تتغذى عليه نفسه، لأن ذلك يكون حتماً هو علة مرضه وتلف ضميره والسبب المباشر لضعف إرادته، لأن كل خطيئة من هذه الخطايا كفيلة أن تُحزن الروح القدس أو تطفئه داخل القلب، فيقطع عن القلب ــ إن آجلاً أو عاجلاً ــ موارد حرارة الحب والنور والحق!

والمطلوب الآن كعمل سريع أو كإسعاف أوَّلي أن نقف طويلاً أمام أي خطية يكون قد تربى لها خلسة سلطان على الفكر أو الجسد، وبصراخ شديد ودموع توسل لدى الروح القدس نطلب مزيداً من حساسية الضمير ضد هذه الخطية، لأن ذلك هو بمثابة أقل ترضية للروح القدس، حتى يلتهب مرة أخرى ويشعل القلب بحرارة الحب الإلهي ونور الحق، فنستطيع أن نقف ضد سلطان الخطية التي أحببناها وملّكناها على القلب برغم وجود الروح القدس!!

هنا يلزمنا أن نفهم جيداً أن الروح القدس هو صديق حقيقي ــ وقت الشدة والضيق والمذلة ــ لأن الصديق الحقيقي هو من يحزن لسقطة الإنسان وتدانيه في الأعمال المهينة، والروح القدس أشد من يحزن على ضياع خلاص الإنسان، ولكنه

ليس صديقاً يحزن وحسب، بل هو معين قوي جداً يستطيع أن يمسك بيد الإنسان و يقيمه من كل سقطة، بل ومن أعماق الموت، و يغسله بدم المسيح، و يرفع عنه عار أشنع الخطايا، و يقدمه للمسيح كإبن أو كجذوة منتشلة من النار، لأنه خالق ومحيي.

والروح القدس بقدر ما تُحزنه أصغر الخطايا وتطفئه أقل حماقة، فهو أيضاً تسترضيه أقل أعمال التوبة وأصغر أنواع الجهادات، إذا قُدِّمت بثقة كاملة فيه، مع إخلاص نية وصدق ضمير وانفتاح شجاع لتقبُّل عمله وتعزيته.

والروح القدس وديع حقاً ولطيف غاية اللطف، يحتمل كل جهالات الإنسان بأكثر مما يفتكر الإنسان. فهو يبقى على إخلاصه وحبه وتودده للإنسان، حتى ولو أحزنّاه سبعين مرة سبع مرات كل يوم. لأن العودة إليه ــ بتوبة ودموع ونية صادقة ــ تسترضيه غاية الرضى. وهو ــ على طول المدى ــ لا يجمع لنا رصيد تعديات بل يجمع لنا رصيداً من الترضيات، يحفظ لنا كل أعمال الندامة والتوبة ولا يحفظ لنا شيئاً من أعمال قساوة القلب والجهالة عندما نعود إليه، لأنه وديع ومتواضع القلب حقاً يأخذ مما للمسيح و يعطينا (راجع يو١٦: ١٤، ١٥).





الروح القدس في مواجهة العدو
لحساب ملكوت الله

عيد الخمسين ١٩٧٨



الروح القدس في مواجهة العدو
لحساب ملكوت الله

□ □ □

كان حلول الروح القدس يوم الخمسين هو بدء تاريخ الكنيسة، كنيسة الرسل، باعتباره نقطة الإنطلاق للخدمة والشهادة بعد الملء من قوة الروح القدس. ومنذ ذلك اليوم والكنيسة تسير وتمتد تحت قيادة الروح القدس، تكتب تاريخها يوماً بعد يوم، بدموعها وآلامها، في صراعها ضد روح العالم.

والكنيسة في صراعها هذا، لم تخرج عن منهج عريسها، الذي بعد أن امتلأ بالروح القدس يوم العماد، أُقتيد بالروح إلى البرية ليجرَّب من إبليس.

وهكذا بالتالي كل إنسان في الكنيسة، كلٌّ من اعتمد للمسيح وامتلأ بالروح القدس، فإنه يواجه حتماً هذه المواجهة من العدو، في برية العالم وعلى مدى الحياة، إنما تحت قيادة الروح القدس أيضاً. لأن بمجرد أن يحوز الإنسان على روح الحق فإنه يكون بمثابة إعلان حرب على روح الباطل «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم و يكون فيكم» (يو١٤: ١٧).

العالم لا يطيق مختاري الله، أبناء الله الذين قبلوا روح الحق وساروا تحت قيادته «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو٨: ١٤).

النقطة الأساسية التي يلهمنا بها هذا العيد، عيد حلول الروح القدس، هي أننا مدعوون حتماً إلى هذه المواجهة مع العدو، إن كنا حقاً قد قبلنا الروح القدس، وأحببنا الحق، وعاهدنا المسيح على حفظ هذه الأمانة العظمى، أن نكون أبناء الله مولودين حقاً من فوق، وحافظين عهد البنوية، لأن المسيح صارحنا بكل صدق وأمانة

في ختـام كـرازتـه وقبـل انـطلاقه إلى الآب مباشرة قائلاً: «إن كان **العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم، لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكنكم** لستم **من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم،** اذكروا الكلام الذي قلته لكم ليس عبد أعظم من سيده، **إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم** وإن كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم، **لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل إسمي**... ومتى جاء المعزِّي...، روح الحق...، **فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً**» (يو١٥: ٨—٢٧).

على هـذا الأساس تكون تجربة المسيح في البرية من الشيطان بعد مسحته وامتلائه من الروح القدس، هي لحسابنا ضد روح العالم، وهي رائدنا الوحيد في أوقات مواجهتنا للعدو أثناء مسيرتنا في العالم، سواء من جهة الكنيسة ككل أو من جهة كل من اعتمد للمسيح ونال مسحة الروح القدس في الكنيسة؛ معنى هذا أننا لا نجوز بعد أية تجربة وحدنا، فالمسيح لم يقبل المسحة أصلاً لنفسه بل قَبِلَ مسحة الروح القدس لملئنا نحن، ودخل التجربة ليعيد إلينا نصرتنا الأولى على قوى الشر والظلام التي كانت في آدم.

الكتاب لا يقول عبثاً — بعد أن انتصر المسيح على إبليس في كل ما جُرِّب به — أنه «**كان مع الوحوش، وصارت ملائكة تخدمه**» (مر١: ١٣، مت٤: ١١). هنا آدم يعود إلى وضعه الأول قبل السقوط، لقد استرد المسيح ما فقده آدم، فإن آدم بعد خروجه من لدن الله بسبب المخالفة فقد في الحال أُلفته وسيادته على الوحوش وصداقته للخليقة السماوية. لذلك صارت صحبة الوحوش للإنسان ورؤية الملائكة بعد سقوط آدم أحد أحلام العصر الماسياني، وكانت تُحسب في النبوات أبرز علامات عودة رضى الله على الإنسان: [«فيسكن الذئب مع الخروف و يربض النمر مع الجدي والعجل وشبل الأسد والمسمَّن معاً **وصبي صغير** يسوقها» (إش١١: ٦)— يلاحظ هنا كلمة «صبي صغير» ترمز إلى الطفولة أي عودة الإنسان إلى ملكوت الله: «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال فلن تدخلوا ملكوت الله»، وهي أيضاً إشارة سرية غاية في

العمق والإبداع إلى الميلاد الجديد في المعمودية، «وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي عديم الغش لكي تنموا به» (١بط ٢ : ٢)...].

المسيح هنا حقق الحلم الماسياني وأدخل الإنسان إلى ملكوت الله بالفعل والقوة «إن كنت أنا بأصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (لو١١ : ٩). وكما يقول العلاّمة كلمندس الإسكندري: «وكملك حقيقي على الخليقة جاءت الملائكة وصارت تخدمه»(١).

المسيح بالمسحة والإمتلاء من الروح القدس في الأردن ونصرته على الشيطان، أعاد للإنسان سيادته مرة أخرى على الشيطان وعلى قوى الشر، وردَّ له سلامه مع الخليقة كلها ووحوش الأرض، وصالحه مع الملائكة التي بعد أن كانت تحجزه عن العودة إلى الفردوس بسيف لهيب نار متقلب صارت مرة أخرى أرواحاً مرسَلة لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص من بني آدم.

لقد سلَّم المسيح إلى الذين يؤمنون به هذه القوة الفعَّالة، أي مسحة الروح القدس والإمتلاء من مواهبه وسلطانه ليكون لمن يؤمن باسمه هذه النصرة عينها ضد مصادمات العدو، وهذه المصالحة عينها مع الخلائق السمائية للخلاص وخدمة الخلاص.

لذلك نجد الوحي الإلهي لم يفرق بين ما سيكمله (المسيا) بشخصه من أجلنا، وما سيؤول إلينا بسببه وبقوة إسمه وروحه. وأشار الروح إلى هذه النصرة عينها في المزامير باعتبار أن النصرة ضد قوات الشر هي للرجل «البار» «**الساكن دائماً في ستر العلي**»، الذي «جعل العليَّ ملجأه» «وتحت جناحيه يحتمي، برُّه درع وسلاح، لا يخشى من هول الليل، ولا من سهم يطير في النهار، ولا من الوبأ يسري في الظلام أو هلاك يفسد في الظهيرة. يسقط عن جانبك ألوف وعن يمينك ربوات وإليك لا يقترب، ترى ذلك بعينيك وتتأمل مجازاة الأشرار. لأن لك الرب ملجأ، وأنت جعلت

(١) كلمنضس الإسكندري Exc. Theod. 85

العلي مسكنك فلا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك **لأنه يوصي ملائكته به** لكي يحفظوك في كل طرقك . على الأيدي يحملونك لكي **لا تُصدم بحجرٍ رجلُك ، على الأسد والحية تطأ** (الشيطان وقوات العدو) والشبل والثعبان تدوس لأنه تعلّق بي أُنجيه ، وأستره لأنه عرف إسمي ، يدعوني فأستجيب له ، في الضيق أنا معه أُنقذه وأُمجده . بطول الأيام أشبعه وأريه خلاصي» (المزمور ٩١ ــ مترجماً عن الأصل العبري) .

هذا المزمور يصوِّر نصرة المسيا ــ ساكن العلا ــ نفسه تصويراً محكماً في تجربته في البرية وحربه مع الشيطان ثم مسالمة الوحوش وخدمة الملائكة بكل دقائقها ، ثم ينطلق منها تباعاً وفي غير فاصلٍ زمني أو شخصي إلى نصرة من سيسكن في ستره و يتمسك باسمه ! !

هذا المزمور من أقوى المزامير التي تشدد قلب الإنسان المسيحي في حربه اللامنظورة مع قوات العدو باعتباره وثيقة حربية نافذة المفعول أكمل المسيح كل مطاليبها وشروطها على جبل التجربة وجثسيماني والجلجثة ووهبها بالروح القدس لكل من يتمسك باسم الرب وهو في التجربة (٢) .

(٢) إبصالية واطس لربي يسوع على ثيئوتوكية يوم الجمعة .

«بالحقيقة قد تقدمت إلى رئيس عظيم الذي هو إسم الخلاص لربنا يسوع المسيح .
ربنا يسوع المسيح أعطى علامة لعبيده الذين يخافونه لكي يهربوا من وجه القوس .
ربنا يسوع المسيح أعطى علامة لعبيده الذين يخافونه لكي يسدوا أفواه الأسود .
ربنا يسوع المسيح أعطى علامة لعبيده الذين يخافونه ليطفئوا قوة النار .
ربنا يسوع المسيح أعطى علامة لعبيده الذين يخافونه لكي يخرجوا الشياطين .
ربنا يسوع المسيح أعطى علامة لعبيده الذين يخافونه لكي يتسلطوا على أعدائهم .
وهذا هو اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح وصليبه المحيي الذي صُلب عليه .
طوبى للإنسان الذي يترك عنه هذا العمر واهتماماته المملوءة تعباً القاتلة للنفس .
ويحمل صليبه يوماً فيوماً و يلصق عقله وقلبه باسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح .
يفرح قلبنا و يتهلل لساننا إذا تلونا إسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح .
إذا ما رتلنا فلنقل بحلاوة ياربنا يسوع المسيح اصنع رحمة مع نفوسنا .
(الأبصلمودية المقدسة) .

ولكن العجيب إذا فحصنا هذه المصادمة الحتمية مع العدو وبحثنا أسبابها وأهدافها، نجد أن الروح القدس هو سبب قيام الحرب مع قوات الظلام والشر، وهو هو بنفسه ضمين النصرة والقوة الفعّالة التي لا تُهزَم أبداً ضد قوات الظلام والشر.

فبمجرد أن مُسح المسيح وامتلأ من الروح القدس ــ روح ضد العالم ــ **اقتيد بالروح القدس نفسه ليجرَّب من إبليس**، رئيس هذا العالم، وهكذا نحن أيضاً بمجرد أن نُقبل الروح القدس ونعتمد ونحال المسحة ونستنير ونمتلىء من روح الحق، يكون هذا بمثابة إعلان حرب ضد الشيطان، فندخل مباشرة في صراع مع قوات الظلام وروح الباطل الذي يسيطر على فكر العالم و يسوقه إلى الشر والخطيئة إرغاماً.

كل هذا لابد أن ينير بصيرتنا لكي نعيد تقييمنا لمعنى التجارب عموماً، ثم لأسباب ومنابع المصادمات التي يسوقها العالم ضدنا و يُحكم الشيطان تصويبها نحونا...

فالمسألة ليست فردية بحال من الأحوال، وإن كانت التجارب تتشكل حسب قامة كل مؤمن و يضبطها الله حتى لا تتعدى قط احتمال كل إنسان على قدر إيمانه وصبره، **ولكن التجارب عموماً هي تفاعل حتمي بين روح الله الذي يقودنا إلى ملكوته وبين قوات الشر والظلام التي تحجزنا عن نوال نصيبنا الأسمى.** ولكن المسيح لم يتركنا لنبدأ طريق الصراع ونختمه بإمكانياتنا المزيلة، فالمسيح أسَّس لنا طريق النصرة إذ غلب رئيس العالم ــ رأس الشر ــ وقال: «ثقوا (أو «تهللوا») أنا قد غلبت العالم»، «رئيس العالم يأتي وليس له فيَّ شيء» (يو١٤: ٢٠)، **وأعطانا أن نغلب باسمه كل قوات الظلمة وأعمال الشر طالما نتمسك باسمه وبالروح القدس.**

«وهكذا كان أناس منكم (مغلوبين للزنا والسرقة والطمع والسُكر والشتيمة)، لكن اغتسلتم (أي اعتمدتم) بل تقدَّستم (بالدم ــ القدسات للقديسين) بل تبرَّرتم **باسم الرب يسوع، وبروح إلهنا**» (١ كو٦: ٩ــ ١١).

هنا **إسم المسيح والروح القدس** يعيدان إلى ذهننا مرة أخرى **شخص المسيح** الصاعد من الأردن **ممتلئاً من الروح القدس** متجهاً نحو البرية ليخوض التجربة العظمى ضد قوات الظلمة.

وعلينا أن نلتفت جداً أن الشيطان لا يحارب بطرق مكشوفة للفكر العادي ولا على مستوى المنطق العقلي أو البديهة البشرية، بل كما يقول بولس الرسول: «لأن سرّ الإثم يعمل الآن فقط (أي أعمال خفية كلها تحايل وخداع) إلى أن يُرفع من الوسط الذي يحجز (ظهوره). وحينئذ يُستعلَن الأثيم الذي الرب يبيده **بنفخة فمه** (الروح القدس) و يبطله بظهوره (الشخصي)، فإن مجيئه (المنافق) سيصحبه فعل إبليس بشتى أنواع العجائب والآيات والخوارق الكاذبة **وكل خديعة للإثم**، في الذين يهلكون **لأنهم لم يقبلوا محبة الحق التي تخلّصهم**، لذلك يرسل الله لهم عمل الضلال الذي يجعلهم **يصدقون الكذب** حتى يُدان جميع الذين لم يؤمنوا بالحق بل سُرُّوا بالإثم» (٢تس ٢: ٧ــ١٢).

بسبب هذا الخداع الخفي والتحايل وطرق الغش التي يستخدمها الشيطان، فإن كل من لا يتمسك باسم المسيح و بالروح القدس ــ أي روح الحق والمعرفة والفهم والمشورة التي من الله، فإنه يسقط بسهولة في خداع وغش الشيطان، و يعمل أعمال الشيطان دون أن ينتبه، معتبراً أنها أصول الدنيا أو العرف السائد أو هي طبيعة الإنسان أو ربما هو مرض أو ربما هي الصدفة أو خطأ غير مقصود أو مجرد نتيجة للتسرع في الكلام أو التصرف، مع أنها تكون خيوط الشيطان المنسوجة بدقة هائلة ورفيعة جداً حتى لا تُرى، تلتف حول الفكر بدهاء و بطء ومكر لتحجب عنه نور التفريق بين الحق والباطل، ثم تضغط على الضمير لتخنقه حتى يفقد الحساسية للحق شيئاً فشيئاً دون أن يشعر كثيراً. وأخيراً تدخل هذه المشورات والتصورات في حيز التنفيذ حتى تسكن أعماق الأعضاء لتستعبد في النهاية ليس العقل وحده بل والجسد نفسه. وفي النهاية يسكن و يتمكن ناموس الخطية في كيان الإنسان و يستعبد الفكر واللسان والضمير والأعضاء والسلوك.

أما الروح القدس ــ روح الحق ــ روح الحكمة والفهم والمشورة الصالحة، فهو وحده القادر أن يكشف للإنسان بقوة واستقامة حركات الشيطان وحيله الماكرة جداً سواء في الفكر أو الضمير أو السلوك أو الأعضاء، مهما كانت خبيثة وماكرة، وذلك

بقوة أكثر دقة وأكثر عمقاً وأكثر إحاطة من حيل الشيطان، حينما نرتمي تحت الصليب طالبين المعونة في وقتها؛ فروح الحق أقوى بما لا يُقاس من روح الباطل. والروح القدس يكشف للإنسان جميع حيل الشيطان و يبطلها واحدة واحدة بدقة وحزم، بإستنارة وفهم ومنطق إلهي لا يعانَد كما يقول بولس الرسول: «**لأننا لا نجهل أفكاره**»!! (٢كو٢: ١١).

و يلزمنا في جهادنا أن نتيقن أن عمل الروح القدس في المختارين هو أن **يعين المجرَّبين**، لا كأنه يُدفع إلى ذلك أو يحتاج إلى توسل، **بل هو عمله الخاص، لأن أي تجربة تصيب الإنسان الذي قبل الروح القدس وآمن بالمسيح يعتبرها الروح تجربة مصوَّبة للمسيح نفسه الذي هو الحق، أي مصوَّبة لله، فالروح القدس يعمل هنا في التجربة عملاً إلهياً حسب مسرّته، هو من صميم اختصاصه وطبيعته.**

لذلك يؤكد القديس بولس الرسول أن الله أمين فيما له أي فيما يخص الحق، لذلك لا يجعل الإنسان يجرَّبُ بالشرور أو بالباطل فوق احتماله أو طاقته، بل يجعل مع التجربة البشرية منفذاً إلهياً، هذا المنفذ هو التدخل السريع والأمين والأكيد من قِبَل الروح القدس ليرفع الإنسان فوق مستواه، وليعين المجرَّبين لحساب تجربة المسيح، لأنه بذلك يزكّي الحق ضد الباطل و ينتصر للمسيح الذي دفع لكل من يؤمن به ثمن النصرة على العالم!

الروح القدس في تعضيده لنا أثناء التجربة يشهد للمسيح من داخل الإنسان، و يعين الإنسان لكي يشهد هو أيضاً للمسيح: «الروح القدس يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً» (يو١٥: ٢٦، ٢٧)، الحق ضد الباطل.

من هذا نرى أن الروح القدس هو المنبه والكاشف للشر المخبأ ضدنا والقوة الفاضحة لأعمال الباطل وحقد الشيطان، في حرب النور ضد الظلمة داخل طبيعة الإنسان.

ولكن ليتنا نثق أنه إن كان الشيطان لا يمكن أن يحارب إلا المؤمنين الذين امتلأوا بالروح القدس، فالروح القدس لا يمكن أن يخذل المؤمنين بالمسيح، كلٌّ من انقاد للروح القدس وأحبه، وتمسك به واقتناه كحق وحياة: «يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين معاقبين» (٢بط ٢: ٩)...

وإن كان الشيطان يستطيع أن يظلم بصيرة الإنسان بالسقوط في الخطيئة والإنحراف وراء تيار الشر والأشرار، و يُدخل في طبيعة الإنسان عنصر الجهل والنسيان والغفلة وعوامل التراخي والإهمال واللامبالاة، التي يستخدمها الشيطان كأمضى سلاح لربط فريسته لتكون مطية مطيعة لسكناه، فإنه بالمقابل نجد أن الروح القدس حينما يسكن في الإنسان يمد طبيعته الجديدة:

بالإستنارة: «لكي تخبروا بفضائل الذي **دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب**» (١بط ٢: ٩)...

وبالفهم: «أبارك الرب الذي أفهمني» (مز١٦: ٧) لأن الروح القدس هو «روح المشورة والفهم»...

وبالمعرفة بأصول الحق: وهذه إحدى الصفات الجوهرية لطبيعة الروح القدس التي ينالها الملتصقون بالرب: «روح الحق الذي **يعرّفكم بكل شيء**»، «**أعطاني السيد الرب لسان المتعلمين** لأعرف أن أغيث المعيي بكلمة» (إش ٥٠: ٤، ٥)...

وباليقظة القلبية الداخلية: «**يوقظ كل صباح لي أذناً لأسمع كالمتعلمين**، السيد الرب **فتح لي أذناً** وأنا لم أعاند، إلى الوراء لم أرتد» (إش ٥٠: ٤، ٥).

هذه هي صفات الطبيعة الجديدة للإنسان الجديد المولود من الماء والروح، التي يهبها الروح القدس من نفسه ليعيش بها كل من آمن بالمسيح واعتمد شاهداً للحق ضد الباطل وكل قوى الظلام، بكل إستنارة وفهم ومعرفة و يقظة، وحساسية ليس للشر فقط بل ولشبه الشر أيضاً. وهذه الصفات إذا وُجدت في إنسان، فإنها تكون الدليل العملي لسكنى الروح القدس.

ولقد نبّه الرب إلى هذه الحقيقة مستشهداً بالأنبياء:

ــ «إنه مكتوب في الأنبياء **ويكون الجميع متعلِّمين من الله**» (يو٦: ٤٥).

ــ «إن شاء أحد أن يعمل مشيئته (الله) **يعرف التعليم هل هو من الله** أم أتكلم أنا من نفسي» (يو٧: ١٧).

ونكاد نقول أيها الأحباء أن المعرفة الحساسة المستنيرة بالروح القدس المتمسكة بالحق الإلهي، هي أشد وسيلة لدحر الشيطان وهو لا يزال يعمل في الفكر محاولاً أن يستميل الضمير إلى حماقات الخطيئة وجهالات الشر. لأن الشيطان لا يدخل إلى الإنسان إلا من باب العقل والتصوُّر. فالخطيئة تبدأ بحركة عقلية، ولا يمكن توقيفها إلا باستنارة عقلية لكشف مقدار بُطل الباطل. وهذه الإستنارة العقلية لا يحصل عليها الإنسان إلا بالروح القدس وبالكلمة أي بالإنجيل، لأن «الكلمة» هي بآن واحد فعل الروح القدس وهي قوة الله الحاملة لسلطان الله، وهي جوهر العقل الذي يشكل العقل و يبنيه.

لذلك نجد الرب يلجأ إلى «الكلمة المكتوبة»، هذا السلاح المرعب ليواجه به خداع الشيطان: «**مكتوب** لا تجرِّب الرب إلهك». وهنا لا يمكن أن يغيب عن بالنا أن كلام المسيح نفسه هو **روح، وحياة**. والكتاب كله موحى به من الله، أي أنه مكتوب بالروح القدس!!

لذلك، كانت «الكلمة» بالإنجيل بالنسبة لمن آمن بالمسيح واسطة فعَّالة للإقتراب المباشر والمستمر لروح الله وفكر الله، لإعطاء مزيد من الإستنارة العقلية، بل ومزيد من قوة الله وسلطانه، لكشف كل حركات الشيطان وإبطالها. والنتيجة نصرة على العالم ومزيد من سر الحياة الأبدية!!

وكما كان المسيح «**بروح الله يخرج الشياطين**» حتى صار رعبة وهلاكاً للشيطان وجنوده، كذلك صار اسمه وصارت كلمته (روح وحياة)؛ فهي في ذاتها لها نفس السلطان.

وهذا يتضح لنا عندما أعطى المسيح تلاميذه السلطان لإخراج الشياطين وطردهم: «ثم دعا تلاميذه الإثنى عشر وأعطاهم سلطاناً (سلطان الروح القدس) على أرواح نجسة حتى يخرجوها» (مت ١٠: ١). على أن سلطان المسيح الذي سلّمه لتلاميذه بصورة أمر «أخرجوا شياطين» انحصر في الدعاء باسمه «يارب حتى الشياطين **تخضع لنا باسمك**» (لو ١٠: ١٨).

ثم انتقل هذا السلطان عينه بأمر المسيح من التلاميذ إلى الكنيسة ــ أي المؤمنين ــ عبر الدهور: «**وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي**» (مر ١٦: ١٧).

لذلك اعتبر القديس بولس الرسول التمسك **باسم المسيح** مع الإلتصاق **بالروح القدس**، هو مصدر اغتسال من وسخ الخطيئة، ومصدر تقديس في الله وتبرير من كل دينونة للخلاص كما سبق وقلنا.

وأيضاً اعتبر بولس الرسول أن «**الكلمة**» باعتبارها حاملة لقوة الروح القدس الذي أوحى بها هي قادرة ــ بحد ذاتها ــ أن تحكّم الإنسان للخلاص: «وإنك منذ الطفولية تعرف **الكتب المقدسة القادرة أن تحكّمك** (تجعلك حكيماً) **للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع**... لأن كل الكتاب **هو موحى به من الله**» (٢تى ٣: ١٥، ١٦).

والكتاب المقدس حينما يتعرض إلى **إخراج الشياطين** باسم المسيح، الذي صار آية وحقاً يتبع المؤمنين إلى مدى الدهور، فإنه يقصد بذلك إظهار مدى السلطان والتفوق الذي صار لنا ــ باسم المسيح و بروح الله ــ لكشف أعمال الشيطان ورصد حركاته وتصوراته في الفكر والقلب، والقدرة على إبطالها، لأن المؤمن وقد أصبح له سلطان من قِبَل الله و باسم المسيح أن يطرد الشيطان ذاته ويحطم مسكنه داخل جسد إنسان آخر، ليس من الصعب أن يُبطل مشورته و يطرد أفكاره وتصوراته من نفسه هو، هادماً حركاته في الضمير وناموسه الرابض في أعضاء الجسد. ولكن هذا لا يتم إلا بالروح

القدس الساكن في القلب ــ كما سبق وقلنا ــ على أن يكون الإنسان قد تدرب كيف ينقاد بإتضاع و بساطة لمشورة الروح القدس، المدعو أيضاً «روح **المشورة**».

والكتاب المقدس يفرق بين سلطان إخراج الشيطان ــ الذي أعطاه المسيح لتلاميذه ثم للمؤمنين عامة ــ الذي ظهر في أعلى صورة علنية له بإخراجه من أجساد الناس وطرده من سكناه جهاراً، و بين الصورة الأقل كما يراها بولس الرسول بالسيطرة على خداعه ومكره هكذا: هادمين وساوس الشيطان وكل كبرياء يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر لطاعة المسيح، مؤكداً أن حربنا مع الشيطان وإن كانت في الجسد ولكنها ليست بأسلحة جسدية بل بسلاح الله، أي بالروح القدس (أنظر ٢كو١٠: ٣ــ٦).

ولكن يلزمنا هنا جداً أن نكشف ما هو هدف المسيح من إعطائنا السلطان على الشيطان؟ سواء بإخراجه أو إبطال شروره ومشوراته، إنه ليس مجرد سلطان للتفوق أو السيادة لنزداد ثقة بأنفسنا أو نفرح بانتصارنا، كما أخطأ التلاميذ السبعون يوماً حينما عادوا فرحين قائلين للرب: «فرجع السبعون **بفرح** قائلين يارب **حتى الشياطين تخضع لنا باسمك**»، فردَّ عليهم المسيح محذِّراً ومصححاً: «**لكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كُتبت في السموات**» (لو١٠: ١٧، ٢٠).

واضح من هذا أن السلطان الذي أعطاه لنا المسيح باسمه على الشيطان وقوى الشر لإخضاعها هو أساساً علامة اختيار وتبنّي أننا صرنا مكتوبين مع المختارين في السماء للخلاص وليس لمجرد التفوق أو السيادة على الشيطان.

فالمسيح غلب الشيطان لنا حتى لا ننغلب له، فتُكتب أسماؤنا في السموات. أما المسيح فغلب لأنه إبن الله، وأما نحن فأعطانا أن نغلب لأننا صرنا أبناء الله فيه. فالنصرة على الشيطان هي بالدرجة الأولى علامة اختيار وتبنٍّي في المسيح و بالمسيح.

وهو أعطانا سلطاناً أن ندوس كل قوة العدو لا لنفرح ونتباهى بقوتنا، بل بالحري

لكي لا نخاف منه حتى لا ننهزم لأوهامه وأباطيله فيسقطنا من سيادتنا ونصرتنا التي لنا بالمسيح ويحرمنا من خلاصنا واختيارنا الأبدي.

أو بمعنى آخر أكثر وضوحاً واختصاراً، قد أُعطي لنا أن نهزم مملكة الشيطان ليسود ملكوت الله، وأن نُخرج الشيطان ليسكن الروح القدس، وأن ندوس كل قوة العدو لتسود قوة الروح القدس على كل حياتنا، وأن نُبطل كل حيل الشيطان وأفكاره وتصوراته لكي يصير لنا فكر المسيح وقداسته.

هذا هو عمل المسيح والروح القدس للشهادة قبالة الشيطان وكل قوة العدو في حياتنا. وهذا هو كيفية تأسيس ملكوت الله بالجهاد والعرق والدموع بالصراع المتواصل الذي لا راحة فيه.

أنظروا إلى المسيح في جثسيماني في آخر مراحل المعركة الحاسمة ضد الشيطان، فهذا المنظر المهيب والمسيح جاثٍ على ركبتيه يصلي إلى الآب بلجاجة ثلاث مرات متتالية والعرق يتصبب على الأرض بنقط أليمة كنقط الدم، هذا المنظر يصوِّر لنا كيفية مواجهة تحدي العدو في حياتنا، ومعنى الجهاد ضد قوات الظلمة: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة»، بسهر الليالي في الصلاة، ومعنى الوقوف في مواجهة المجرب بالجهاد حتى الدم في أخطر مراحل الحسم التي انتهت بالصليب، هذه الفترة القصيرة التي قضاها الرب وحده في صراعه الخفي ضد الشيطان وقواته قبل الصليب والتي كانت تساوي في عنفها بحسب تقدير المسيح حرباً يخوضها إثنا عشر جيشاً من الملائكة! «رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء» !!

والمسيح إذ يعلم مقدار المعاناة المضاعفة التي سنلاقيها نحن بعد «أنطلاقه» في مواجهة قوات الظلمة ورئيس هذا العالم بكل أشراره وشروره من أجل إسم المسيح، سبق وأكد أنه لن يتركنا يتامى في حرب مثل هذه، لن تكون متكافئة قط إذا جُزناها وحدنا «حين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم في اسمك... أما الآن فإني آتي إليك... العالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم، كما أني أنا لست من العالم...» (يو١٧).

المسيح يصوِّر هنا عمق الصراع الذي وُهب لنا أن نخوضه ضد قوات الظلمة في

العالم من أجل اسم المسيح بعد صعوده. لذلك أرسل الروح القدس المعزي «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق... **لا أترككم يتامى، إني آتي إليكم**... أنتم فيَّ وأنا فيكم... وأما المعزِّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي **فهو يعلِّمكم كل شيء و يذكِّركم بكل ما قلته لكم**» (يو١٤: ١٦ـ٢٦).

وهكذا أعطى التأمين الكامل لرجحان كفة كل المجاهدين من أجل ملكوته بإرساله الروح القدس للعزاء والتعليم ومعرفة الحق والتذكير بأقوال الرب، كعناصر قوة وجهاد وأسلحة جوهرية في حربنا الطويلة ضد روح الشر في العالم.

* * *

وهكذا ومنذ يوم الخمسين حتى الآن والروح القدس يشفع فينا،
في حربنا وجهادنا، في حزننا وآلامنا،
بأنَّات لا يُنطق بها!

□





الروح القدس يمنحنا القيامة

أغسطس ١٩٧٩



الروح القدس يمنحنا القيامة

بمناسبة عيد الخمسين ١٩٧٩

□ □ □

الروح القدس في الكنيسة منذ يوم الخمسين وحتى الآن يحضرنا كل يوم مع المسيح لندخل بكل كياننا داخل مجال المسيح ، مجال القيامة ، مجال فعل الخلاص بكل دقائقه ، ونستلهم الإنجيل بكل دقائق معناه الصحيحة لنعيش فعل المسيح وكلمته ، لأن الروح الذي أقام المسيح هو الآن معنا حاضر في الكنيسة يضيء في قلوبنا سر قيامة المسيح في كل لحظة ليقيمنا من لعنة موت الخطية .

فالإطار العام لعمل الروح القدس ينحصر في أن حلول الروح القدس يوم الخمسين أعطى للإنسان الوجه الآخر الحي والفعَّال لقيامة المسيح . فبحلول الروح القدس دخلت قوة قيامة المسيح إلى العالم لتصير فعَّالة ومجدِّدة للطبيعة البشرية . لذلك يشدد الرسول بطرس قائلاً : « مولودين ثانية لرجاء حيّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات » (١بط ١ : ٣) ، هذا يكمله القديس بولس الرسول بقوله : « إن كان الروح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم ، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم » (رو٨ : ١١) .

ولكن الروح القدس لا يعطي قوة القيامة من لعنة الموت الساكنة في الأعضاء ميكانيكياً ، بل يلزم الإعتماد الشديد والقوي على الروح القدس بالإنقياد له ، و بإلقاء كل الرجاء على النعمة « إن كنتم بالروح **تميتون** أعمال الجسد **فستحيون** » (رو٨ : ١٣) . هنا الروح القدس يميت ويحيي ، وهذه إحدى صفات الله العجيبة والمشجعة والتي تحفظ تجديد الخلقة بالروح القدس .

على أن كل من حصل على روح القيامة ، أي الموت عن العالم والحياة لله في هذا الدهر بقوة الروح القدس وفعاليته والإنقياد له بالسلوك العلني والخفي ، فإنه ينال سر القيامة العتيدة ، لأن سكنى الروح القدس الآن في الكيان الإنساني بفعل الإيمان

والشهادة والأسرار وقوة الكلمة، يعطي قدرة قيامة الجسد في الحياة الأبدية كما يتكلم جميع آباء الكنيسة في هذا الأمر، وهذا برهانه العملي: الفرح المذهل الذي يعيشه المؤمنون في هذا الدهر.

إذن فحضور الروح القدس في يوم الخمسين والآثار القوية التي صاحبت حضوره وحلوله، والتي لا تزال تعمل في الكنيسة ككل وفي المؤمنين كأفراد (المواهب)، هو في الحقيقة الوجه الآخر والدائم لقيامة المسيح، لذلك إن كانت الكنيسة تعيش بالفعل في **قيامة المسيح** (خريستوس آنستي)، فهي لأنها نالت **روح القيامة** وتعيشه وتتنفس به.

طبيعة الروح القدس وطبيعة الإنسان

تغيير وتجديد للطبيعة عن طريق الشركة:

يظل علم اللاهوت يوضح و يدقق، للتفريق الهائل بين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية. فالفارق بينهما هائل ومطلق ولا يقوى أي عقل أو منطق أن يصور مقدار الهوة التي تفصل بينهما. فالله هو «آخَر» كلي ومطلق بالنسبة للإنسان، ولا يستطيع الإنسان أن يتصوره أو يقيِّمه.

و بعد أن اتحد «الكلمة» اللوغس ــ أي كلمة الله إبن الله ــ بالطبيعة البشرية، مولوداً من الروح القدس والعذراء مريم، جمع في نفسه هذا النقيض الهائل، أي الإلهي والبشري معاً في نفسه!! دون أن يفقد الكامل المطلق ــ أي الإلهي فيه ــ شيئاً؛ ولكن زاد الناقص العاجز ــ أي البشري فيه ــ كل شيء وكل كرامة.

أقول، و بالرغم من هذا الإتحاد الإعجازي الفائق، فقد ظلت الطبيعة الإلهية بالنسبة لنا نحن كأفراد شيئاً لا يُقترب إليه لا بالفكر ولا بالحس ولا بالأثر الفعال. فواضح من حياة التلاميذ الأخصاء مع المسيح أنهم على مدى كل حياته على الأرض، و بالرغم من كل ما أتاه من معجزات، ثم في صلبه وموته وحتى بعد قيامته وظهوره، لم يدركوا لاهوته. والسبب في ذلك أن القربى والإتحاد والتصالح الذي تم بين الطبيعة

الإلهية والطبيعة البشرية فيه ظلت منحصرة في أقنومه الشخصي ، كما يحدده اللاهوت أنه « **اتحاد أقنومي** » ، أي اتحاد شخصي . وظل هذا الإتحاد بآثاره الهائلة نحو البشرية كلها ينتظر حلول الروح القدس في الأفراد المؤمنين باسمه .

لذلك شدد المسيح أنه « خير لكم أن أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي » . إذن فخير البشرية ومجدها العظيم والبعيد الأثر ، كان ينتظر قيامة الرب وصعوده بعد القيامة ، لكي يرسل الروح القدس ، ليكمل عمل الرب الخلاصي .

ثم شدّد المسيح أيضاً على تلاميذه أن لا يبرحوا من مكانهم في أورشليم مجمداً حركتهم تجميداً كلياً حتى يُلبسوا قوة من الأعالي ، وذلك ليتهيأوا للبشارة والشهادة . وذلك بأن يكونوا هم أولاً على مستوى المسيح في تكميل عمل الخلاص ـــ أي على مستوى القيامة ، أي جدة الحياة الإنسانية « الأشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً » (٢ كو٥ : ١٧) . لقد ولد الإنسان من جديد من طبيعة المسيح المقام بواسطة الروح القدس .

وبقبول الكنيسة ، يوم الخمسين ، الروح القدس ، أي بسكنى روح الله في قلب الإنسان وكيانه باتحاد صميمي سري ، اختزلت الهوة التي كانت تفصل الله عن الإنسان ، أي دخلت الطبيعة البشرية في شركة حية وفعَّالة مع الطبيعة الإلهية على أساس أن ينال الإنسان ثمار اتحاد الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية التي تمت جوهرياً وأقنومياً في المسيح ، واستعلنت بالقيامة من جهة روح القداسة ، لننالها نحن بالنعمة بصفتنا أبناءً نرث ميراث المسيح في المجد ، وبذلك تم شفاء عجز الطبيعة البشرية وقصورها وموتها ونوال قوة قيامتها وكرامة ومجد صعودها إلى السماء الذي تم لها في المسيح المقام ، ولكن بالنعمة ، كهبة ، دون أن تفقد الإنسانية بشريتها ـــ إنما مجرد اكتساب مواهب المسيح ، « أعطيتهم المجد الذي أعطيتني » « أنا فيهم وأنت فيَّ » (يو١٧ : ٢٢ ، ٢٣) .

ولكي نوضح ذلك على المستوى العملي نشير إلى كيف أن بولس الرسول يفصل بين

إنسان نال الروح القدس ودخل في شركة الطبيعة الإلهية عن إنسان لم ينل هذه الشركة ولم يصر روحياً بعد هكذا :

ــ « وأنا أيها الإخوة لم أستطع أن أكلمكم **كروحيين** (سيرة سماو ية) بل **كجسديين** (سيرة أرضية) ، كأطفال في المسيح . سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون ، بل الآن أيضاً لا تستطيعون . لأنكم بعد جسديون . **فإنه إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر**. لأنه متى قال واحد أنا لبولس وآخر أنا لأبلُّوس أفلستم جسديين ؟ » (١ كو٣ : ١-٤) ، فالروح القدس حينما يعمل في الطبيعة البشر ية يرفع الإنسان فوق كل انقسام أو تحزب أو حسد مهما كان...

نخلص من هذا ، **أن سكنى الروح القدس في الإنسان وانتماء طبيعة الإنسان بالقلب والفكر والإرادة لوصايا الرب مع الإشتراك في أسرار المسيح ، هذا يكون له ثمار حية سلوكية تشهد في حياة الإنسان** ، وهي التي تختم على مدى صحة الشركة في الروح القدس والإقتداء بالمسيح والنمو في عمل النعمة بشهادة الضمير والسلوك .

* * *

مواهب الروح القدس

أ . الموهبة الأولى : تجاه المسيح نفسه :

والإعلان الهام بل والتحذير الخطير الذي يتحدانا هو أنه بالرغم من أن جميع مواهب الروح القدس مهما تعددت ، فالروح واحد ، ولكن تبقى **موهبة « معرفة الكلمة » على أسس صحيحة من الإنجيل وبفهم صحيح وإدراك صحيح بحسب الفكر الإنجيلي واللاهوتي ، تبقى هي الأساس الأول الذي لا غنى عنه والذي عليه يتوقف عمل كل موهبة أخرى** ، و يكفي أن نتصور إنساناً يسعى لينال موهبة الخدمة أو التعليم أو النبوة أو التكلم باللسان أو الشفاء أو الوعظ ، وهو غير متأسس على معرفة الإنجيل بعهديه معرفة متقنة ، فالعثرة والتخبط والبلبلة التي قد يقع فيها كفيلة لا أن تلغي كل موهبة أخرى ، بل وتشكك في مصدرها وتهدم الكنيسة .

٦

وهكذا فقبل الإنشغال بمواهب الروح القدس يتحتم أن يكون الإنشغال أولاً بالمسيح ، بالإيمان الصحيح على أساس دراسة الكلمة وفهم معناها على أصولها الرسولية التقليدية ، ثم الدخول في اختبار فاعليتها وصدقها ، لأن كل معرفة بالمسيح بدون شهادة إنجيلية و بدون خبرة روحية تسليمية تصير مجرد علم لا يبني بل ينفخ .

ومن هنا يتضح ضرورة ، بل حتمية ، اجتماع أصحاب المواهب معاً تحت قيادة المسيح في عمل جسد واحد موحَّد داخل الكنيسة . كما يستحيل نجاح موهبة تعمل بمفردها ، لأن من الرأس الواحد تنبع كل الأعمال بانسجام نحو غاية واحدة .

هذا يدخلنا مباشرة في موضوع عمل الروح القدس الأول والأساسي بالنسبة لخلاصنا وحياتنا وفرحنا الدائم الحقيقي ، وهو علاقتنا الشخصية جميعاً بالرب على أساس كلمته الحية « إن أحبني أحد يحفظ وصاياي » (يو١٤ : ٢٣) . فإذا اتحدنا في حفظ الوصية اتحدنا في حبه !!

أي أن كل مواهب الروح القدس إذا انحصرت في الإنسان بدون علاقة حية دائمة ومعرفة وثيقة بالمسيح ، فإنها تصبح بلا قيمة بل و بلا ثمرة ، بل ولا تغني عن الدينونة ! « يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا و باسمك أخرجنا شياطين و باسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط . اذهبوا عني يا فاعلي الإثم » (متى٧ : ٢٢-٢٣) ، « هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك و يسوع المسيح الذي أرسلته » (يو١٧ : ٣) .

ب ــ الموهبة الثانية : تجاه الآخر ين :

هذا بدوره ينقلنا مرة أخرى إلى عمل الروح القدس في علاقتنا بالآخر ين ، الآخر ين من كل نوع ، الأحباء والأعداء والأهل والإخوة والزملاء والرؤساء والخدم والحكومة وقوانين الدولة ، والعقائد والأديان الأخرى .

وأخطر ما يلاقيه المنشغلون بنوال المواهب ، هو اختراع مبادىء وأفكار جديدة لهم

كـأنهـا مـن إلهـام الـروح الـقـدس ، وهـي انعكاس شخصي ذاتي لخبراتهم وإخفاقاتهم وخـسـاراتهم السابقة ، أو ربما انعكاس لطموحات ذاتية ولأمراض نفسية مختفية لم تظهر لهـم وللـمـجـتـمـع بوضوح ، فنسمع عن تصرفات غريبة عن المفهوم التقليدي المسيحي والكنسي بحسب الإنجيل .

عـلـماً بأن الروح القدس نفسه لا يعمل شيئاً من ذاته ، أي لا يمكن أن يشير بمشورة غير مـا أشـار بهـا المـسـيـح ، كما يـقـول الرب « هذا لا يتكلم من ذاته ، بل يأخذ مما لي ويخبـركـم... و يـذكّـركـم بـكل ما قلته لكم» (يو١٦ : ١٣، ١٤ و١٤ : ٢٦). وهكذا يـتـضـح أن مـشـورة الروح القدس ستظل محدودة تماماً في حدود وصايا المسيح وتعليمه فقط ، ولا جديد بالمرة .

و وصايا المسيح واضحة محددة مفهومة بكل بساطة وإعجاز...

(+) فمن جهة **من هو قريبي** : أعطى المثل (السامري الصالح ــ لو١٠ : ٢٩-٣٧) (ضد الـسـلام الإجـتـمـاعـي الـذي يـقـوم على المصالح العنصرية أو الأسرية) جاعلاً **معنى الـقـرابـة** في مفهوم إنساني رائع ينحصر في معنى البذل والرحمة دون النظر إلى أي عوامل مـعـاكـسـة مـهـما كانت ، فاليهودي الذي كان على شفا الموت أنقذه عدوه السامري بينما كهنة اليهود لم يرثوا لحاله وعبروا عليه وتركوه .

(+) ومـن جهة **الإخوة**: «فأخذ ولداً وأقامه في وسطهم ثم احتضنه وقال لهم : من قَبِل واحـداً مِنْ أولاد مثل هذا باسمي يقبلني ومن قبلني فليس يقبلني أنا بل الذي أرسلني » (مر٩ : ٣٦) ، « إذا أراد أحـد أن يـكـون أولاً فـيـكـن آخـر الـكـل وخـادماً للكل » (مـر٩ : ٣٥) ، « أنتم تـعـلمون أن الذين يُحسبون رؤساء الأمم يسودونهم وأن عظماءهم يـتسلطون عليهم . فلا يكون هكذا فيكم . بل من أراد أن يصير فيكم عظيماً يكون لكم خـادماً . ومن أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً» (مر١٠ : ٤٢-٤٤) . وبهذا يكون المسيح قد أسس قانون العلاقات التي تربط أي جماعة تجتمع باسم المسيح وتعمل بقوة الروح القدس ، فالأُخوّة المسيحية لا تقبل السيادة ، والخدمة شرف .

(+) ومـن جهة **الرؤساء** : « على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا

لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون » (متى ٢٣ : ٢ و٣) .

(+) ومن جهة **الخدم**: « أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك . فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض . لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً » (يو١٣ : ١٣ــ ١٥) .

وبهذا العمل الواحد ألغى المسيح من الكنيسة أي محاولة للتعالي الطبقي في الوظائف الكهنوتية .

+ ومن جهة **الحكومة والقوانين** : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (متى ٢٢ : ٢١) . هنا يصالح المسيح المسيرة الروحية الخالصة بواجبات السياسة ــ أي الدولة عن أمر والتزام (أعطوا) ، ثم **الإلتزام بقوانين الدولة حتى الجائر والخطأ منها** : « ماذا تظن يا سمعان . مِمَّن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية أمن بنيهم أم من الأجانب ؟ فقال له بطرس : من الأجانب . قال له يسوع : فإذاً البنون أحرار. **ولكن لئلا نعثرهم إذهب** إلى البحر والْقِ صنارة والسمكة التي تطلع أولاً خذها . ومتى فتحت فاها تجد أستاراً فخذه واعطهمْ عني وعنك » (متى ١٧ : ٢٥ــ ٢٧) . وهكذا استعبد المسيح نفسه لقانون الضرائب لغاية رائعة وكريمة وهي أن لا يُعثر أحد في ولائه لصاحب السلطان !!!

+ ومن جهة **العقائد الأخرى** : « فأجابه يوحنا قائلاً : يا معلم رأينا واحداً يخرج شياطين باسمك **وهو ليس يتبعنا ، فمنعناه لأنه ليس يتبعنا** . فقال يسوع : **لا تمنعوه** . لأن من ليس علينا فهو معنا » (مرقس ٩ : ٣٨و٤٠) . وهكذا ارتفع المسيح فوق التحزب والتبعية والتشيُّع للمبادىء والأشخاص .

أما الذين يقاومون الطريق الصحيح فقانونهم عند المسيح : « **اتركوهم** هم عميان قادة عميان » (متى ١٥ : ٤)

(+) ومـن جهة **الأديان الأخرى :** « لي خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بـتـلـك أيـضـاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد » (يو١٠ : ١٦) . « في كل أمَّة الذي يتـَّقيه و يصنع البر مقبول عند الله » (أع ١٠ : ٣٥) .

(+) ومن جهة الأعداء ومجابهة التحدي والظلم والإضطهاد :

« أحـبـوا أعـداءكـم » (متى ٥ : ٤٣) ، « إن جـاع عـدوك فـاطـعـمـه وإن عطش فـاسقه » (رو١٢ : ٢٠) « لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل اعطوا مكاناً للغضب . لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب » (رو١٢ : ١٩) .
« لا تغرب الشمس على غيظكم ولا تعطوا إبليس مكاناً » (أف ٤ : ٢٦و٢٧) .
« طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شر يرة من أجلي كاذبين . افرحوا وتهللوا !! » (متى ٥ : ١١و١٢) .

(+) مـن جـهـة **الـولائم:** « وقـال أيـضاً للذي دعاه إذا صنعت غذاءً أو عشاءً فلا تدعُ أصـدقـاءك ولا إخـوتـك ولا أقر باءك ولا الجيران الأغنياء لئلا يدعوك هم أيضاً فتكون لـك مكافأة . بل إذا صنعت ضيافة فأدعُ المساكين الجُدْع العُرج العُمي ، فيكون لك الـطـوبى إذ لـيـس لهـم حتى يـكـافـئـوك لأنـك تُـكـافـأ في قـيـامـة الأبـرار» (لوقا ١٤ : ١٢ــ ١٤) .

وبهذا يكون المسيح قد وضع أُسس العلاقات الإنسانية على المستوى الروحي للذين ير يدون أن يعيشوا بالتقوى بقيادة الروح القدس حسب الإنجيل .

جـ ــ الموهبة الثالثة : الإنفتاح على الجماعة (الكنيسة) :

فـإذا تم هـذا تـتـجلى الـكـنيسة كمجتمع مسيحي منقاد بالروح القدس يحوي كل طبقات الشعب بكل ضعفاتها وأعوازها وأمراضها . ليس كجماعة روحية عالية مصلية بـالـلـسـان مـتـحـابة بالفكر ومتكتلة تحت إسم ، بل جماعة تحوي حتماً كل المتناقضات الإنـسـانـيـة وكـل الـقـامـات ، و بـواسـطة الروح القدس تتصالح المتناقضات وتأتلف

المفارقات . فالكنيسة بأسقفها جماعة تائبين ، جسم يموت ويحيا كل يوم ، ينسى ما هو وراء ويمتد إلى قدام ، يفقد أعضاء ميتة و يقبل أعضاء حية ، يتغير عن شكله ، يتجدد بذهنه .

هكذا أسس المسيح الكنيسة على أساس الإغتسال الدائم ، وهكذا وضع الروح القدس فيها ليصنع هذا التقديس والتطهير لحساب المسيح الرأس الواحد . بل إن تأليف وحدة جسم الكنيسة من هذه المتناقضات هو البرهان الوحيد على أن قوة الروح القدس فعّالة في الكنيسة بالحب الإلهي ، وفعل دم الخلاص الذي له القوة والقدرة أن يمسح و يزيل كل وسخ الجسد والروح لكي يجعل الإثنين واحداً ، و يرفع العداوة والحاجز المتوسط بين الإنسان وأخيه الإنسان بل و بين الإنسان والله نفسه ، و يضم القريبين والبعيدين معاً في ألفة الجسد الواحد .

والقديس بولس الرسول يشرح هذا بكل اعتناء ووضوح في رسالة كورنثوس الأولى الأصحاح الثالث عشر ، حيث يقطع أن كل موهبة حتى ولو كانت هي الإيمان نفسه القادر أن ينقل الجبال أو حتى بلوغ التكلم مع الملائكة بلسانهم ، بدون الإتحاد بالقريب في حب ، والتفاعل مع المجتمع البشري في إخلاص وتصديق وصبر واحتمال وعدم تململ أو دينونة ، إنما تكون مواهب باطلة لا تفيد شيئاً إلا ضجيجاً كضجيج القرع على الصنوج ، ثم يذهب طنينها مع الرياح !!

مراجعة وفحص لكل موهبة :

أ ــ لمجد المسيح : أما الإختبار النهائي الذي يحكم على كل موهبة مهما كانت عظيمة ، وإن كانت هي تعمل حقاً من الروح القدس أو هي انفعالات مبهمة غير معروف مصدرها وغايتها ، فهي النتيجة التي تنتهي إليها هذه المواهب ، فإذا كانت وظلت واستمرت « **لمجد المسيح** » وحده ، تكون حقاً من عمل الروح القدس ، لأن معيار عمل الروح القدس قدّمه المسيح بوضوح « ذاك يمجدني » . والمسيح لا يمكن فصله عن الكنيسة كجسد كامل الأعضاء .

ب ــ خطأ الإنغلاق : أما علامة انحصار الموهبة في الذاتية الإنسانية ، فتكون

واضحة عند تكوين الحلقات الضيقة ، أي الشِلل المغلقة التي تتعصب لقائدها بصورة عمياء « هذا لبولس وهذا لأبلُّوس . ألعل بولس صُلب لأجلكم . أم باسم بولس اعتمدتم ؟ » (١ كو١ : ١٠-١٣) .

وهكذا كانت تنحصر سعادة بعض الجماعات في مجرد التأملات ، بحيث لا تقوى هذه الكنائس على الإنفتاح العام للشركة العامة ، بل ولا تقوى بالفعل على مجابهة استيعاب العلانية الكنسية . وحينئذ لا تحتمل أي نقد أو توجيه في هذا الأمر ، فكان مآلها للزوال .

و ينبغي أن لا يخفى قط على كل من أراد أن يعيش في دائرة الإيمان الصحيح بالمسيح ، أنه لا يمكن أن تحسب أية جماعة مجتمعة باسم المسيح أنها تعيش وتعمل بالروح القدس ، إلا إذا كان المسيح هو بنفسه وهو وحده قائدها ، والمسيح لا يقود أحداً قط لا فرداً ولا جماعة ولا كنيسة إلا على أساس أن يوحّدها بجسده الكلي ، أي الكنيسة كلها ، فكل اجتماع وكل صلاة لأي جماعة أو حلقة أو عقيدة أو كنيسة لا تنشىء رغبة ملحّة في الإتحاد بأعضاء المسيح ، أي بالكنيسة كلها في كل العالم ، في شوق بل في اجتهاد ، بل في حرارة ودموع بل في توسل و بذل ، بل في تذلل وانسحاق ، فإن مثل هذا الإجتماع لا يكون مُساقاً بالروح القدس بحسب الحق والإنجيل . لأن المجتمعين بهذا الشكل لا يكونون مفتوحين على قلب المسيح وفكره ، ولا يكونون بالتالي منقادين بالروح القدس « لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله » . وأولاد الله هم عائلة واحدة ، هم « أهل بيت الله » بحسب تعبير الرسول بولس . وأولاد الله بيت واحد لا ينقسمون ، لا يعيشون ولا يسعدون أفراداً وجماعات ، بل سعادتهم تتوقف على إحساسهم أنهم جسد واحد ، إنسان واحد كامل في المسيح ، عروس مزيّنة بالفضائل لعريسها الوحيد ، كنيسة مجتمعة في حضرة الله ، مستضيئة كلها بالروح القدس والمسيح فيها الكل في الكل . من هذا كان يشدد الآباء الرسوليون على أن « لا خلاص خارج الكنيسة » .

جـ خطر الإنشقاق : من هنا كان اهتمام بولس الرسول أن يقدم المؤمنين جميعهم

كعذراء عفيفة للمسيح ، كنيسة متجلية ومنيرة بالروح القدس ، بفكر واحد وقلب واحد ونفس واحدة ، حيث لا يمكن أن يتم هذا إلا بتفر يغهم من ذواتهم .

وكان اهتمام الرسول بولس شديداً بأن يلغي من الكنيسة كل تحزب وكل شقاق وكل انقسام وكل تجمعات خاصة تحت أسماء بشر ية خاصة ، مهما كانت ، حتى ولو كانت باسم بولس نفسه أوأبولُّس أو بطرس (١ كو١ : ١٠-١٣) ، منبهاً بشدة أن أي خروج من تحت قيادة المسيح نفسه لإتِّباع آراء بشر ية هو جحد للمعمودية والموت والقيامة التي قبلها المؤمنون **باسم المسيح فقط** ، الذي مات لأجل كل واحد ليجمع الكل في نفسه مبرهناً أنه ليس إسم آخر تحت السماء يمكن أن نخلص به عن طر يق مباشر أو غير مباشر .

لذلك اعتبر القديس بولس الرسول أن أي انقسام في الجماعة يعني غياب الروح القدس وهو حتماً ينشيء خصومة ، و بالتالي ينشيء نقداً ودينونة وحسداً للمتقدمين بالروح . و بالتالي يطفيء الروح القدس ، فيتوقف النور الذي عليه نسير ، وأكد ذلك يوحنا الرسول في بساطة متناهية أن المحبة تجمع المؤمنين وتمنحهم أُبوَّة الله بصفة مستمرة « الذي يحب فقد وُلد من الله » (١يو٤ : ٧) وأن انقسام القلب وفقدان المحبة من الجماعة تفرط عقدها وتعمي بصيرتها من نحو الحق فيتوقف سيرها في طر يق المسيح « لا يعلم إلى أين يمضي لأن الظلمة (فقدان الروح القدس) قد أعمت عينيه » (١يو٢ : ١١) .

د ــ الدينونة والحسد والغيرة :

والحقيقة أن أخطر ما واجهته الكنيسة على مدى تاريخها الطو يل هو الإنقسام ، ليس الناشيء فقط عن عدم الإيمان أو عدم المعرفة أو عدم الفهم ، بل والناشيء أيضاً من حلول الروح القدس وإعطاء مواهب ممتازة لكنيسة دون كنيسة ولجماعة دون جماعة ولفرد دون فرد ، وهذا لم يكن مفاجئاً للمفهوم الكنسي أو اللاهوتي ، فالرب سبق وأنذر: «ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً» (مت ١٠ : ٣٤) ، وهو سيف الكلمة الذي

يفرق من يؤمن عمن لا يؤمن؛ وكذلك قول الرسول بولس أن هناك مواهب متعددة كتعدد الأعضاء وأهميتها في الجسد والواحد لا يعطى كالآخر، بل كما قُسم لكل واحد من إيمان، فلا ينبغي أن يرتئي الإنسان فوق ما ينبغي أن يرتئي.

والقديس بولس الرسول يوبخ بشدة الذين نالوا المواهب و بدأوا يفتخرون بها على الذين لم ينالوا مثلها، قائلاً: «فهذا أيها الإخوة حوَّلته تشبيهاً إلى نفسي وإلى أبلُّوس من أجلكم لكي تتعلموا فينا أن لا تفتكروا (في الإنسان) فوق ما هو مكتوب **كي لا ينتفخ أحد على الآخر**، من أجل أحد. **لأنه من يميزك؟** وأي شيء عندك لم تأخذه (كعطية) **وإن كنت أخذت** (مواهب) **فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ** (أي كأنه ليس من الله بل صار لك بجهادك؟)» (١ كو ٤: ٦-٧).

من هذا يتضح أن الحصول على إحدى المواهب الفائقة لا يعصم الإنسان من الخطأ، بل يكون أكثر تعرّضاً لحرب الشيطان للسقوط في الكبرياء والتعالي.

ثم يعود بولس الرسول و يوبخ كذلك الذين لم يأخذوا المواهب ويهاجمون الذين أخذوا موضحاً مدى الخطورة التي ستحدث لهم إذ سيفارقهم الروح القدس نفسه، إذا كان تهجُّمهم عن غير فحص وامتحان وتدقيق شديد للتمييز بالروح بين ما هو نافع وغير نافع و بين ما هو خطأ وصواب «افرحوا كل حين. صلُّوا بلا انقطاع. اشكروا في كل شيء. لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم. **لا تطفئوا الروح. لاتحتقروا النبوات.** امتحنوا كل شيء، تمسكوا بالحسن. امتنعوا عن كل شبه شر» (١ تسالونيكي ٥: ١٦-٢٢).

ثم يحسم هذا الصراع الحادث داخل الكنيسة من جهة السعي نحو المواهب من جهة، ومن جهة أخرى مهاجمة الذين نالوا مواهب ممتازة وفائقة، ثم احتقار الذين نالوا المواهب للذين لم ينالوا، يحسم الأمر هكذا:

[جِدُّوا للمواهب الفائقة، ولكن أريكم طريقاً أفضل. وهو المحبة. لأن المحبة هي أفضل المواهب قاطبة. وهي الموهبة التي بدونها لا يمكن أن تُحسب أي

موهبة أخرى أنها موهبة](*).

وهكذا يقلب بولس الرسول كل خطط الشيطان التي يستخدمها لإنقسام الكنيسة بسبب الغيرة والحسد من المواهب الفائقة، جاعلاً المحبة، وهي أسهل وأبسط وأعم موهبة، فوق أعظم وأعلى المواهب تفوقاً وامتيازاً. وهي في متناول الجميع. □

(*) خلاصة الأصحاحات ١٢، ١٣، ١٤ من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس.



حلول الروح القدس يوم الخمسين
مـوعــد الآب

عيد الخمسين ١٩٧٣



حلول الروح القدس يوم الخمسين
مـوعــد الآب

إكمال الفداء:

إذ كنا قد تكلمنا عن الصعود الذي أكمله الرب في الأربعين، **فأكمل به الفداء الـذي بـدأه على الـصـلـيـب:** لأنـه لما انطلق في ذلك اليوم وعَبَر الحجاب الذي كان يـفـصـلـنا عن الآب، ودخل إلى ما داخل الحجاب كسابق من أجلنا، دخل ودمه على يـديـه وتـراءى أمـام الآب مـذبوحاً بالحب والطاعة **في جسم بشريته،** ارتدّ غضب الله عـن مـعـصـيـة الإنـسـان إلى الأبـد، إذ صار الإبن بذاته ذبيحة فداء عن عجز البشرية وقـصـورهـا، لـذلـك قـيـل: **«دخل يسوع كسابق من أجلنا فوجد لنا فداءً أبدياً»** (راجع عب٦: ٢٠، ٩: ١٢).

فـبالصعود والجلوس عن يمين الآب **أكمل المسيح التدبير** الذي نزل من السماء من أجله، **أكمل الفداء وضمن الخلاص لكل من يؤمن به.**

ماذا بعد الفداء:

ولـكـن الجـديـد في الأمـر، ياأحبائي، والذي يلزم جداً أن ننتبه إليه أنه، ومن بعد الفداء والخلاص، **يتبقى أن ندخل في شركة الآب، لنحيا معه بالحب كبنين!!**
لأنـه أن نموت مـع المـسيح ونقوم معه ونجلس معه في السمويات شيء؛ **ولكن أن نحيا الآن مع الآب في شركة حب البنين فهذا شيء آخر!،** هذا هو **التدبير الذي أكمله الروح القدس الذي سبق وقيل عنه أنه «موعد الآب»،** الذي تحدد له يوم في تاريخ الإنسان، وتنبأ عنه الأنبياء، وتكلم عنه المسيح، وتحقق يوم الخمسين.

عمل الإبن وعمل الآب:

فـنـحـن نـعـلـم أن **المـسـيـح أكمل لنا التدبير بالجسد:** الذي هو الموت والقيامة

والصعود، والجلوس عن يمين الآب، وأما في يوم الخمسين **فالآب أكمل التدبير بالروح القدس، لأن غاية المسيح كانت الخلاص** برفع الخطيئة، وعقوبتها، واستعادة مركز الإنسان مع الله على أساس صلح دائم، **أما غاية الآب فهي** أن نحيا معه بالحب، في شركة البنين، الذي هو عمل ما بعد الفداء والخلاص والمصالحة.

لما رفع الإبن العداوة بالجسد، انسكب حب الآب بالروح القدس:

وحيث ينتهي اختصاص الإبن بالخلاص والمصالحة، يبدأ اختصاص الآب بالحب والتبني. وفي هذا يقول الرب بغاية الوضوح: «**في ذلك اليوم** تطلبون باسمي ولست أقول لكم إني أنا أسأل الآب من أجلكم **لأن الآب نفسه يحبكم**. لأنكم أحببتموني وآمنتم أني من عند الله خرجت» (يو١٦: ٢٦، ٢٧).

أما قوله: «**الآب نفسه يحبكم**»، «في ذلك اليوم»، فهذا قد تحقق بصورة محددة يوم الخمسين، عندما أرسل الآب الروح القدس، روحه الخاص، روح الحب الأبوي المعبَّر عنه **بموعد الآب**. وهذا يشرحه بولس الرسول بقوله: «**لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا**» (رو٥: ٥).

أي أن أول صورة ينبغي أن تنطبع في أذهاننا وقلوبنا عن هذا اليوم العظيم يوم الخمسين، **هي انعطاف الآب نحونا بالحب الأبوي** الناري الذي سكبه على البشرية، **بعد أن أكمل لها الإبن كل أعواز الفداء والخلاص**، بعدما غسلها بالدم وصنع لها تطهيراً كاملاً لكل خطاياها، مصالحاً إياها مع الآب بصليبه.

هذا هو نصيبنا الفاخر في هذا اليوم المشهود، ياأحبائي، هذا هو كنز الحب الذي اغترف منه الأتقياء بالجهد في كل زمان ومكان ولم يفرغ أبداً، كنز يوم الخمسين، كنز حرارة تضطرم بالحب الأبوي تجعلنا لا نكف عن الصراخ «**ياأبّا الآب**»، لأن روح يوم الخمسين روح ناري مرسَل توًّا من عند الآب، يحمل في لهيبه حنو الآب، وانعطافه الشديد الذي ظل محتجزاً عن الإنسان آلاف السنين.

حب الآب روح ناري يلد ويجدد و يرفع من الأرض إلى السماء:

آه ياأحبائي! لو أدركتم فاعلية هذا الحب الناري ونوعيته لأن سره عميق، فقد ثبت أنه قادر على الولادة، وطبيعته ظهرت كنار إلهية قادرة أن تحول طبيعتنا، كما تحول النار التراب إلى ذهب. لأن بالحب الذي أحب الله به ابنه الوحيد المحبوب هكذا ارتضى في هذا «اليوم الإلهي» (يوم الخمسين) ــ إن جاز هذا التعبير ــ أن يحبنا بذات الحب الإلهي، و يسكب من روح قدسه علينا علناً؛ فنقلنا من عبيد إلى أبناء، ومن الأرض إلى السماء، كرامة لإبنه الذي نزل إلى ترابنا، الذي ذبح ذاته من أجلنا!...

الروح القدس وثيقة تبنّي أعظم من قَسَم:

في القديم لما أطاع ابراهيم الله وأقدم على ذبح ابنه طوعاً لصوت القدير، نال ابراهيم تعطفات الله الجزيلة وأقسم له بذاته أن يباركه ويجعله بركة؛ الآن ياأحبائي، وفي يوم الخمسين، هذا الذي به تباركت كل أيامنا، لما أكمل المسيح التدبير بالجسد وأطاع أباه حتى الموت موت الصليب، وصعد وتراءى بجسده المذبوح أمام الآب، لم يقسم الله في هذه المرة، بل صنع ما هو أعظم من القسم، إذ فاضت أحشاؤه على البشرية كلها وسكب روحه القدوس المذخر فيه كل حنان الله ولطفه وإحسانه على كل بشر، كقول يوئيل نبي العنصرة، وبهذا الروح الأبوي تباركت كل الأرض.

وماذا كانت صورة هذا الحب؟ كانت وثيقة تبنّي!!؛ لأنه كما أحب الآب القدوس إبنه، هكذا و بذات الروح أحبنا «وأرسل روح إبنه إلى قلوبنا» (غل ٤: ٦)، فكان التبنّي، الذي أصبح لنا به كل الحق أن ندعو الله «ياأبّا الآب».
الروح القدس الذي سكبه علينا الآب هو ذاته الذي يصرخ فينا شاهداً أننا أولاد الله!
هذا هو روح التبني الذي أدخلنا في شركة ميراث المسيح، أي في بنوة الله!! كما يقول بولس الرسول: «بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ **«ياأبّا الآب»**، «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا (صرنا) أولاداً فإننا ورثة أيضاً

ورثة الله، ووارثون مع المسيح!» (رو٨: ١٦، ١٧).

موعد الآب بالروح القدس مسحة بنوَّة تحمل حياة لا تزول:

وهكذا أُكمل «**موعد الآب**» بالروح القدس، وتمت عملية التبني التي طالما وعد بها الرب وطالما انتظرها التلاميذ بعد أن هيأ لها الإبن في ذاته كل ما هو لازم لها؛ كما اجتمع تلاميذه في العلية أيضاً، حسب الوصية، يترقبون الموعد بصلاة وطلبة و بنفس واحدة.

وتحقق الوعد بمسحة نارية من لدن الآب تحمل للإنسان قوة حياة لا تزول، في شركة مع الله أعمق من أن يَنطق بها لسان بشر، نعيشها الآن بملء العلانية، **قوامها وجوهرها حب أبوي هو بحد ذاته محيي، يحمل سر الولادة من فوق!!**
«المسيح يرى نسلاً تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح ومن تعب نفسه يرى و يشبع» (إش٥٣: ١٠، ١١).

فبالفرحة يسوع المسيح في ذلك اليوم وهو جالس في السماء عن يمين الآب، يرى الروح القدس يختم بختم الآب على كل تدبيره الذي أكمله بالآلام، و يرى تلاميذه وقد تبناهم الآب ككنيسة تدخل في عهدها الجديد عهد مسرة الآب، عهد الحب الأبدي الذي لن يُنزع منها إلى طول الأيام.

كان ينبغي أن يفرح المسيح بذلك لأن هذه كانت طلبته التي سبق أن قدمها إلى أبيه، بإلحاح، متوسلاً «**أن يكون فيهم الحب الذي أحببتني به**»**!** (يو١٧: ٢٦). هذه هي مسحة الآب التي سكبها، حسب طلب المسيح وإكراماً لحبه، على الكنيسة المجتمعة بنفس واحدة يوم الخمسين، والتي لازالت مجتمعة وجامعة حتى هذا اليوم تحت يد الآب، لقبول هذه المسحة عينها، مسحة الإبتهاج، مسحة الحب الأبوي بالروح القدس على مثال مسحة الإبن «المتجسد» على نهر الأردن، **عندما تقبَّل الروح النازل عليه بصوت الآب قائلاً: «هذا هو إبني الحبيب الذي به سررت»!!**

ياأحبائي، التساوي هنا بين **حب الآب لإبنه وحبه للإنسان الجديد،** الممثّل في كنيسة الرسل المجتمعة في العلية، أمر يفوق العقل! لأن الحب الذي ينسكب بالروح القدس من الآب في الإبن صار بنفس الصورة والمثال ينسكب أيضاً، و بالروح القدس، من الآب في البشرية الجديدة، على كل من يقبل الفداء والتبني في المسيح!: «ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به».

شركة حياة جوهرها حب في الآب وفي الإبن بالروح القدس:

وقد سبق وقلت إن الروح المنسكب من الآب بمسحة الحب هو في حقيقته حياة في الآب! الروح هنا يضم البشرية إلى شركة مع الآب، شركة حب وحياة أبدية معاً، لأن حب الآب هو الحياة، والحياة في شركة الآب هي منتهى الحب!...

المسيح كان يرى هذا اليوم العجيب يوم أن تحيا الكنيسة بحب الآب! فكانت ترتاح نفسه إلى مصير قطيعه الصغير؛ وهكذا كان يطمئنهم عندما خيّم عليهم ظل الصليب بأحزانه المبكرة إذ قال لهم: «**لأني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون**» (يو١٤: ١٩). أما هذه الحياة فكان قد سبق وشرح لهم مصدرها بوضوح بقوله: «**أنا حي بالآب**» (يو٦: ٥٧). وهكذا ينجلي المعنى في الآيتين معاً هكذا: «لأني أنا حي بالآب، فأنتم ستحيون معي بالآب»، هذه هي شركة الحياة مع الآب والإبن بالروح القدس، التي رآها وعاشها وفرح بها التلاميذ، وسجلها يوحنا الرسول بعد ذلك، وعلمنا أنها هي هي ذات الشركة القائمة والمعروضة علينا الآن: «فإن الحياة أُظهرت، وقد رأينا ونشهد **ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب ــ وأُظهرت لنا ــ** الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. **وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع إبنه يسوع المسيح.** ونكتب إليكم هذا **لكي يكون فرحكم كاملاً**» (١يو١: ٢ــ٤).

التلذذ بهذه الشركة يحتاج إلى إضرام مواهب الروح كالنفخ في النار:

ونحن، كرهبان، ياأحبائي، لا نستطيع أن نعبر على هذا الكلام دون أن نحس في

أعماقنا بهذه الشركة، شركة الحب والحياة مع الآب ومع الإبن بالروح القدس الذي انسكب يوم الخمسين، واستوطن الكنيسة وسكن هياكلنا بوداعة وسكينة واتضاع مذهل.

صحيح، ياأحبائي، أن روح يوم الخمسين كان محسوساً ومنظوراً كألسنة نارية، ولكن الروح لم يبرد ولم ينطفىء، فناره مخفية للقلوب التي تعرف أن تضرمه بالصلاة، وتلهبه بالإتضاع والحب. نار الروح القدس حية، تحتاج فقط لمن ينفخ فيها، هي لا يمكن أن تموت، بل تنتظر زيت النعمة لتشتعل بها المواهب وتتزكى المسحة. فطوبى لمن يجمع كل يوم ولو قطرة زيت واحدة، لأنه سيرى بعينيه كيف يشتعل الروح وتفوح رائحة المسيح الزكية. زيتنا، ياإخوة، نجمعه كما تجمع النحلة النشيطة العسل من رحيق الزهور: بالسهر، بالخدمة، بالبذل، بالمسكنة الصادقة، بالفقر الحلو، بالصوم المبهج، بالصلاة التي لا تنقطع، بتكريم كل إنسان، بالشكر على كل حال، بلسان يبارك على كل إسم. فالزهور كثيرة في بستان الرهبان، والرحيق مختبىء لا تكتشفه إلا النحلة الذكية.

أما الروح القدس فهو، بحسب طبيعته، وديع وهادىء لا يسمع أحد صوته ولم تُرى هيئته قط، إلا للذين اجتمعوا بنفس واحدة في أُلفة المحبة يطلبون موعد الآب، أو بالحري فتحوا قلوبهم وفغروا أفواههم ورفعوا عيونهم إلى فوق حيث المسيح جالس، يطالبون بحق البنين و يترجُّون وجه الآب. لهؤلاء يظهر الروح كنور يملأ البصيرة ونار تملأ القلب حتى يفيض كل لسان بتمجيد الله. الشبان يرون بالرؤيا **«نور العالم»**، والشيوخ يتحققونه بالأحلام.

الشركة مع الرسل في مواهب و بركات يوم الخمسين لم تنقطع قط من الكنيسة:

ولكن لا ننسى أبداً أيها الأحباء أن بحلول الروح يوم الخمسين، الذي لا يزال مخيماً على الكنيسة منذ ذلك اليوم، ولا يزال يملأنا حياة ونوراً وحباً، قد صار لنا به نصيب مع القديسين لا ينقطع، **لأنه روح شركة صادقة حقيقية ممتدة من الرسل**

أنفسهم منذ ذلك اليوم بلا انقطاع، حيث لا يعوزنا إلا أن نتمسك بهذا الروح حسب الوعد لأنه روح الموعد القدوس الحي على الدوام، نمسكه بقلوبنا ولا نرخيه قط، نستنشقه بأرواحنا ونتودد إليه بكل مشاعرنا حتى ندرك كمال نصيبنا فيه مع القديسين ومع المسيح نفسه، كما يقول بولس الرسول: «شاكرين **الآب الذي أهّلنا لشركة ميراث القديسين في النور** الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى **ملكوت ابن محبته**» (كو١: ١٢، ١٣).

هذا كله، ياأحبائي، هو منتهى طلب المسيح الذي قدمه للآب بإلحاح ورجاء «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي **حيث** أكون أنا» (يو١٧: ٢٤).

نفخة المسيح بعد القيامة وحلول الروح القدس يوم الخمسين:

وقد بلغني، أيها الأحباء، أن بعضاً منكم يسأل عن علاقة نفخة المسيح للروح القدس في تلاميذه بعد القيامة مباشرة وحلول الروح القدس يوم الخمسين، باعتبار أني تكلمت سابقاً عن كل منها بالنسبة للخليقة الجديدة وميلاد الإنسان الجديد(*).

وقد رجعت إلى القديس أثناسيوس في هذا الأمر فوجدته يقول هكذا:

[وإذ نفخ في وجه «**التلاميذ**» أعطاهم الروح القدس من عنده، وبهذه الكيفية سكبه الآب «**على كل بشر**» كما هو مكتوب].

(رسائل أثناسيوس عن الروح القدس ص٩٦).

و يعني بذلك أن المسيح **أعطاه للتلاميذ** والآب **أعطاه لكل بشر**، أي أن الآب أكمل عمل الإبن على نفس المستوى أو «**بهذه الكيفية**».

ورجعت أيضاً إلى القديس غريغوريوس الثيئولوغوس فوجدته يقول هكذا:

[إن التلاميذ تقبّلوا الروح القدس على ثلاث مراحل، بقدر ما استطاعوا، وفي

(*) راجع كتيب «عيد القيامة المجيد والخليقة الجديدة» ـــ صدر في أبريل ١٩٧٩.

ثـلاث مـنـاسـبـات: قبل أن يتمجد المسيح بالآلام (أي بالصليب)، و بعد أن تمجد بقيامته، و بعد صعوده أي عودته إلى السماء.

في المناسبة **الأولى** استُعلن الروح بشفاء المرضى وطرد الأرواح النجسة التي لا يمكن أن تتم بدون الروح القدس، وهكذا النفخة التي نفخها فيهم بعد القيامة **تُظهر** بوضوح أنها إلهام إلهي، وهكذا أيضاً توزيع الألسنة النارية التي نعيِّد لها اليوم.

في المناسبة الأولى استُعلن الروح بغير وضوح، وفي الثانية بوضوح أكثر، أما هذه (يوم الخمسين) ــ فبكمال أكثر إذ فيها لم يعد وجوده **بالقوة** (أو بالفعل) بل نستطيع أن نقول أنه **بجوهره** (أو بأقنومه) يشترك معنا و يسكن فينا].

(عظة على يوم الخمسين N.&P.N.F., vol. VII, p. 383.).

ومن كلام القديس غريغوريوس الثيئولوغوس نفهم أن عمل الروح القدس بنفخة المسيح بعد القيامة **كان فعلاً إلهياً**، لم يحدده القديس غريغوريوس. أما حلوله يوم الخمسين **فكان تواجداً ذاتياً**، وأيضاً لم يحدد القديس غريغوريوس نوع عمله.

ولكن يبدو لنا أن العلاقة بين نفخة المسيح للروح القدس بعد القيامة وحلول الروح القدس يوم الخمسين هي **علاقة وطيدة للغاية ومكملة بعضها لبعض. فعمل** الإبن الذي أكمله بالتجسد والفداء، ينتهي عند الخليقة الجديدة «التي **ولدها ثانية** لرجاء حي **بقيامة يسوع المسيح** من الأموات» (١بط ١: ٣) على صورته نافخاً فيها من روحه القدوس لتحيا، بصفته الإبن الخالق، وآدم الثاني الروح المحيي!! ولكن إذ يلزم تكميل هذه الخلقة بعمل الآب، أمر المسيح تلاميذه، حتى و بعد هذه النفخة، أن لا يبرحوا من مكانهم بل أن ينتظروا أيضاً «موعد الآب». أي أنه بعد أن أكمل التلاميذ **«موعد الإبن»** انتظروا حتى يكملوا **«موعد الآب»**:

+ حيث **«موعد الإبن»** هو في حقيقته شركة مع المسيح بالروح القدس، فالمسيح نفخ فيهم الروح القدس بعد القيامة، لتكون لهم شركة كاملة في موته وقيامته كخليقة جديدة، إذ يستحيل أن يحصل التلاميذ على شركة مع المسيح بدون الروح القدس.

+ وحيث «**موعد الآب**» هو أيضاً شركة مع الآب بالروح القدس بقبول التبني.

لذلك نرى أن نفخة المسيح ـ **إبن الله** ـ التي نفخها في تلاميذه بعد قيامته بالروح القدس، ثم حلول الروح القدس **من عند الآب** كمسحة يوم الخمسين، يكملان معاً عملاً واحداً في الإنسان مع أنهما فعلان سرِّيان، كل منهما قائم بذاته، **كالمعمودية والمسحة**. فكل منهما سر لفعل الروح القدس ولكنهما معاً يكملان عملاً واحداً لخلقة الإنسان الجديد بالروح القدس باسم الآب والإبن والروح القدس!!! «هو سيعمدكم بالروح القدس ونار» (مت ٣: ١١).

هذان الفعلان اللذان أكملهما كل من **الإبن** بنفخة الروح القدس بعد القيامة، **والآب** بإرسال موعده القدوس للتلاميذ في يوم الخمسين، نتقبلهما نحن الآن معاً بالمعمودية والمسحة باسم الآب والإبن والروح القدس، لقبول نفس ما قبله التلاميذ بعد القيامة وفي يوم الخمسين، أي الميلاد الجديد لخليقة جديدة، ككنيسة حية، كجسم المسيح.

لماذا ارتباط عطية يوم الخمسين بصعود المسيح؟:

ومعلوم من قول الرب أن إرسال «موعد الآب» أي الروح القدس، يوم الخمسين، حاملاً مسحة الآب بالحب والتبني في شركة حياة أبدية معه، كان رهن عودة الإبن إلى الآب، حاملاً في ذاته كمال إرساليته: أي بشرية جديدة مفدية ومكمَّلة، واضعاً إياها موضع المصالحة مع الآب بجلوسه الكريم المكرم الذي أجلسه لنا عن يمين العظمة في الأعالي.

فإذ أكمل الإبن إرساليته هكذا محقِّقاً كل مشيئة الآب من نحونا، وإذ لم يعد يتبقى أي عائق يمنعنا عن الحياة مع الآب بلا لوم، حصل لنا المسيح بالتالي على موعد الآب بتوسط جلوسه عن يمين الآب، شفيعاً إلى الأبد للبشرية المتغربة على الأرض. وفي هذا يقول بطرس الرسول في يوم الخمسين: «وإذ ارتفع **بيمين** الله وأخذ موعد الروح القدس **من الآب، سكب** هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه» (أع ٢: ٣٣).

لماذا المسيح باكورة ثم الذين للمسيح وهكذا سيحيا الجميع؟:

من قول بولس الرسول: «لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع... المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه» (١ كو١٥: ٢٢، ٢٣)، ندرك أن الشركة التي حصل عليها المسيح لنا مع الآب في جسم بشريته (بتجسده)، عندما أكملها بالجلوس عن يمين الآب، كانت هي العربون، أو الباكورة، أو النموذج الكامل، الذي تقرر في تدبير المسيح أن تقوم عليه شركة حياة البشرية كلها مع الآب والإبن بالروح القدس.

لذلك لم يتوقف المسيح عن عمله بعد ما صعد وجلس عن يمين العظمة في الأعالي، لأنه لم يكن ممكناً أن يرتاح المسيح في ذاته «**أو يكمل فرحه**»، إلا بكمال تدبيره، عندما يرى البشرية قد نالت في ذاتها شركة مع الآب، وعلاقة أبدية وحباً، وتبنِّياً، يساوي ما حصل عليه لنا في جسم بشريته! هذا كان موضع طلبة خاصة وتوسل من المسيح لدى الآب قبل الصليب هكذا: «أما الآن **فإني آتي إليك** وأتكلم بهذا **في العالم ليكون هم ,, فرحي كاملاً ،، فيهم**» (يو١٧: ١٣).

البشرية خلعت ثوب تيتُّمها يوم الخمسين وقبلت سر الآب:

لقد شعر المسيح، عند اقتراب الساعة، أن البشرية أصبحت محتاجة أشد الإحتياج إلى روح أبوة الآب، حتى لا يعيش الإنسان بعد يتيماً بإحساس من لا أب له.

واستطاع المسيح أن يملأ هذا الإحساس بالنسبة للتلاميذ، باعتباره الإبن النازل من السماء من حضن الآب حاملاً صورة الآب وحنانه، وها هو يتركهم، فكيف يعيشون بعده بدون حنان أبوة الله ورعايته؟ لذلك وعد تلاميذه أنه بمجرد صعوده سيطلب من الآب أن يرسل لهم الپاراكليت، روح التعزية، من الآب، حاملاً للبشرية كلها أحشاء تحننات الأبوة كشركة حياة تدوم إلى الأبد مع الله الآب!! لذلك قال لتلاميذه: «لن أترككم يتامى!!» (يو١٤: ١٨)...
إن روح يوم الخمسين هو حقيقة روح حنان الأبوة لعزاء الإنسان كي يعيش كإبن

في بيت الله إلى الأبد.

لقد أدخلنا الآب يوم الخمسين في شركة معه هي ــ على درجة ما ــ مما هو موجود وحاصل بينه و بين ابنه الحبيب! لدرجة أن الروح القدس أصبح عليه أن ينقل لنا حديث الآب القدوس الخاص مع إبنه، حديث الحب الإلهي الخالص، «متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل **كل ما يسمع يتكلم به** ويخبركم... يأخذ مما لي ويخبركم، كل ما للآب هو لي» (يو١٦: ١٣ــ ١٥). وهكذا أدخلنا الروح القدس في سر شركة الآب مع الإبن!

أليس هذا أيها الأحباء ما استطاع بولس الرسول أن يدركه و يشرحه قائلاً: «إن الروح يفحص كل شيء **حتى أعماق الله**»، ثم «ما لم ترعين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه، **فأعلنه الله لنا نحن بروحه**»، ثم «ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله **لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله**» (١ كو٢: ٩ــ ١٢).

جلوس المسيح عن يمين الآب هو بحد ذاته توسط دائم لتكميل ملء البشرية:

هذا هو الروح القدس الذي سكبه الآب يوم الخمسين، حسب وعده القدوس، ليعرّفنا بما لم يخطر على قلب بشر، ولينقل لنا سر الآب مع إبنه، و يلقّننا الحب الأبوي، رداً على الخضوع والطاعة التي أظهرها الإبن من نحو الآب في الصليب والآلام حتى الموت!... ثم ليهب لنا كل بركات أسرار الشركة التي بين الآب والإبن، تماماً كما استطاع الإبن بصعوده بجسم بشريتنا أن يجلسنا معه في السمويات عن يمين الآب!!!

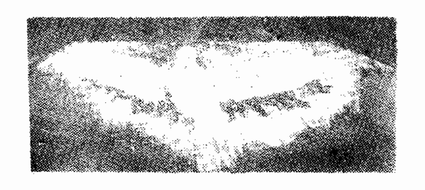
لأنه كما أجلس المسيح البشرية في ذاته عن يمين الآب مرة، بصعوده وجلوسه عن يمين الآب، هكذا توسط المسيح لدى الآب أن يرسل الروح القدس يوم الخمسين ليكمل على الدوام وحتى النهاية شركة الإنسان مع الآب على مستوى البنين.

و بولس الرسول يكشف لنا الصلة الجوهرية بين صعود المسيح وجلوسه عن يمين

الآب، وبين تكميل ملء البشرية بالروح القدس، للدخول في نفس الشركة التي أكملها المسيح في السماء إذ يقول: «صعد أيضاً فوق السموات **لكي يملأ الكل**» (أف ٤: ١٠). وإن كلمة «**لكي**» توضح أن صعود المسيح كان بداية وعلة أساسية وسبباً جوهرياً مستمراً لإكتمال ملء البشرية في الشركة مع الله!... وهذا توضحه أيضاً الآية التي سبق أن قلناها «دخل كسابق من أجلنا» (عب ٦: ٢٠).

لذلك، ياأحبائي، لم أستطع أن أكتب لكم عن الصعود دون أن أكتب لكم عن يوم الخمسين، فالصلة بينهما وثيقة وجوهرية في تدبير الخلاص الذي لا يزال المسيح يكمله لنا بتوسط جلوسه عن يمين العظمة في الأعالي!... حتى إلى الملء الكلي!

لذلك أيضاً أنبه ذهنكم إلى نصيبنا المبارك في المسيح الجالس فوق، حتى لا نكف عن التطلع إليه بشخوص القلب، بنداء الحب، لأن سيرتنا الحقيقية أيها الأحباء هي في السموات التي ننتظر منها المخلص (في ٣: ٢٠)!... وحينما نكثر التطلع إلى فوق حيث الذبيحة قائمة، تتحرك أحشاء الآب نحونا ليضرم روحه القدوس فينا، ليكمل عمله فينا حتى إلى ملء قامة بشرية المسيح الجالس في حضنه الأبوي. □



الصوم والروح القدس والخدمة

عيد العنصرة ١٩٧٩

الصوم والروح القدس والخدمة

صوم الآباء التلاميذ القديسين وهو صوم العنصرة:

ورد في الدسقولية διδασκαλία ، أي كتاب «التعليم» للإثنى عشر رسولاً (مدونات القرن الثالث) ـــ الباب ٣١:

[وبعد أن يكمّلوا عيد الخمسين، عيِّدوا أيضاً أسبوعاً آخر، لأنه واجب أن يُفرح بموهبة الله التي دفعها لنا، ومن بعد ذلك صوموا أسبوعاً آخر، لأنه حقٌ أن نفرح بالموهبة التي لله التي دفعها لنا ثم نصوم بعد الراحة،... ومن بعد الصوم نأمركم أن تصوموا كل الأربعاء التي للأسابيع وكل جمعة...].

انتهى

(مخطوطة النوموكانون ـــ المكتبة الأهلية بباريس).

ولكن يعود كتاب «قوانين» الرسل (المسمى بالتطلسات ـــ من كتب كلمندس الروماني ـــ مدونات القرن الرابع)، ويصحح مدة الصوم المحددة بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين، فيلغي أولاً أسبوع العيد والراحة بعد يوم الخمسين، ثم يمد أسبوع الصوم ويجعله أربعين يوماً هكذا:

[وإذ سمعوا صوتاً كصوت الريح العاصف وشمُّوا رائحة طيبة لم يشمُّوا مثلها في العالم، وظهرت بينهم ألسنة من نار تحل على كل واحد منهم، وذلك بعد صعود المسيح إلى السماء بعشرة أيام تتمة خمسين يوماً من بعد انبعاثه من بين الأموات وهو عيد البنديقسطي، فجعلوا يتكلمون بألسن جديدة التي (للبلاد) التي يتوجهوا إليها لدُعا أهلها إلى الإيمان وألهمهم ما ينبغي أن يفعلوه (تعليم) الناس من الصلاة والعبادة والسُنن والشرائع وشكروا الله على ما ألهمهم وعرَّفهم **فصاموا أربعين يوماً يشكرون الله على ذلك**، ثم غسل بطرس أرجل التلاميذ... ثم تفرقوا في البلدان القاصية لدعوة الناس إلى الإيمان].

ثم يعود « **كتاب مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة** » للمؤرخ والعالم « **إبن كبر** » كاهن كنيسة المعلقة (القرن الثالث عشر) ، موضحاً كيف عدَّلت الكنيسة منذ زمن سابق مدة صوم الرسل وجعلتها مفتوحة قابلة للزيادة والنقصان لتلتئم نهايتها مع عيد استشهاد الرسولين بطرس وبولس هكذا :

[**صوم الآباء القديسين التلاميذ ويُسمى «صوم العنصرة»** ، أوله يوم الإثنين الذي بعد الخمسين ، وآخره الرابع من أبيب ليلة عيد تذكار شهادة الرسولين السلِّيحَيْن بطرس وبولس ، وهو من الأصوام التي أُجريت مجرى الأربعاء والجمعة ، يُصام فيه إلى التاسعة ولا يؤكل فيه شيء من اللحوم إلا السمك . ومن الناس من يأكل اللبن والجبن والأفضل تركهما] ـ الباب ١٩ .

وهذا هو الذي استقر في البيعة القبطية الأرثوذكسية حتى اليوم . ويلاحظ أن الصوم سُمي أولاً بـ « **صوم العنصرة** » ، ثم « **صوم القديسين التلاميذ** » ، وأخيراً أُطلق عليه « **صوم الرسل** » عندما ارتبط عيده بيوم استشهاد الرسولين بطرس وبولس ، وهذا جاء متأخراً ، وليكن في علم القارىء أن التلاميذ لما صاموا أولاً بعد حلول الروح القدس لم يكن هذا الصوم مرتبطاً باستشهاد أحدٍ من التلاميذ أو الرسل ، ولكن كان مرتبطاً بوعد الرب « حينما يُرفع العريس عنهم حينئذ يصومون » ، حيث أصبح الصوم هو الواسطة الجديدة للتقابل الدائم والمستمر مع الرب المُقام « ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » ، وذلك بواسطة الروح القدس الذي أُرسل ليأخذ من المسيح ويخبرنا بكل شيء .

ليس جزافاً أن تبدأ الكنيسة صوم الرسل بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين ، ويستمر سفر الأعمال يوضح العلاقة بين حلول الروح القدس والصوم (الذي تسميه الكنيسة الأولى « صوم العنصرة ») ، وبين إرسالية التلاميذ للكرازة ، وهي علاقة صميمية « وبينما هم **يخدمون** الرب **ويصومون ، قال الروح القدس** : إفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي **دعوتهما** إليه ، **فصاموا ، وصلَّوا ووضعوا عليهما الأيادي** ثم أطلقوهما ، فهذان إذ **أُرسلا من الروح القدس** ... **ناديا بكلمة الله** »

(أع١٣: ٢-٥).

ويلاحظ القارىء جيداً كيف كانت الخدمة في الكنيسة الأولى يؤازرها باستمرار الصوم كحالة ملازمة «بينما هم يخدمون ويصومون»، وكأنه صومٌ مستمر للعنصرة أو هو استجابة حتمية لمفاعيل الروح داخل النفس والجسد، فهو صوم للفرح والتهليل بالروح للشهادة والبذل.

ثم فليلاحظ القارىء أيضاً كيف أن الروح القدس كان يعمل تلقائياً وبصورة علنية واضحة ومدرَكة من خلال «الخدمة والصوم» هكذا: «وبينما هم يخدمون الرب ويصومون **قال** الروح القدس». ومرة أخرى نود لو ينتبه القارىء **لأهمية** مركز الروح القدس كصاحب مبادرة وقيادة كاملة في أي إرسالية للخدمة بشرط أن تكون قائمة على الصوم المستمر إذ يكون الروح القدس هو القائد والموجِّه للجماعة ومعطي المشورة لدعوة الأشخاص الذين يختارهم بأسمائهم «**قال** الروح القدس **أفرزوا** لي **برنابا وشاول للعمل** الذي **دعوتها** إليه».

وأخيراً يعطي الكتاب المقدس الصفة الرسمية والإلهية لمثل هذه الخدمة والإرسالية التي تتوفر فيها هذه الشروط، أي شروط خدمة الرب، بالصوم مع الإنصياع الكلي لإرشاد الروح القدس وإطاعة توجيهه، إذ يسميها الكتاب «**فهذان إذ أُرسلا من الروح القدس**».

هذا كله يكشف لنا عن سر نجاح المناداة بكلمة الله في الكنيسة الأولى. إذ نستطيع بكل ثقة أن نعتبرها «خدمة بالروح القدس».

وإذا تأملنا أكثر في بداية العلاقة بين الصوم والروح القدس، نجد أن حلول الروح القدس يوم الخمسين سبقه الصوم والصلاة لمدة عشرة أيام، ثم تلاه بعد ذلك صوم (لمدة أسبوع بحسب الدسقولية)، صوم للإرسالية للخدمة، هذا الوضع تكرر بحذافيره بعد ذلك تماماً «وبينما هم **يخدمون ويصومون** (بعد يوم الخمسين طبعاً) قال الروح القدس (حلول آخر ناطق لحساب الخدمة): إفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي

دعوتها إليه، فصاموا وصلُّوا (للمرة الثانية بعد استعلان الروح القدس ونطقه)!!».

إذن، فالصوم أمر حتمي لاختيار الأشخاص للخدمة لنوال الروح القدس لضمان مشورته ومبادرته وتوجيهه لاختيار الشخص المناسب لنوع الخدمة، ثم يعود أيضاً الصوم ليكون ضرورة للخدمة ذاتها لضمان عمل الروح القدس ونوال مواهبه وقيادته.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن مباشرة هو لماذا الصوم ضرورة لنوال إرشاد الروح القدس لاختيار اللائقين للخدمة؟ ثم لماذا الصوم ضرورة لنوال قيادة الروح القدس للخدمة؟ أما الإجابة على هذين السؤالين فهي واضحة جداً من حياة وسلوك الرب يسوع نفسه ومن تعليمه، فهو الذي «وُلد من الروح القدس والعذراء القديسة مريم»، وهو الذي صام أربعين يوماً وأربعين ليلة بعد أن حلَّ الروح القدس عليه في نهر الأردن لمسحة الخدمة، والتي بعدها انطلق يكرز بملكوت الله. ثم هو الرب نفسه الذي أوضح أن محور الخدمة يقوم أساساً على أن مقاومة أعمال الشيطان، وإخراج أتباعه من السُكنى في نفوس المصابين، لا تتم إلا بالصلاة والصوم. وكان عجز التلاميذ عن إخراج الشيطان من المريض سببه غياب الصوم والصلاة من حياة التلاميذ «هذا الجنس لا يمكن أن يخرج إلا بالصلاة والصوم» (مر٩: ٢٩).

ومعلوم بكل وضوح أن المناداة بالكلمة لحساب ملكوت الله لخلاص الناس هو العمل الإيجابي لفكِّ الناس من أسر مملكة الشيطان وحلِّ قيودهم من عبودية الخطية، لذلك فالمناداة بالكلمة والصوم وعمل الروح القدس منهج متكامل.

وهكذا أصبح ضرورياً أن يكون واضحاً جداً **أن المناداة بالكلمة وخدمة ملكوت الله هي عمل مباشر ضد سلطان الشيطان ومملكته على كل المستويات الفكرية والسلوكية والجسدية. فالشيطان يسكن العقل ويسكن الضمير ويسكن أعضاء الجسد.** وبذلك أصبح من المستحيل على الكنيسة أو أي خادم أن يواجه الخدمة لحساب ملكوت الله بدون الروح القدس. فالروح القدس هو الغريم الوحيد الذي له السلطان المطلق لتحطيم مملكة الشيطان.

وقد رأينا كيف أن الروح القدس يستحيل أن يقود أو يعلن عن مشورته على مستوى الكنيسة أو الخادم إلا بالشروط التي سبق وأعلنها المسيح، كما يستحيل على الخادم بدون الروح القدس أن يواجه أعمال الظلمة وسلطان الشيطان وفك قيوده التي يقيد بها ضحاياه !!

و يلزم أن يكون حاضراً في الذهن دائماً توضيح الرب في الإنجيل كيف أنه كان يُخرج الشيطان بالروح القدس !! «**إن كنت أنا بأُصبع الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله**» (لو١١: ١٩). حيث اصطلاح «أُصبع الله» هو كناية عن الروح القدس وقد أوضح ذلك الرب أيضاً بعد ذلك (راجع مت١٢: ٢٨).

كذلك واضح هنا من قول الرب أن **إخراج الشياطين وهو الجزء السلبي في الصراع مع الشريساوي مجيء أو قبول ملكوت الله!**

فلما عثر اليهود في سلطان المسيح الإلهي وأنكروا عليه أنه بروح الله كان يُخرج الشياطين و يلغي عملهم وسلطانهم وحل قيودهم التي قيدوا بها ضحاياهم، إذ قالوا بخبث وعدم لياقة إنه إنما ببعلزبول ــ أي بالشيطان ــ كان يصنع هذا، إعتبرهم في الحال مجدّفين على لاهوته وعلى الروح القدس نفسه!! ففقدوا غفران خطاياهم إلى الأبد.

و يُلاحظ أنه في الأسرار الكنسية التي يتم فيها نوال الروح القدس مثل المعمودية والمسحة والإفخارستيا والكهنوت، يتحتم الصوم قبل و بعد تتميم السر. في المعمودية نصَّت قوانين الرسل على صوم المعمِّد والمعتمِد يومين طياً قبل العماد، أما بعده فبقدر ما يرتئي المعمِّد. والإفخارستيا في طقسها الأول الرسولي كانت تُجري في الغروب عند دخول المساء في نهاية يوم السبت (أي عشية الأحد)، وكانوا يأتون إلى الكنيسة صائمين اليوم كله. أما الآن فيتحتم صوم ٩ ساعات قبل التناول، على أن يبدأ الصوم بعد منتصف الليل مهما كان موعد القداس متأخراً. وفي بلاد الحبشة (مأخوذ من الطقس القبطي) لا يزالون يصومون بعد التناول ٩ ساعات أيضاً. أما في الكهنوت و بالأخص

في رسامة الأساقفة، فالصوم قبل الرسامة حتمي على الشعب والإكليروس، ليتم الإختيار حسب مشورة الروح القدس. وأما بعد الرسامة فيطول و يتنوع من إنقطاعي لمدة ٥ أيام يفطر بعدها السبت والأحد وذلك لمدة ٣ أسابيع؛ ثم إنقطاعي ثلاثة أيام يفطر في الرابع، وذلك إلى كمال السنة كلها بعد الرسامة. كل هذا ضماناً لإضرام الموهبة الثمينة التي بوضع اليد.

الروح القدس وعمله في الخدمة:

واضح من تدقيق الرب على التلاميذ أن لا يقربوا الخدمة إلا بعد أن يعتمدوا بالروح القدس لنوال قوة فائقة من الأعالي ليصيروا شهوداً للمسيح المُقام، ومنه يتضح أن الروح القدس هو العامل الأول والأساسي في الخدمة، ليس من جهة قوة الشهادة وحكمة المنطق الذي لا يعانَد فحسب، بل ومن جهة حدود الكلام نفسه ومعناه ومبناه «لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم» (مت ١٠: ٢٠)، «لأنكم تُعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به» (مت ١٠: ١٩).

إذن فالروح القدس للخادم هو قوة وفكر ونطق وحكمة خاصة بعمل هام ومحدود لحساب الشهادة للمسيح في تلقائية مذهلة «عند افتتاح فمي» (أف ٦: ٩). وكأن الكتاب المقدس يؤكد بهذا أن المسئولية الشخصية للخادم في الشهادة للمسيح تكاد تكون غير معتمدة على قدراته الشخصية مباشرة، بل و ينبغي أن تكون كذلك حتى يستطيع الروح القدس أن يعمل بكل قوة الله. ولكن بالرغم من ذلك يختفي الروح القدس تماماً ولا يظهر إلا الخادم وحده وكأنه هو الذي يتكلم و يشهد؛ «الروح القدس يشهد لي وأنتم تشهدون أيضاً» (يو ١٥: ٢٧).

لذلك و بلا جدال إن الهبة العظمى التي يتحتم أن ينالها الخادم ليؤهّل لخدمته هي تلك التي وعد بها المسيح لكل من سيرسله باسمه «كما أرسلني الآب هكذا أرسلكم أنا، ونفخ فيهم وقال لهم إقبلوا الروح القدس!» (يو ٢٠: ٢١، ٢٢).

هذا هو الروح القدس باب الخادم المفتوح على السماء بلا مانع. وطوبى للكنيسة

التي يكون لخدامها باب مفتوح على السماء لأن أبواب جحيم الأرض لن تقوى عليها!!

كيف يوصّل الروح القدس الرسالة:

إن أصعب ما واجهه المسيح هو تعريف نفسه لتلاميذه و بالتالي للعالم جاهداً بكل أقواله وتعليمه وأمثلته أن يقرِّب إلى ذهن الإنسان «**من هو الله**»، من هو الله في ذاته الخاصة، وما هو عمله الذاتي وغايته الذاتية من خلقة الإنسان وكل خلقة أخرى وكل الوجود الموجود، وقد بقيت هذه الصعوبة بعد كل هذا قائمة وشديدة. فالله آخَر كلي بالنسبة للإنسان بسبب طبيعة الله الأخرى وصفاته جميعها بالتالي.

لذلك لم يتبقَّ من وسيلة ليعرِّف بها الله نفسه للانسان إلا بعمل يعمله في الإنسان نفسه مباشرة فيكشف كشفاً غير مباشر عن ذاته المنعطفة نحو الإنسان وعن ما يراه في الإنسان وما يريده له وخاصة من جهة رفع حكم الموت عنه وتبرئته تمهيداً لقيامته ومنحه حياة أخرى أبدية غير مادية.

لقد صنع الله ذلك للإنسان بأن اتحد بجسد الإنسان اتحاداً خاصاً ذاتياً أي أنه امتلك جسد إنسان لنفسه وأخذه له خاصة، فاستطاع أن ينسب لنفسه «الله» و«الإنسان» في وحدانية وشخصية مطلقة، وأن يتكلم بسهولة وصدق وتلقائية أنه إبن الله وإبن الإنسان. وعلى هذا بدأ يكشف لهم كل ما عند الله من نحو الإنسان و يوطِّد نوعاً من الصلات والحب والمودة والأُلفة بين الله والإنسان بل و بين الإنسان الذي تبنَّاه في ذاته أمام الله أبيه.

ولكن حتى و بعد أن تجسد «**كلمة الله**» وصار إنساناً، وصالح طبيعتنا العاجزة في كماله المطلق ورفع عجزنا وقصورنا الذاتي والشخصي وحمله في شخصه وذاته الكلي القداسة والمجد ـــ أقول، حتى و بعد ذلك كله أعلن الرب أنه إذا انطلق سيرسل لنا المعزِّي حتى لا نبقى يتامى، إشارة بليغة غاية العمق أن الروح القدس سيقوم بعمل التبنِّي، أي الميلاد الروحاني الجديد من السماء لله، أي يلدنا في طبيعة جديدة على شبه المسيح.

وهكذا ينكشف لنا أن إرسال الروح القدس هو لتكميل عمل المسيح في طبيعتنا، حيث اضطلع الروح القدس بتسليم الإنسان كل الوساطة التي بين الله والإنسان والتي نالها الإبن بالتجسد، وكل المواهب التي نتجت من اتحاد الله بالانسان في شخص المسيح. فالروح القدس صار هو سر الفعل والقول الإلهي بالحياة والتقديس في صميم طبيعة الانسان المحتاجة إلى تجديد وتقويم.

الروح القدس يربط بين نظام الله الفائق في الكون الممتد نحو الكمال والجمال والمجد و بين نظام الخليقة وخاصة البشرية المتردِّية نحو الموت والعدم، المستعبَدة للمرض والقصور والحزن والألم والإذلال تحت قوانين الطبيعة الجبرية الصارمة.

الحركتان والفعلان قائمان جنباً إلى جنب: حركة التجديد لبلوغ أقصى الكمال والمجد، وحركة الضمور والتقهقر نحو العدم ـــ قائمان داخل العالم بل داخل فكر الإنسان وداخل قلب الإنسان ووجدانه وكل دائرة الخلق جميعاً.

هكذا يلزم أن ننتبه أنه يوجد الآن في العالم سرٌ خطير وكبير هو الروح القدس يدور بعجلة عملاقة، ومن شدة تفوُّق هذا السر وجبروته ودقته المتناهية، الذي يتحكم في كل همسة ولمسة في الخليقة، ونحن أيضاً جميعاً منجذبون إلى بؤرته الأقوى من كياننا بمجالات، لا نقوى على فهمها أو حصرها مع أننا نحسها كثيراً ونرهبها.

الله بالروح القدس لا يزال يتكلم في العالم كل ثانية ليكمِّل تدبيره الفائق، وعلينا أن نحس هذه الكلمة أو بالأقل ندرك هذا التدبير، إما داخلنا وإما خارجنا. فإذا سمعنا وإذا انسجمنا مع الكلمة أو التدبير نصير داخل مجال الله ونصير منفعلين بالروح القدس، فنتحرك ونتغير على طول المدى، وفق قصد الله الذي يعمل كل شيء نحو الكمال.

وسيان إن كان قبولنا وانفعالنا لكلمة الله الحية الفعَّالة بطريق إلهام مباشر أو بحسب تقليد مرسوم ومختبَر على مدى عهود الله الطويلة مع الإنسان، لأن في النهاية يتحتم أن ينطبق هذا على ذاك دون أي نشاز، فالله له كلمة واحدة منذ بدء الخليقة حتى

نهايتها. ولن يبقى في النهاية سواها في السماء والأرض، وكل من يخالفها يزول.

ومن الإختبارات الهائلة التي أخصبت فكر الإنسان وروحه على مدى التاريخ الروحي للإنسان منذ بدء الخلق، هو انفتاحه على مجال عمل كلمة الله في النظام الكوني جنباً إلى جنب مع اختبار آخر أخطر وأروع هو انفتاح وعي الإنسان وبصيرته على عمل كلمة الله داخل ضمير الإنسان وكيانه النفسي كعطاء مجاني من الله، فالله قائم داخل الإنسان وخارجه كقوة إيجابية وحكمة منسكبة ونور وحياة وفرح وسلام ورجاء وحب، إنما في مجال مستور عن قياس العقل الطبيعي الذي لا يستطيع أن يقيس النور إلا على الظلمة، والفرح إلا على الحزن، والجمال إلا على القُبح، والرجاء إلا على اليأس، والحبَّ إلا على البغضة، في حين أن مجال الله يخلو نهائياً من الظلمة واليأس والقبح والحزن والبغضة.

لذلك فإن أول انكشاف لمجال الله يحدث داخل النفس يصاحبه صدمة ذهول للعقل، لأن في هذه اللحظة يسمو الإنسان فوق كل خبراته القياسية السابقة القائمة على الخطأ والصواب و يأخذ قياساً جديداً مطلقاً للحياة له طبيعة الإيجابية المطلقة التي هي طبيعة الله!!

وهكذا و بينما الإنسان يكون مرتبكاً في خبراته الناقصة وقصوره وعوزه وخطئه وقبحه وعداوته و بكائه، يكون الله لا يزال يتكلم بروحه القدوس في الريح والروح، في الصخرة والشجرة، في الدمعة والإبتسامة، في المرض والصحة، في اليأس والرجاء، في الموت والحياة، بقوة إيجابية قاهرة تلغي كل السلبيات، ليس إلغاءً رخيصاً كما يمسح الطفل خطأه بالممحاة حتى لا يراه معلمه، بل بأن يمنح الخطأ نفسه إضافة إيجابية من طبيعته الفائقة، تجعل الإنسان يتجاوز عجزه وقبحه ليأخذ جمالاً أوفر وحكمة أغزر ونجاحاً أكثر حتى تصبح الخطيئة برّاً!

فالروح القدس أرسله المسيح ليوفر على نفسه، أي على المسيح، حياة أخرى على الأرض بالجسد تُقدَّر بآلاف السنين، كان عليه أن يقضيها في تعليم البشرية لينقلها من

الموت إلى الحياة، من الخطيئة إلى البرّ، من الظلمة إلى النور.

والذي يناسبنا جداً في هذا المقام هو التأمل كيف و بأي حال و بأي تحديد دخل الروح القدس دخولاً واقعياً ومنظوراً ومحسوساً إلى العالم يوم الخمسين بعد أن سبق وحدد المسيح ميعاد مجيئه ليكون الإنسان في انتظاره!! الأمر الذي يوضح أن عمل الروح القدس منذ بدء يوم الخمسين فصاعداً لن يكون جزءاً طبيعياً في طبيعة الكون المادي المخلوق. فالعالم معروف أنه كان يسير مسيرته الطبيعية بكل إحكام وتدبير روح الله من جهة كل ما يتعلق بمساره الطبيعي؛ ولكن دخول الروح القدس إلى العالم دخولاً مفاجئاً وجديداً يوم الخمسين و بسابق وعدٍ وتحديد، بل و بتعيين اختصاصات جديدة كل الجدة لعمل الروح القدس أثناء حلوله وإقامته داخل هيكل الإنسان، هذا أمر جديد ومذهل للعقل ويحتاج إلى تبصُّر وتعمق وفهم كثير، بل إن هذا الحدث الخطير يلزم أن يرتفع من جهتنا إلى مقابلة هذا الواقع بواقع من طرفنا. فحلول الروح القدس يتحتم أن يقابله إستعداد دائم منا لقبول الحلول، ثم إنَّ ارتضاء الروح القدس لسكنى هيكل الانسان الداخلي يتحتم أن يقابله عند الإنسان إعداد جاد لإراحة الروح داخل هيكل روحي يناسبه، واستعداد الروح القدس بالنطق بكلمة الله داخل قلب الإنسان وفكره وضميره يحتم أن يكون القلب والفكر والضمير على مستوى الإنجيل أولاً ثم والإصغاء المرهف والإستجابة السريعة والنعم والآمين.

لقد دخل الروح القدس عالم الكيان الإنساني يوم الخمسين في طبيعة نارية، ولكن أي نارٍ؟ يقول عنها يوحنا المعمدان: «أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحل سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس **ونار**» (لو٣: ١٦). أيَّ نار تصبغ وتعمِّد، أي تجدِّد، تعبيراً عن أعظم فعل تأثيري إيجابي للتطهير سيصيب الطبيعة البشرية إصابة جذرية دون أن يؤذيها أو يلغيها؟

في العلوم البشرية تأكدَ لدى الإنسان في القديم وفي الحديث، تأكد لديه بالمعرفة والخبرة ما للنار المادية من أثر ثنائي فعَّال وخطير على عالم المخلوقات، فهي إما تكون أصل كل الخير والنماء كنار الشمس، وإما تكون سبب كل الفناء والدمار كالنار التي تحرق

البيوت والمدن برمَّتها، سواء كانت في صورها المادية البسيطة الملتهبة أو في أسرارها الذرية والنووية والنيترونية الرهيبة والخفية، فقنبلة هيروشيما كان وزنها ٣٠ جراماً وخلَّفت وراءها من النار والدمار ما أذاب الصخور والجبال ودكَّها دكاً تحت المحيط.

الروح القدس أدخل عالمنا الإنساني ناراً أخرى لا تزال تحتاج منا إلى إدراك وتعمُّق بل إلى جرأة إيمان أن نمدد أرواحنا إلى بؤرتها، لندرك سر فاعليتها الجديدة التي لا يزال العالم منذ أن تلقَّاها حتى إلى هذه الساعة منفعلاً بها أشد الإنفعال أفراداً وجماعات، عاشقين ومتوحدين، خادمين ومبشِّرين ومصلِّين وباذلين، فهي تلهب الروح وتلهب الضمير والوجدان وتشعل الحب وتنير البصيرة وتكشف الحق المختفي وراء أستار ظلام، المحتجب خلف جهالات الفكر وانحطاط الحس وتداني الغرائز، هذه نار الله التي حالما تغشى طبيعة الإنسان فإنها تأخذ في القلب لمعان وجه الله كموسى في القديم وتأكل كل زغل الإنسان، ولكن في سر الأعماق، هذه النار مسكنها عالم الكيان الداخلي للانسان ولكن لهيبها يضطرم علناً وظاهراً كما حدث يوم الخمسين لتصير عنصراً أساسياً في طبيعة الإنسان الجديد، لم تدخل سراً ولم تُمنَح جزئياً بل هبطت من السماء جهاراً وتوزعت بالتساوي على كل الحاضرين المنتظرين حضورها بالإيمان والصلاة تعبيراً عن حق صار من حقوق الخليقة الجديدة كلها القابلة لروح الله والمعتمِدة لموت المسيح والشاهدة لقيامته ــ دون تفريق.

مرة أخرى، فإن معمودية النار بالروح القدس صارت هي طبيعة الكنيسة التي نُولد منها صغاراً وكباراً، نُولد ملتهبين، ونتغذى بها من داخل أسرارها فنزداد التهاباً. ثم ما هذه الطبيعة الجديدة التي لكنيسة الله؟ ليست هي أوهاماً أو أوصافاً غير معروفة أو غير مختَبرة، إنها تماماً كطبيعة النار الإلهية التي تغذي إحتراق المحبة لله منذ الدهر والتي تخلق في الكنيسة أعمدة نورانية في كل جيل، ولكنها الآن صارت إحتراقاً متواصلاً في الطبيعة الجديدة التي تضرم أشواق البذل والخدمة والشهادة، التي تفرِّخ من كل جيل أبطالاً يقتحمون أتون التجارب وأصعب المصاعب ليشهدوا بكلمة الحياة وللمسيح المُقام. هذه هي الطبيعة النارية التي للكنيسة، التي تستمد كيانها من الله، من السماء

كيوم الخمسين، والتي لا تزال تتوهج بحركات تكريسية يتبتَّل لها أعزّ وأجمل القامات والقدرات — ذبائح — في أعمار الزهور، محرقات الروح القدس التي يقدمها كل يوم باقات باقاتٍ للآب بإسم المسيح !!

ولكن لا ينبغي أن يتوه عن بالنا سر التهاب الطبيعة الإنسانية عند قبولها الروح القدس واشتعالها بسعير الحب الذي طالما أمسك بالضمير، فإنه يُشعل كل ملكات القلب والفكر بل وكل أعضاء الجسد حتى يصير الإنسان وكأنه في أتون الثلاث فتية. النار تلفُّه من كل الجهات وهو ينشد نشيد الظفر، والمسيح قائم في قلب النار وكأنه هو الذي يضرمها، وهو الذي يضمّخ بها كل أعضاء الإنسان الجديد، فيخرج الإنسان وقد انصبغ بطبيعة النار دون أن يمسه منها أذى، بل دون أن يبقى فيه أذى، فسرُّ طبيعة النار الإلهية معروف في الكتاب المقدس أنها تأكل وتختزل كل ما دخل إلى الإنسان وليس من الله، حتى يصير الله ظاهراً وكأنه الكل في الكل، وكل ما لا يتناسب مع الله في حياة الإنسان المائعة الرخوة من الداخل يشمله ذلك اللهيب حتى إلى مخاخ عظامه ونوايا أفكاره وضميره، في كل أيام جهالاته السالفة.

لذلك كم من الخسارة المريعة والمحزنة التي أصابتنا عند كل مرة نحجم فيها عن أن نلقي بذواتنا في نار أتون الروح القدس الذي أخرج جبابرة الإيمان والشهادة والحب عن جدارة. أما نار الروح القدس فقائمة لا تطفأ ولن تُطفأ في كنيسة الله منذ أن نخست الثلاثة الآلاف التائبين على يد بطرس يوم الخمسين حتى اليوم في كل سر وكل كلمة وكل قصة وكل تاريخ وكل إسم شهيد أو قديس إشتعل بالحب وباع الدنيا وحمل شعلة الإيمان وشهد وعبر محمولاً بتلك النار الأبدية محترقاً بالحب الإلهي.

ليس جزافاً يلمّح الكتاب المقدس أن في أواخر الأيام تبرد المحبة بسبب كثرة الخطيئة، «فالمحبة والنار» التي يضرمها الروح القدس لا يفترقان قط، هما وجهان لطبيعة واحدة، فإذا تجلى الروح القدس في ضمير الإنسان إشتعل الحب الإلهي بنار الله، إلى أن تضمحل الخطيئة من الأعضاء كما تأكل النار صدأ الذهب، فإذا تُركت الخطيئة والعداوة لتبيت في القلب انطفأ مصباح الله وبردت المحبة وغاب الروح

القدس واظلمَّ الطريق وتاه الإنسان عن مقصده الأول، يسير ولا يعلم إلى أين يسير...

وهكذا بدخول الروح القدس وحلول ناره المضطرمة في طبيعة الإنسان الجديد يوم الخمسين، إنكشفت المفارقة الحياتية التي كانت مخفية في هذا العالم والتي ربما لا تزال أيضاً مخفية عن أعين اللاهين عن حقهم الإلهي المبارك، فانحدروا نحو مصيرهم المحتوم. فإما حياة مضطرمة بقوى إلهية جديدة للتغيير إلى أفضل، وإما حياة في برودة الموت تسير بلا تغيير إلى الهلاك.

والمفارقة قائمة داخل كل قلب وكل فكر، كل يوم، فإما قبول تلقائي لشخص الروح القدس، وإما التزام بقبول شخص الشيطان!! إما نار من الله وحرارة لا تهدأ حتى تأكل الخطية وإما برودة ولا مبالاة تكرِّس الخطية وترتوي بها وتبني عليها. إما لهيب الحب الإلهي الذي يشعل القلب والفكر والوجدان فيذيب من كل الماضي والحاضر كل أدران الحقد والعداوة كما تذوب الثلوج في وهج الشمس، وإما عداوة تكرِّس عداوة وخصومة توثِّق خصومة و بغضة تُزكي بغضة، كطبقات من الجليد فوق القلب حتى لا يعود للقلب أية قدرة على الإحساس بنخس الروح القدس لا من الداخل ولا من الخارج مهما عصفت بالإنسان أعنف الحوادث.

لقد أوضح الرب دور الروح القدس في عملية التغيير الجوهري في طبيعة الإنسان، حينما حدد هدف مجيئه تحديداً مدهشاً ومثيراً «**جئت لألقي ناراً على الأرض**»، وكأنما المسيح ولأول وهلة لم يجيء إلا ليلقي هذه النار على أرض الإنسان.

هنا تتكشف خيوط العلاقة السرية بين مجيء المسيح (أي تجسده) و بين مجيء الروح القدس، ولكن كلمة «ألقي ناراً على الأرض» تفيد أنه يلقيها من فوق من السماء من عند الآب «وأنا إن انطلقت أرسل لكم المعزِّي روح الحق الذي من عند الآب ينبثق».

ولكن الذي يربط بين أهمية مجيء المسيح و بين أهمية مجيء الروح القدس الناري إلى درجة مثيرة و يربط ربطاً وثيقاً بينهما، بقية القول «ولا أريد إلا اضطرامها»

(لو١٢ : ٤٩) وكأنما تتركز كل إرادة الروح القدس في إضرام إرادة المسيح في قلب كل إنسان.

معنى هذا أن أثر التجسد في الطبيعة الإنسانية لا يمكن أن يتم و يبلغ غايته إلا باضطرام الروح القدس داخل هذه الطبيعة، فإن كان المسيح بالتجسد الإلهي قد فتح الطبيعة البشرية الترابية للإنسان عامة لقبول الإتحاد بالطبيعة الإلهية من خلال ذبيحته، فإنه بإرساله الروح القدس جعل هذا الإتحاد ــ المستحيل أصلاً ــ أمراً ممكناً وضرورياً، وذلك بعمليات تحوُّلية عميقة وممتدة بإيجابية مطلقة لحساب الله تفوق التصور!!

فالإنسان الذي يؤمن بالمسيح و يقبل أن ينصبغ بموته بكل معنى ليعيش بقيامته بكل ثقة و يقين، فإن الروح القدس يضطلع بتبنيه لله بتحولات جذرية في صميم طبيعته البشرية بعمليات خطيرة يحس فيها الإنسان ظواهرها فقط، كنار تتأجج في أحشائه وتأكل بقوة وبجبروت طبقات وطبقات من رواسب ميراث البشرية الميت وأخطاء الأعمار المختلفة التي تعيش في مكونات صفاتنا الموروثة مع كل أخطاء الشعور والإحساس والأفكار والأعمال والوجدان، فكل مفاعيل الروح القدس النارية لا تخرج عن كونها ظواهر نحسها لأفعال سرية عميقة مطهِّرة ومحوِّلة لطبيعة الإنسان، لا ندرك كنهها على وجه الإطلاق، لأنها تفوق كل قياسات المعرفة، ولكن دخولنا فيها يعطينا ما يسمى بيقين الرجاء بغير المنظور.

هذا التغيير الجذري والجوهري الحادث بقوة النار الإلهية في صفات هذه الطبيعة البشرية الميتة لتغيير إمكانياتها وقدراتها ومواهبها، بل وشكلها الحقيقي الجوهري، أمر سيظل مخفياً علينا الآن حتى يُستعلن المسيح. يؤكد لنا يوحنا الرسول بشيء من الحسرة ولكن بكثير من الرضى والرضوخ «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد (لم يُستعلن بعد) ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أُظهر (المسيح) **نكون مثله لأننا سنراه كما هو**. وكل من عنده **هذا الرجاء** به يطهِّر نفسه كما هو طاهر» (١يو٣: ٢ــ٣).

ولكن الذي نريد أن نعلنه بشيء من الحذر و بكثير من الفرح لكل من يحب

المسيح ويجري وراء الروح القدس لمجد الآب، أن قوة نار الروح القدس التي ألقاها المسيح على أرض الإنسان يوم الخمسين ونشبت في طبيعة صيادي السمك وحوّلتهم إلى كنيسة رسل وأنبياء ومبشرين أطهار قديسين بلا عيب ولا لوم، لم تنحصر قط هذه النار فيهم ولا في الأجيال التي أتت من بعدهم، فهي نار من أهم صفاتها الإلهية أنها لا تُطفأ ولا تُقيَّد. وهنا قول الرب: «جئت لألقي ناراً **على الأرض**»، يوضح مدى عمومية هذه النار، فهي ليست منحصرة على أرض الموعد القديم، أرض الأسباط الذين أسخطوا الله، ولا أرض إسرائيل المهجورة، ولا أرض اليهودية المدوسة، ولا السامرة المحتقَرة المنبوذة ولا أورشليم مدينة الملك العظيم الذي هجرها إلى الأبد، بل أرض كل أقطار العالم بلا تفريق ولا تمييز «**جئت لألقي** ناراً على **الأرض**».

فكأني بطبيعة الروح القدس النارية التي أرسلها الرب من السماء يوم الخمسين قد لفَّت المسكونة كلها، ولكنها لأنها ليست مادية ولا من المادة تتكون ولا بالمادة تشتعل أو تُطفأ أو تزيد أو تنقص لأنها من طبيعة الله هي، لذلك لم يُؤهَّل ليحملها إلى أقطار العالم إلا الإنسان الذي آمن بالوعد، وقبِل مرسلها، فاشتعل بها، فأنارت أمامه طريق البشارة حتى إلى أقصى أقطار الأرض وأنارت طريق الحياة والخلود عبر قارات الدنيا ومحيطاتها، وهي لا تزال مذخورة في قلوب تحترق بها حباً وإخلاصاً وأمانة و بذلاً وموتاً بل قيامة وحياة إلى نهاية الدهر.

وهكذا دخل عالم المادة الذي من أخص خصائصه الموت والفناء، طبيعةٌ جديدة من الله في شبه نار من السماء لا تفنى، فهي لا تمت للمادة بصلة. واحتوت الكنيسة هذه النار في صدرها تضرمها بالصلاة والصوم لتسليمها بكل قوتها وخصائصها، التي لها القدرة أن تحوِّل الموت ذاته إلى حياة والحياة إلى نور. وأنهار العالم الكثيرة بل ومحيطات العالم بأهوالها والموت المُنْبثّ فيها بكل أحقاده وسمومه غير قادرة أن تطفئها، بل إن هي حلّت في المياه تجلّيها وتجعلها مياهاً حية محيية، كل من يُدفن فيها يقوم حياً بل يُولد منها جديداً من طبيعتها، يُصبغ بصبغة بني الملكوت و يُختم على الجبهة، ولا يعود يُحسب كابن للتراب أو إبن للموت والجحيم، بل إبناً للقيامة، وتسري فيه قيامة الحياة من الله.

كان روح الله قديماً في بدء التكوين يرف على وجه المياه، ليعطيها رعشة الحياة لتقوم كل الخليقة معاً مُركَّبةً ومتآلفةً يكمِّل الواحد منها الآخر، كتدبير الخالق، بقوانين تضبطها من العدم وتحجز بينها و بين الفناء المحتوم وتعلن برتابتها عن الحكمة التي تضبطها. أما في يوم الخمسين فقد انسكب الروح القدس من السماء كلهيب نار على هيئة ألسنة، لم ينسكب على المياه، فخليقة المياه كمُلت، ولا على الأرض الجرداء، فخليقة الأرض والسماء كملت، بل انسكب على رؤوس جماعة وقفت تصلي عشرة أيام تنتظر الوعد، بصوم وتوسل وقلب واحد غير منقسم، جماعة من الرسل والتلاميذ والعذراء بينهم مع نسوة تقيات عيِّنة من البشرية إرتأت أن تنفصل عن الخطاة لتلتحم بالمسيح المُقام، ليكون لها سيرة في السماء مع المسيح الذي صعد أمام أعينهم في نور السحاب مؤكداً أنه ذاهب ليعد لهم هناك مكان إقامة ليبقوا معه كل حين، فانسكبت ألسنة لهيب نار الروح القدس عليهم وسكنت فيهم، كبدء لتكوين جديد.

لقد خُلق الإنسان مرة أخرى في ذلك اليوم، والتحمت عناصر تكوينه بالروح والنار، فصار وليد السماء، إبناً لله، من طبيعة لا تأكلها الخطيئة بعد، بل من طبيعة نارية آكلة تسري في كيان الإنسان حتى أعماق أعماقه، تصفِّيه وتنقِّيه حتى لا يبقى فيه إلا ما يتوافق مع صورة الله الأصيلة بشكل المسيح حتى إلى ملء قامة الروح.

يوم الخمسين يوم ميلاد الكنيسة من السماء، قد تمَّ وصار وتحقق القول المبارك. لقد ألقى المسيح النار الإلهية على الأرض فاحتوتها الكنيسة في صدرها ولا تزال تضطرم في داخلها بسرٍّ لم يدركه العالم حتى اليوم، ولكن الذين فيهم الروح يدركون السر الأزلي بشركة الجسد. وظلت الكنيسة تسلمها كنار غير منظورة في أسرارها المقدسة المهيبة الملتهبة والمنيرة سراً مذخوراً في وعاء الإنجيل والكلمة ينطلق من أحشاء الكنيسة كلما اجتمعت للصلاة، تبثه لكل أولادها في اللقمة التي هي هي جمرة الروح القدس عينها التي سبق الشاروبيم ومسَّ بها ــ فقط ــ شفتي عظيم الأنبياء إشعياء، فصار طاهراً في عين الله مؤهلاً للنطق بالكلمة. أما الكنيسة فلا ترتاح أبداً حتى تستودع هذه الجمرات داخل أحشاء أولادها لتسري النار في كل كيان الإنسان وأعضائه وليس شفتيه فقط،

لا ليـؤهل فقط لنطق الكلمة عن صحة وطهارة، بل ليصير أيضاً مسكناً للروح وهيكلاً مقدساً وعضواً في جسد المسيح.

فـنـار الـروح الـقـدس يوم الخمسين التي هبطت وسط ريح سمائي عاصف ملفت للنـظر، هي عنصر خلقة اليوم الثامن الأبدي المتفجرة بطاقات ومواهب لم يعرفها العالم سـابـقـاً قـط، التي أشـرقـت في الـسـاعـة الثالثة من النهار لتنقل الطبيعة البشرية نقلتها الأخـيرة ولتضيء عالم الإنسان الجديد في طريقه السري نحو السماء، نار، كنار الله التي ظهر فيها الله على جبل حوريب الذي كاد يحترق تحت رجليّ الرب لما أعطى الله موسى الـنـامـوس والـكـلـمـة الـمكتوبة بأصبع الله، ولولا قليل ولولا أن سبق الشعب وتقدس ورحّـض جـسده وامتنع عن نسائه قبل ذلك بثلاثة أيام بأمر الرب وتحذيره، لكانت نار حـوريـب أفـنـتهم، لأن وحـيد الجنس المصالح بين الطبائع لم يكن بعد قد جمّع ووحّد بين الـنـار والـقـش وصـالـح الـحـمـل مع الذئب والحياة مع الموت!! ورفع كل حواجز الـعداوة التي عطّلت عمل إضطرام أحشاء رحمة الله ولطفه وحنانه وحبه من نحو الإنسان «صورته المحبوبة الممزقة».

ولـكن اليوم نزل الروح القدس بطبيعة فعّالة مصالِحة، بكل مواهب المسيح نفسه، ولـكـن كما بـنـار تـضطرم بالحب الإلهي، ليصنع من الخليقة التي كانت ليست محبوبة فصارت محبوبة متبنّاه، رعية خاصة وأعضاء أهل في بيت الله.

ولا يـزال كـل يـوم يربط الروح القدس برُبُط من نار لا تقوى على حلّها قوة ما ولا خـلـيـقـة مـا في الأرض كلها أو في السماء، يربط الأعضاء معاً بأُزر ليرتفق العضو على العضو بحنان ورفق الروح القدس ليعمل المؤمنون كجسد واحد، أحب المسيح أن يكون هـو نـفـسـه رأسـه الـمـتـكـلم عنه أمام الله ليضمن له التقديس والشفاعة كل حين. لقد أحرقت نار الروح القدس يوم الخمسين القلب اليهودي المربوط بتخوم إسرائيل واليهودية وأورشـليم وجـعـلـتـه قـلـبـاً لـكـل الـشعوب، وفكّت النار عقال اللسان المحبوس في لغة الـعبرانيين، وأنطقته نطقاً وقراءة بكل لسان لكل أمة على وجه الأرض، وهكذا أخرج الروح الـقـدس الـتـوراه مـن سجن الرقوق المقروءة بلسان واحد عبري إلى إنجيل بشارة

بالروح لا بالحرف، بكل لسان، ليعطي كل إنسان جديد فكر المسيح نفسه بشهادة منطوقة بالروح القدس، فتسري الكلمة من قلب إلى قلب كلهيب من نار لا يُطفأ!!

الروح القدس شخص (أقنوم):

حينما تأملنا في الروح القدس كنار أدركنا طبيعته الملتهبة وعملها المباشر في طبيعتنا الترابية الميتة الرخوة التي رزحت تحت عوامل الفناء الذي صار كميراث يسري في خلايانا، وكيف تستطيع النار أن تصبغ طبيعة الإنسان لتمدها بمقومات جديدة لخليقة جديدة تؤهل للإنتقال من الموت والفساد إلى القداسة والخلود.

ولكن الروح القدس، وإن كان أشد ما نحسه منه هو ناره التي تغشى قلوبنا وضمائرنا وأفكارنا وسلوكنا، فنحس وكأننا صرنا ناراً لا نستطيع أن ننحصر حتى تكمّل عملها فينا حسب وعد المسيح. غير أن الروح القدس هو قبل كل شيء شخص محب يتودد إلينا في تواضع مذهل، وكأنه يحتاج إلى توبتنا وتغيُّر حياتنا، يتحادث إلينا في بادىء تعرفنا عليه كصوتٍ حفيفٍ لا يستطيع المبتدىء أن يتحقق من أنه هو هو الروح القدس نفسه، لأنه كما يقول الكتاب «**لا يتكلم من ذاته**» (يو١٦: ١٣)، فإذا كان شخص ما يتكلم إلينا ولكنه لا يتكلم من ذاته يبقى هو كأنه مجهول ولا يظهر إلا المسيح الذي يأخذ منه الروح القدس ويخبرنا، بمعنى أن الروح القدس لا يأمرنا أوامر ذاتية من نفسه لم يعملها أو يتكلم بها المسيح، بل هو يعلِّم بما علَّم به المسيح ثم يذكِّر بكل ما قاله المسيح، ثم يعرِّفنا بكل الحق فيما صنع المسيح من أجل خلاصنا، وفي كل هذا يأخذ وظيفة المعزِّي غير المنظور الذي يجالسنا سراً ليتحدث إلينا بكلام يسوع، فلا نبقى أيتاماً كأن المسيح تركنا.

وبهذا فإن بقاء الروح القدس معنا هو ضمان أكيد ودائم لبقاء المسيح معنا كل الأيام إلى الإنقضاء. أي أن الروح القدس يُدخلنا سراً في حضرة المسيح لنسمع كل يوم كلمة من فمه عن طريق الروح القدس الذي يترجم لنا معنى ومغزى وتفسير كل ما يحدث لنا وضدنا من العالم الباغض لنا ــ كقول المسيح: «إن كان العالم قد أبغضني

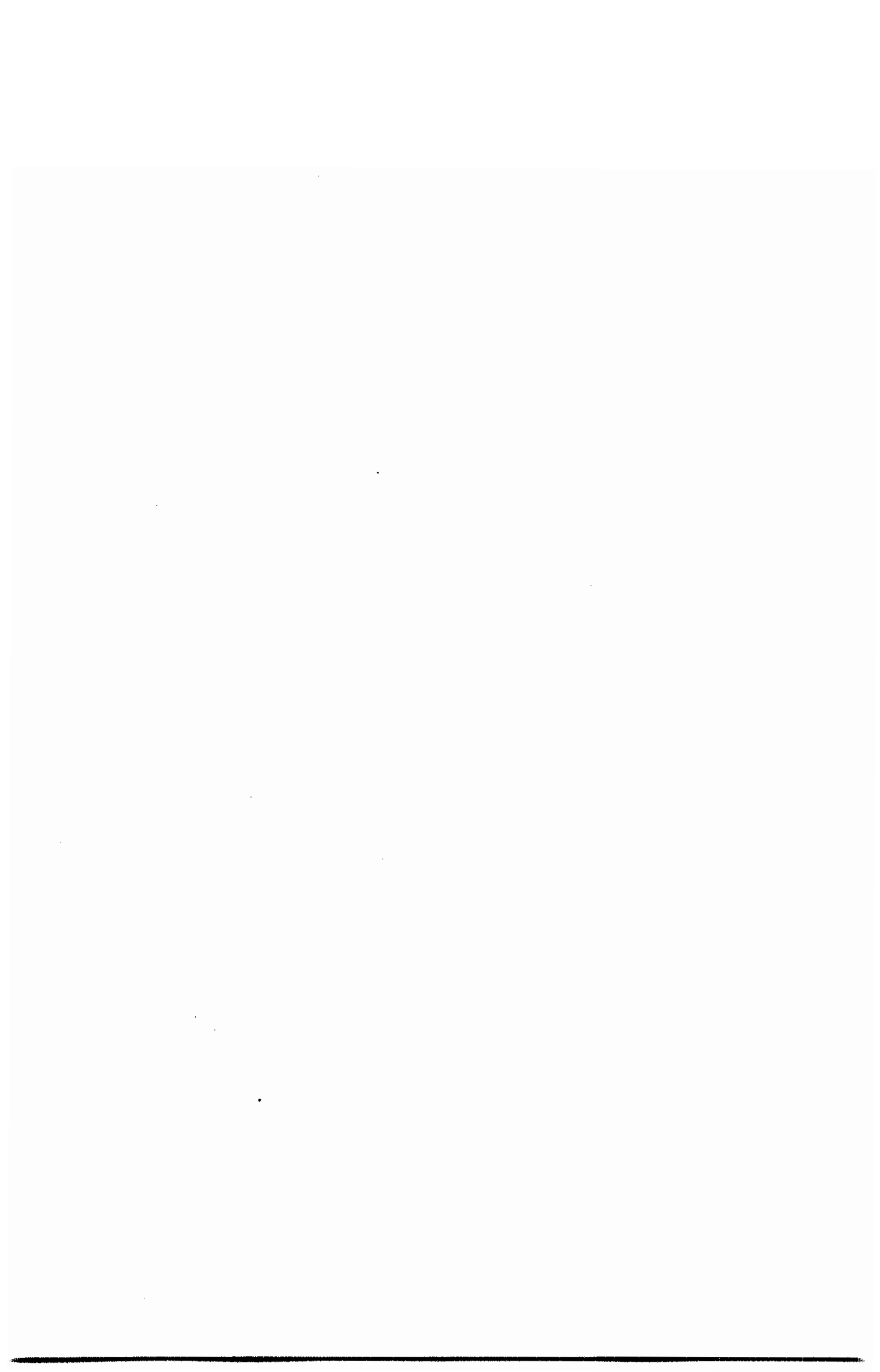
فسيبغضكم» ـ ومن الأشرار الذين يرسلهم العدو لمضايقة حياتنا، حتى نتوه عن هدف خلاصنا، بل و يفسر لنا أسباب ما يجري فينا وحولنا من أمور يختلقها الشيطان ليبدد إيماننا و يشكّكنا في إيماننا الذي آمنا به لخلاصنا حتى يغرر بنا بعد ذلك لنتحول إلى أعوان مسالمين للعالم والشيطان.

إذن، فشخص الروح القدس ولو أنه غير متجسد، و بالتالي غير محدود بحسب قدراتنا الفكرية، إلا أنه أُعطي أن يظهر لنا بالسر في أعماق قلوبنا ونحسه وندركه بالروح كشخص المسيح، لأنه ينقل لنا صورة كاملة للمسيح غاية الكمال، غير أنه يضيف عليها نفسه فتبدو صورة المسيح فائقة اللطف والوداعة والحب والتودد قريبة غاية القرب للفكر والضمير، وكأننا كدنا نمسك المسيح ونحبسه في قلوبنا، مع أن الذي نمسكه ونحبسه هو الروح القدس!...

ولكن كون الروح القدس يكون «مخلياً ذاته» Kenosis بهذا الوصف الذي قدّمه المسيح «لا يتكلم من ذاته بل كل ما يسمع يخبركم به لأنه يأخذ مما لي ويخبركم، ذاك يمجدني، يذكّركم بكل ما قلته لكم...»، هذا الإخلاء المذهل الذي يذكّرنا بإخلاء المسيح لذاته من مجده الإلهي، لكي يستطيع أن يتنازل إلينا و يلبس جسد بشريتنا ويموت بنا في سرٍّ مذهل لنقوم به، و يقوم بنا لنصعد معه إلى السماء، و يصعد بنا إلى السماء ليجلس بنا عن يمين العظمة ـ هكذا الروح القدس يخلي ذاته حتى يستطيع أن يحل فينا بعد أن نصطبغ بطبيعته وتتصالح عناصر الطبيعة البشرية الميتة فينا بعناصر الحياة والخلود في طبيعته النارية.

فالروح القدس بسبب إخلائه لذاته لا يراه العالم ولا يعرفه، ولكن الذين قبلوه يعرفونه جيداً حينما يكون ماكثاً فيهم، غير أنه يظل دائماً عاملاً بالإنسان وليس بنفسه وكأنه غير موجود، مع أن وجوده أكيد، ومتكلم فينا، وناطق ومصلٍّ وشاهد لأرواحنا بكل يقين.

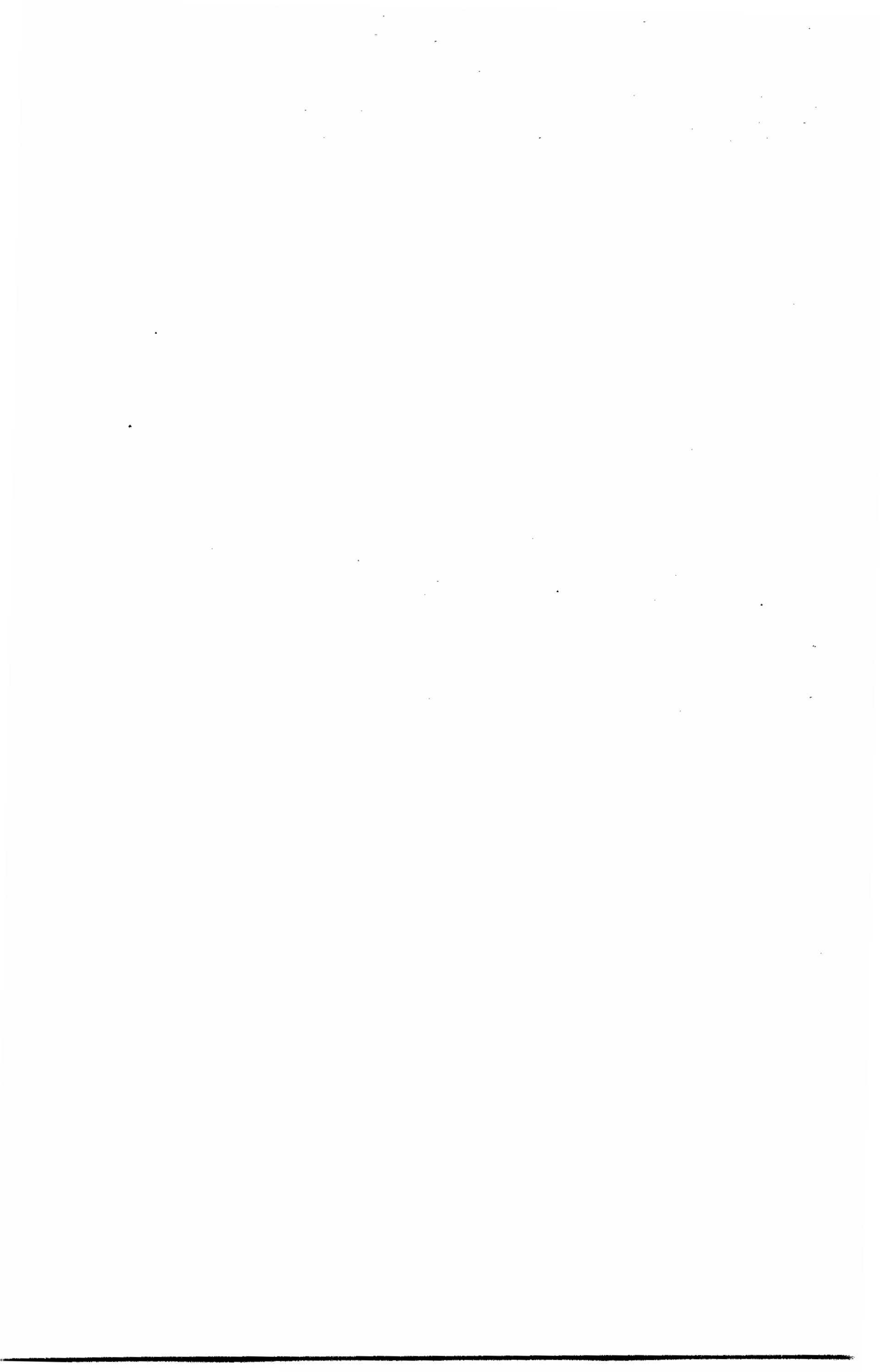
عجيب هذا الأقنوم الثالث. □



المواهب الكنسية

أو الروح القدس في حياة الكنيسة

عيد العنصرة ــ يونية ١٩٦٩



المحتويات



مقــدمة

الروح القدس بالنسبة للكنيسة هو روحها المحيي باعتبار الكنيسة جسد المسيح. ولذلك، فنجاح الكنيسة ونشاطها يتوقفان على مقدار توافقها مع الروح القدس بصورة أساسية ومطلقة. فإن كان هناك تمجيد لله داخل الكنيسة، وإن كان هناك حرارة في العبادة، وحلاوة في التسبيح، وشجاعة للشهادة، ونصرة فوق المظالم والمصاعب، فهذا كله يعتمد بالدرجة الأولى على مقدار انسجام الكنيسة مع الروح القدس.

ولكن انسجام الخدمة داخل الكنيسة وتوافقها مع الروح القدس ليس هو مجرد شعور أو مجرد افتراض ليس له دلالة، أو هو مجرد عظات ومحاضرات؛ بل هو في الحقيقة عمل خطير للغاية، كانبثاق النور ينتشر و يؤثر و يضبط ويمتد إلى مالانهاية.

فانسجام الكنيسة مع الروح القدس يشبه اقتراب كتلة حديد عادية من مجال مغناطيس قوي، فبمجرد دخولها تحت تأثيره تصير جزءاً منه منسجمة معه وتصبح لها نفس صفاته.

ولعل من أروع التعبيرات التي جاءت في الكتاب المقدس عن كيفية انسجام الكنيسة مع الروح القدس ودلالة ذلك الإنسجام أو نتائجه، ما قاله بولس الرسول مُشبِّهاً نفسه بكنيسة حُبلى بجنين لم يتشكل بعد، و بالخدمة والصلاة المتواترة و بفعل روحي سرائري يبدأ هذا الجنين يتغذى و يتشكل حتى يأخذ صورة أمه أي الكنيسة، أي جسد المسيح: «ياأولادي الذين أتمخض بكم أيضاً (من جديد أو مرة أخرى) إلى أن يتصور المسيح فيكم» (غل ٤ : ١٩).

هذا معناه أن المؤمنين في الكنيسة يتشكلون قليلاً قليلاً بواسطة الخدمة المنسجمة مع الروح القدس حتى يصير لهم شكل المسيح.

فصفات المسيح السرية تصير ــ بواسطة الخدمة الناجحة ــ منظورة في المؤمنين وفعَّالة.

هنا عمل المسيح في الكنيسة شيء، وعمل الروح القدس شيء آخر.

فالمسيح قائم فينا وفي الكنيسة إنما بصورة سرية غير منظورة وغير مُعلنة، كالجسد السري الذي نأكله على المذبح دون أن يكون له أي مظهر جسدي محقق. أما الروح القدس فيكون عمله فينا هو إعلان المسيح والشهادة له بكافة الطرق المنظورة وغير المنظورة. لذلك فبمجرد أن يبدأ الروح القدس عمله فينا، حينئذ يبدأ ينكشف المسيح المستتر فينا؛ وهذا ما أعلنه المسيح عن طبيعة الروح: «ذاك يمجدني لأنه يأخذ مِمَّا لي ويخبركم (يعلنه فيكم ولكم)» (يو١٦: ١٤).

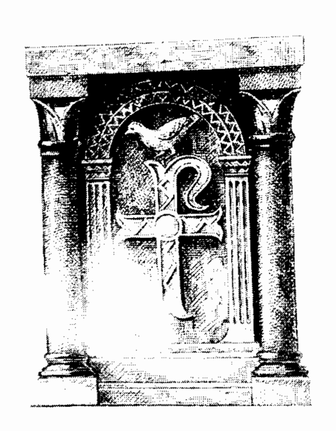
ويلاحظ هنا أن المسيح بهذا الكلام يكشف لنا عن ناحية من نواحي طبيعته الخاصة المتضعة العجيبة في أنه لا يمجد نفسه قط، فبالرغم من أنه يكون قائماً معنا وفينا بل ومتحداً بنا، إلا أن وجوده يظل مستتراً إلى أن تنفتح حياتنا على الروح القدس بالعبادة الحارة والصلاة، وحينئذ يبدأ الروح القدس يعلن عن المسيح الساكن فينا ويمجده بأن يُظهر صفاته لنا أولاً ثم فينا ثانياً!!

وهكذا أصبحت الكنيسة مؤتمنة على إعلان صفات المسيح سواء في رعاتها أو مؤمنيها بالصفات الطيبة أو المواهب، وبذلك يصبح عمل الكنيسة تمجيداً متواصلاً لشخص الرب يسوع بواسطة الروح القدس. أما إذا عجز الروح القدس عن إعلان المسيح الذي فينا والذي اتحدنا به بواسطة المعمودية والأسرار ووسائط النعمة الأخرى المنظورة وغير المنظورة، فهذا يكون معناه أننا أصبحنا غير أمناء على شخص الرب وغير أكفاء أن نكون شهوداً له، بل وغير متصالحين لا مع المسيح ولا مع الروح القدس نفسه! «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له» (رو٨: ٩).

وهكذا أصبح قانون الحياة مع المسيح وخدمته والشهادة له يتوقفان بصورة أساسية على مقدار قبولنا لشخص الروح القدس وانسجامنا مع مشيئته، فيكون أنه بقدر ما نقبل الروح القدس فينا ونستجيب لمشيئته بقدر ما ننطلق في الحال نشهد للمسيح ونحبه ونعلن صفاته للعالم!

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى سر اتضاع الثالوث كله، فالآب يقدم الإبن ليشهد الإبن

للآب ويمجده. والإبن يقدم الروح القدس ليشهد الروح للإبن ويمجده، والروح القدس لا يشهد لنفسه ولا يمجد نفسه بل يكتفي بأن يشهد للإبن ويمجده!! ولكن بمجرد أن تُعلَن طاعة المسيح فينا بالصفات الطيبة والمواهب، ينكشف الآب و يتكشف الروح القدس. وهكذا يتحول اتضاع الثالوث المتناهي إلى مجد فائق. لذلك أصبح الإتضاع بالنسبة للكنيسة والمؤمنين هو السر الأعظم الذي يجد فيه الروح القدس مدخلاً لإعلان الثالوث الكلي الكرامة، والنافذة التي يسكب من خلالها على الكنيسة كافة المواهب التي تشهد لمجد الله.



المواهب Χαρίσματα

حينما أوصى الرب تلاميذه أن لا يبرحوا من أورشليم حتى يُلبَسوا قوة من الأعالي (لو٢٤: ٤٩، أع١: ٤)، كان هذا بمثابة إشارة واضحة إلى ضرورة المواهب للكنيسة، بصورة حتمية، كقوة تختص بالشهادة للمسيح والدعوة إلى الملكوت.

حينما كان المسيح مع تلاميذه كان يمنحهم قوة للخدمة والشهادة، وكان يدبّر حياتهم بنفسه؛ ولكن لما تحتم أن يصعد إلى السماء أوصاهم أن لا يتحركوا من أورشليم إلى أن يرسل لهم «معزياً» آخر يمنحهم هذه القوة ويحل محله في التدبير.

من هذا يتضح ضمناً أن الكنيسة يستحيل عليها الشهادة للمسيح أو تدبير أمورها إلا بحضور الروح القدس وعمل قوته، لذلك يقال أن الحكم في الكنيسة ثيئوقراطي «أي إلهي»؛ فالله هو الذي يدبرها وليس إنسان...

من وقت صعود المسيح إلى وقت حلول الروح القدس، كانت الكنيسة بدون مدبر، لذلك تجمَّد موقف التلاميذ بصورة قاطعة، كأمر إلهي.

لمدة عشرة أيام ظل التلاميذ في انتظار حلول الروح القدس، حتى ينالوا قدرة على الحركة.

بهذا يظهر يوم الخمسين كبداية فعلية لحياة الكنيسة، الذي فيه نالت الكنيسة قوة وإذناً من الله بالحركة؛ هذه الحركة التي غطَّت كل الأرض ولم تكُف إلى الآن، ولن تكف، حتى يأتي المسيح...

وبهذا أيضاً يظهر الروح القدس في الكنيسة كمصدر للحركة، والكلام والشهادة والتعليم والدفاع والإستشهاد.

ولكن يلزم هنا أن ننبِّه إلى أن الروح القدس لا يعمل كمتسلِّط فوق إرادة الإنسان، بل كواهب قوة جديدة للإرادة، يجعلها تعمل الصلاح بحريتها؛ الأمر الذي

كان مستحيلاً قبلاً أن يعمله الإنسان من ذاته وحده، «وحيث روح الرب هناك حرية» (٢كو٣:١٧).

في يوم الخمسين ظهر الروح القدس في الطبيعة البشرية كمُحوِّل عميق وهائل، لا يمكن أن تحده أعظم الألفاظ التي تُستخدم في التدليل على التحولات الطبيعية الأخرى، فهو أكثر من تغيير وأعمق من تحول وأفضل من تجديد؛ هو بلغة المسيح نفسه، ولادة جديدة ثانية (يو٣:٥)، أو بلغة الكتاب خلقة جديدة (٢كو٥:١٧) يدخل فيها الروح القدس كعامل صميمي.

هنا الحرية التي يهبها الروح القدس للإنسان لا تجعله يفعل كل ما يريد وحسب، كمدلول الحرية في لغة الفلسفة؛ بل تجعل ما يريده الإنسان هو بعينه ما يريده الله!... أي أن الروح القدس يفتح الطبيعة البشرية على الله، وبهذا يصير الإنسان في علاقة أصيلة بالله، و يدخل معه في رباط حيوي وميراث: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو٨:١٤).

الروح القدس بهذه الكيفية، لا يظل غريباً على الطبيعة البشرية، كشيء آخر منفصل عنها، ولكنه يصبح بحد ذاته اتصالاً «إلهياً بشرياً» في شكل خلقة روحانية جديدة على صورة المسيح ومثاله!! و بذلك يرفع الطبيعة البشرية فوق ذاتها، حتى تبلغ إلى «حياة جديدة» إلهية، دون أن تفقد معنى حريتها وإرادتها البشرية!

لذلك لا يستطيع الإنسان الحاصل على الروح القدس، أن يميِّز وجوده بإحساس طبيعي، لأن الروح القدس لا يبقى في الإنسان منفصلاً عنه، فنحن لا ندرك الروح القدس إلا بفعله. كما أن المسيح أيضاً لم يكن يُدْرَك لاهوته بالإحساس الطبيعي، وإنما كان يُدْرَك بالأعمال: «فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال» (يو١٠:٣٨)، وذلك بسبب «الإخلاء».

مواهب ملء ومواهب خدمة:

الطبيعة البشرية قد ثَبَتَ قطعاً في كل الأجيال، من آدم حتى يوم الخمسين، أنها

عـاجـزة عـن بلوغ الحياة الجديدة، وغير قادرة على الإذعان لصوت الله ووصاياه، وقبول الإيمـان بـيـسوع المسيح؛ لذلك كان من المحتم سكب مواهب جديدة روحانية، ترفع من قدرة الإنسان باستمرار، لبلوغ الملء اللازم لميراث الحياة الأبدية.

ولـكـن لـكـي يُـقـبِل الناس على الإيمان بالمسيح، الذي هو أصل وسبب انسكاب الـروح الـقـدس ونوال كافة مواهب الملء، لزم منذ البدء سكب مواهب أخرى فائقة، يـسـتـطـيـع بـواسـطتها المـبـشـرون أن يجـذبوا الناس إلى الإيمان بالمسيح، وأن يعلموهم و يقنعوهم...

وهكذا نجد أنه منذ البدء احتاجت الكنيسة إلى نوعين من المواهب: مواهب ملء، ومواهب شهادة.

ــ فـحـرارة الإيمـان بـالمـسـيح والثقة المطلقة فيه، والمحبة الرحيمة، والوحدة الفعلية بين المؤمـنين، والـقـدرة على الـصـوم والـصـلاة، والمـواظـبة على كسر الخبز (سر التناول)، والبـساطة مع التجرد، والإتضاع، وطاعة الكلمة بثقة، وحرارة العبادة والتقوى؛ كل هـذه كـانـت تـمـثـل مـواهب الملء، التي انسكبت بغنى على الكنيسة بعمل النعمة في الـقـلب. وكانت هذه المواهب هي الأساس الذي قامت عليه الكنيسة ووحدتها وقوتها وقداستها.
ــ ولـكـن كـان هـناك أيضاً مفاعيل أخرى للنعمة، ظهرت ضرورتها منذ البدء بصورة ممـتـازة لبعض الأخصّاء المتقدمين في النعمة، وتدور كلها حول الشهادة للمسيح وتعليم المؤمـنين و بـنـاء الـنفس، وكانت هذه المفاعيل تظهر علانية في المختارين بصورة فائقة للـطـبـيـعـة: «شـاهـداً الله معهم، بآيات، وعجائب، وقوات متنوعة، ومواهب الروح القدس حسب إرادته» (عب ٢: ٤).

وهـذه المـفـاعـيـل، تـشـمل كافة المواهب الفائقة التي للشهادة، وتنقسم إلى ثلاثة أصول:
الأول: و يُـعـرف بـلـغـة الإنجـيـل بـالـقـوات δυνάμεις وهي الأعمال ذات القوة

والجبرؤوت، مثل إخراج الشياطين.

الثاني: و يُعرف بلغة الإنجيل بالآيات σημεῖα وهي الأعمال الخارقة للعادة، ذات المعنى والمغزى الخصوصي، كتحويل الماء خمراً (يو٢)، وتفتيح عيني الأعمى (يو٩).

الثالث: و يُعرف بلغة الإنجيل بالمعجزات τέρατα وهي الأعمال المدهشة والعجيبة، كشفاء الأعرج (يو٥). «إن علامات الرسول صُنعت بينكم في كل صبر **بآيات وعجائب وقوات**» (٢ كو١٢ : ١٢).

وهذه المواهب والأعمال الفائقة، لا أصل لها في الطبيعة البشرية، ولا علاقة لها إطلاقاً بقوانين الطبيعة. وهي لا تعتمد على ذكاء الإنسان، ولا على قدراته الشخصية أو العصبية، ولا على صلاحه أو بِرّه الذاتي؛ إنما هي مواهب تُعبِّر عن نعمة الله وقوته ورحمته وصلاحه، يسكبها حسب مسرته على من يشاء، معلناً بها عن العنصر الإلهي المقتدر في الدعوة إلى ملكوت الله، بالإيمان بالمسيح: «فلما رأوا مجاهرة بطرس و يوحنا، و وجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا، فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع. ولكن إذ نظروا الإنسان الذي شُفي واقفاً معهما، لم يكن لهم شيء يناقضون به» (أع٤ : ١٣، ١٤).

أما من حيث استخدام الله للطبيعة البشرية للإعلان عن هذه المواهب، فنجد أن الروح القدس كان دائماً يشهد بواسطة الإنسان (القديسين)، عن طريق إحدى وسيلتين: إما القوة وإما الكلمة:

واستخدام الروح القدس لقوة الإنسان (القديسين)، تظهر في خدمة المرضى والضعفاء، ومواهب الشفاء χαρίσματα ἰαμάτων . أما استخدام الروح القدس لكلام القديسين، فيظهر في مواهب كثيرة، مثل التكلم باللغات، والنبوة، والتعليم.

«إن كان **يتكلم** أحد فكأقوال الله. وإن كان يخدم أحد فكأنه من **قوة** يمنحها الله ...» (١بط ٤ : ١١).

وسوف نقتصر في هذا المقال على **مواهب النعمة التي للشهادة، عن طريق الكلمة والتعليم.**

مواهب الكلام

استخدام النعمة لعقل الإنسان ولسانه للنطق بالكلمة الإلهية، يحتاج إلى تهيؤ وقتي في طبيعة العقل، لإستقبال فعل الإلهام والإستنارة المباشر، حتى يتسنى للإنسان أن ينطق بالروح بما يريده الله في كل مرة. هذا التهيؤ اللازم لإستقبال فعل الإلهام كل مرة، لا يحتاج إلا إلى إستعداد داخلي قلبي «مستعدٌ قلبي ياالله مستعدٌ قلبي» (مز٥٧: ٧). ولكن في كل مرة يكون الدفق الإلهي متميزاً عن كل مرة أخرى: «حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال: ...» (أع ٤: ٨).

ومواهب الكلام، تنقسم من حيث تدرجها في التشبع الإلهامي، إلى ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: موهبة الألسن. γλώσσαις λαλία

الدرجة الثانية: موهبة النبوة. προφητεία

الدرجة الثالثة: موهبة التعليم. διδασκαλία

التدرج الإلهامي في هذه المواهب الثلاث:

في **موهبة التعليم** يكون الفهم والذكاء وحرية الشرح والتعبير وكافة الحواس الفكرية، في كامل قوتها أثناء الإلهام. لذلك نجد أن الذين لهم استعداد طبيعي للمعرفة بواسطة معرفتهم السابقة للقراءة وقدرتهم على الإستيعاب والحفظ، نجدهم قد استفادوا نوعاً ما من «موهبة التعليم»، وذلك بأنهم استطاعوا أن يفحصوا و يقارنوا الروحيات بالروحيات ـــ على حد قول بولس الرسول (١ كو٢: ١٣)، و بذلك ازدادت قدرتهم على كشف الأسرار فصاروا معلمين روحيين διδάσκαλοι ؛ وهذا نجده واضحاً في سيرة بولس الرسول، حيث الرقوق لم تكن تفارقه حتى في أسفاره. لذلك نجده ينصح أيضاً تيموثاوس أن يُضرم الموهبة التي فيه، التي أخذها مع وضع اليد (١ تى ٤: ١٤)، حتى يزداد استنارة حينما يعكف على القراءة باستمرار (١ تى ٤: ١٣)، مشيراً في موضع آخر أن معرفته السابقة بالكتب المقدسة ذات قيمة من حيث إعطائه

فرصة أكثر للخلاص «وأنك منذ الطفولية **تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تُحكّمك للخلاص بالإيمان** الذي في المسيح يسوع» (٢تى٣: ١٥).

أما **الأنبياء** فهم أقل على كل حال من المعلمين في الإستفادة من التعليم والقراءة، إذ أن الإلهام أو الوحي الإلهي يباغتهم، فيرتفع عقلهم فجأة ليدرك ما لم يخطر لهم على فكر من قبل، وما لا يمكن أن يتحصل عليه إنسان لا بالتعليم ولا بالقراءة ولا بالذكاء.

والرؤى التي يطّلع عليها أصحاب هذه الموهبة ــ أي موهبة النبوة ــ تحتاج منهم أحياناً إلى جهد كثير لتوضيحها، مثل سفر الرؤيا؛ أو قد لا يتسنى لهم إطلاقاً تفسيرها وشرحها، مثل بولس الرسول الذي «اختُطف إلى الفردوس وسمع كلمات لا يُنطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها» (٢كو١٢: ٤).

وموهبة النبوة في العهد الجديد لا تقف عند كشف الزمان الآتى «يخبركم بأمور آتية» (يو١٦: ١٣)، ولكنها تمتد بالأكثر إلى كشف أسرار الله، وكشف أسرار النفوس ومعرفة الضمائر، «لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله» (١كو٢: ١٠).

وفي الواقع، لو دققنا لوجدنا أن سفر الرؤيا يحوي معنى النبوة وقوّتها وعملها في العهد الجديد، ككشف كامل ورؤيا ἀποκάλυψις: سواء كشف الزمن الآتى، أو كشف أعمال الكنائس السبع، أو كشف ضمائر الأساقفة (الملائكة) المسئولين عن البشارة في الكنائس، أو كشف أسرار الله المخفاة من جهة صفاته وأعماله.

ولكن ــ على وجه العموم ــ الصفة الكنسية السائدة للنبي في العهد الجديد، هي موهبة كشف النفس وتبكيت الضمائر.

أما التمييز بين النبي وهو في حالة الإلهام، وبين المعلم وهو في حالة الإلهام أيضاً، فيقتصر على أن النبي تكون حواسه الفكرية مربوطة بالرؤيا الموضوعية، وسائدة فوق قوة الفهم. فهو بالرغم من كونه يعي جداً ما يقوله ويستطيع أن يجاوب سائليه، إلا أنه

يكون محدوداً بما يراه ويحسه...

في حين أن المعلِّم تكون قوة وحرية الفهم عنده سائدة فوق كل الحواس الأخرى حتى وهو في كامل إلهامه.

غير أنه لم توجد موهبتا النبوة والتعليم منفصلتين تماماً في العهد الجديد، لأن الشخص الذي يملك الواحدة يؤهَّل دائماً للدخول في الأخرى. فالمعلم الموهوب في المسيحية διδάσκαλος ، نجده في لحظة من لحظات استنارته يدخل في إلهام النبوة فيصير نبياً προφήτης . وكذلك النبي، إذ يحدث أنه وهو تحت تأثير الإلهام ينطق بتعليم، وغالباً ما يكون موبِّخاً شديد الوطأة إذ يكون في فمه إعلان وتحذير معاً، أو قد يكون للتعزية والطمأنينة أيضاً: «عزُّوا عزُّوا شعبي» (إش ٤٠ : ١).

وموهبتا التعليم والنبوة، احتلتا معاً في العصر الرسولي مكانة سامية جداً، وكانتا ذات تأثير هائل في انتشار الإنجيل والإيمان به.

ومن أمثلة الأنبياء والمعلمين في العصر الرسولي «وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك **أنبياء ومعلمون** برنابا، وسمعان الذي يدعى نيجر، ولوكيوس القيرواني، ومناين الذي تربى مع هيرودس...، وشاول (الذي صار فيما بعد رسولاً أيضاً)» (أع ١٣ : ١).

وكانت النبوة تمهد الطريق دائماً للمعلمين، فكانت النعمة تستخدم الأنبياء وتلهب موهبتهم لكشف النفوس وتبكيت الضمائر، وتوبيخ الأعمال والسيرة الرديئة؛ وبهذا يخفضون كل كبرياء الوثنيين والمعاندين من الفلاسفة، وكل علو يرتفع ضد الإيمان (٢ كو ١٠ : ٥)، وحينئذ يمهدون في قفر القلوب سبيلاً للمسيح الآتي، بتلقين التعليم الصحيح بواسطة المعلمين.

وبينما في موهبتي التعليم والنبوة يكون العقل مع كل الحواس الفكرية في كامل وعيها وانفتاحها لجمهور السامعين، بحيث يكون النبي أو المعلم قادراً، حتى وهو في أوج إلهاماته، على تبادل الشعور والحديث والفهم مع السامعين، نجد أنه في موهبة التكلم

بالألسن يكون العقل مع كافة الحواس الفكرية، مشغولاً في الحديث مع الله فقط.

وذلك يرجع إلى أن إلهام المتكلم بالألسن الجديدة، يطغى على قدرة الفهم و يضعف من الإحساس الفكري إلى درجة ينقطع فيها الإتصال العقلي بين المتكلم والسامعين.

لذلك فالذي يتكلم بلسان لا يكون كلامه بصورة تعليم أو وعظ أو نبوة. لذلك لا يُحسب المتكلم باللسان معلماً διδάσκαλος ، وكذلك لا يُحسب معزياً παράκλητος ، كنبي، لأن موهبته تخرج عن حدود التعليم والبناء الإيماني الذي عن طريق المعرفة، لتدخل في حدود مفهوم المعجزة أو الآية وحسب: «إذاً، الألسنة آية لا للمؤمنين بل لغير المؤمنين» (١ كو١٤: ٢٢).

فالذي يتكلم بلسان يكون تحت إلهام شخصي، فيكون متصلاً بروحه مع الله، ناطقاً بلسانه بما يحسه بروحه، ولكن بلغة أخرى غير لغته؛ لذلك يكون الذهن غير واعٍ تماماً بما ينطقه ولا يستطيع أن يتحكم فيه: «لأنه إن كنت **أصلي** بلسانٍ فروحي تصلي **وأما ذهني فهو بلا ثمر**» (١ كو١٤: ١٤).

ولهذا كان القديس بولس الرسول يرى أن موهبة التكلم بألسنة من جهة الآخرين، تُحسب أنها «آية» أو معجزة؛ أما من جهة الشخص المتكلم نفسه، فإنها تُحسب كصلاة يرتفع فيها العقل ليبلغ إلى حالة اتصال فعلي بالروح. وبهذا يعتبرها القديس بولس الرسول أنها حالة بناء شخصي خاص «من يتكلم بلسان يبني نفسه» (١ كو١٤: ٤).

ولهذا السبب يكون الشخص المتكلم بلسان مشغولاً عن الناس، منحصراً بروحه وعقله في الله، لذلك يبدو للآخرين كأنه في ذهول؛ وحتى كلامه لا يكون بدقة لفظية أو يقظة كاملة. وهذا هو السبب الذي جعل الناس يوم الخمسين يعتبرون أن التلاميذ كانوا في حالة سكر شديد «امتلأوا سلافة» (أع٢: ١٣)، لأن الناس رأوا أنه بالرغم من أن التلاميذ كانوا يتكلمون بلغاتهم التي يعرفونها، إلا أن الناس لاحظوا أن إحساس

التلاميذ كان مبتعداً عن الناس، وكأنما كانوا لا يخاطبون الناس أصلاً، فلم يعتنِ الناس أن يصغوا إليهم: «لأن من يتكلم بلسان لا يكلم الناس بل الله، لأن ليس أحد يسمع» (١ كو١٤: ٢).

كل ذلك يشير إشارة قوية إلى أن موهبة التكلم بالألسن، كانت محدودة فعلاً في حدود المعجزة أو الآية لغير المؤمنين، كبرهان عملي لإنسكاب الروح على الأمم أيضاً (أع١٠: ٤٥)، أو «على كل بشر» (يوئيل ٢: ٢٨) حسب نص نبوءة يوئيل النبي؛ فلم تكن هذه الموهبة لتعليم المؤمنين أو غير المؤمنين أصحاب هذه اللغات، وإنما كانت لمجرد إقناعهم أن الله قَبِلَ الأمم وفتح الباب لدخولهم في الإيمان؛ و برهان ذلك نُطق التلاميذ الإعجازي بلغات الأمم.

لذلك نجد أن انطباع المؤمنين عند سماعهم التلاميذ يتكلمون أولاً بلغات الأمم كان هو الحيرة والتعجب: «وتحيَّروا لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته» (أع٢: ٦). ثم تحقق الذين آمنوا من اليهود بعد ذلك، بسبب انسكاب هذه الموهبة بالذات على الأمم الداخلين في الإيمان، أن الله قد قبل الأمم بكل تأكيد: «فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان، لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً، لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بألسنة و يعظمون الله» (أع١٠: ٤٥، ٤٦).

إذن، واضح أن موهبة التكلم بالألسن يوم الخمسين كانت آية تشير إلى أمرين:
الأول: دخول الأمم علناً في الإيمان.
وثانياً: بداية مسئولية التلاميذ لخدمة هذه الأمم، لأن انسكاب موهبة التكلُّم بلغة الأمم تضمَّن دعوةً إلهية صريحة للبشارة لهذه الأمم.

فموهبة التكلم بالألسن يوم الخمسين وما بعد ذلك، كانت ذات هدف إلهي واضح، كآية لدخول الأمم وكدعوة صريحة للبشارة لهم. لذلك لا تفيد هذه الموهبة أن هذه الألسن كانت لغات غير مفهومة بل مفهومة تماماً؛ لأن من نصوص الآيات، ومن واقع الهدف وملابسات الزمن الذي بدأت فيه هذه الموهبة، يتضح أنها شملت لغات

حية كان يتكلم بها الناس في خمس عشرة أمة تقريباً (أع ٢).

وقد ظلت هذه الموهبة في البدء، مرافقة لحلول الروح القدس عند العماد ووضع اليد، كبرهان لقبول هؤلاء المعمدين في الإيمان. وهذا يذكرنا بالنار التي كانت تنزل من السماء وتلتهم الذبيحة في بداية عصر تقديم الذبائح كعلامة رضى إلهي وقبول، وكإلحاح مستمر من الروح القدس للإنطلاق والشهادة للمسيح.

لذلك نجد أنه بعد أن رسخ الإعتقاد عامة بقبول الله للأمم، ورسخ إيمان التلاميذ والرسل بضرورة البشارة، كفّت هذه الموهبة تدريجياً، ثم تلاشت من الكنيسة تقريباً في نهاية عصر الرسل.

وقد ظلت هذه الموهبة ملازمة للكنائس الجديدة بصورة شائعة وعامة بين المؤمنين في أيام بولس الرسول: «ولما وضع بولس يديه عليهم، حلّ الروح القدس عليهم، فطفقوا يتكلمون بلغات و يتنبأون» (أع ١٩: ٦)، فكان في كل كنيسة يظهر كثيرون من المتكلمين باللغات. ولكن لأن معظم الشعب في كل كنيسة كان لا يعرف إلاّ لغته فقط ـ أي عاميين ـ لذلك ظهرت الحاجة إلى من يترجم ما ينطقه هؤلاء المتكلمين باللغات الأخرى: «فإن اجتمعت الكنيسة كلها في مكان واحد، وكان الجميع يتكلمون بألسنة، فدخل **عاميون** أو غير مؤمنين، أفلا يقولون أنكم تهذون؟» (١ كو١٤: ٢٣)،... إذن فالحاجة إلى الترجمة، تنشأ فقط عندما يكون السامعون عاميين.

كما أننا نجد أن هناك محاولة يحاولها بولس الرسول، لتحويل موهبة التكلم بلغات إلى موهبة الترجمة أيضاً، وذلك عن طريق المتكلم نفسه، حتى يتحاشى العثرة الناتجة من عدم فهم اللغة التي يتكلم بها: «لذلك من يتكلم بلسان فليصلِّ لكي يترجم» (١ كو١٤: ١٣)، أي أن المتكلم يترجم ما يقوله هو نفسه؛ وذلك حينما يستحضر ذهنه بالصلاة، و يتوسّل لدى الروح القدس أن يهبه أيضاً، تفسيراً بلغته الوطنية لما نطقه باللغة التي أُعطي أن يتكلم بها.

وفي هذا المعنى تماماً يقول القديس بولس الرسول إنه يتكلم بلغات أكثر من جميعهم، مشيراً بذلك إلى قدرته الخاصة على التكلم بلغات حية كثيرة، وقدرته على ترجمة كل لسان، حسب النعمة المعطاة له وحسب إتقانه الطبيعي لهذه اللغات: «أشكر إلهي أني أتكلم بألسنة أكثر من جميعكم» (١ كو١٤: ١٨). وهنا المضمون يفيد لغات حية مفهومة بكل تأكيد، فقد أوضح بولس الرسول قبل ذلك أن موهبة التكلم بألسنة لا قيمة لها على الإطلاق إن لم تكن هذه الألسنة لغات حية يمكن ترجمتها:

«ربما تكون أنواع لغات هذا عددها في العالم **وليس شيء منها بلا معنى**. فإن كنت لا أعرف قوة اللغة أكون عند المتكلم أعجمياً والمتكلم أعجمياً عندي، هكذا أنتم أيضاً إذ أنكم غيورون للمواهب الروحية، أطلبوا لأجل بنيان الكنيسة **أن تزدادوا**، لذلك من يتكلم بلسان فليصلِّ **لكي يترجم**» (١ كو١٤: ١٠ــ١٣).

وهنا كلمة «تزدادوا» تفيد الإزدياد في معرفة اللغات وشرحها لازدياد بنيان الكنيسة؛ الأمر الذي توفر لدى كافة الناس بعد ذلك بالتعليم وتلقين اللغات، مما أدى إلى توقُّف هذه الموهبة.

ولكننا، على وجه العموم، نجد أن القديس بولس الرسول يضع موهبة التكلم بألسنة في مرتبة أقل من موهبة النبوة: «من يتنبأ أعظم ممن يتكلم بألسنة» (١ كو١٤: ٥)، كذلك يضعها أيضاً أقل من موهبة التعليم: «ولكن في كنيسة أريد أن أتكلم خمس كلمات بذهني لكي أعلم آخرين أيضاً، أكثر من عشرة آلاف كلمة بلسان» (١ كو١٤: ١٩).

وقد حصر بولس الرسول هذه الموهبة خارج محيط التعليم داخل الكنيسة، إذ اعتبرها أنها ليست لبناء الإيمان: «إذن الألسنة آية، لا للمؤمنين بل لغير المؤمنين» (١ كو١٤: ٢٢).

ولكن ظل بولس الرسول محتفظاً بوضع التكلم بالألسن، كموهبة ذات قيمة روحية شخصية بالنسبة للفرد المتكلم، كعمل روحي أو تعزية روحية شخصية:

«أصلي بـالـروح... أرتـل بالروح... باركت بالروح» (١ كو١٤: ١٥، ١٦)، عالماً ذلك الـرسـول، الـذي ارتفع إلى درجة الإعلانات والرؤى، أن التكلم بالألسن حالة ارتفاع بـالـروح الـقـدس وإلهام يقبل فيها الإنسان أسرار الروح القدس و يتعزّى: «من يتكلم بلـسـان لا يـكـلـم الـنـاس بل الله لأن ليس أحد يسمع ولكنه **بالروح يتكلم بأسرار**» (١ كو١٤: ٢).

لـذلك يعتبر بولس الرسول أن هذه الموهبة ذات منفعة شخصية ضمناً: «من يتكلم بلسان يبني نفسه» (١ كو١٤: ٤). لذلك لا ينكر منفعتها، بل بالحري يودّ لو أن الكل يحـرزون هـذه الـنـعـمـة: «إني أر يـد أن جـمـيـعكم تتكلمون بألسنة، ولكن بالأولى أن تتنبأوا» (١ كو١٤: ٥).

ولـكـن بـالـرغـم من ذلك كان بولس الرسول يخشى جداً من إساءة استخدام هذه الموهـبـة داخل الكنيسة، لأنها كانت قد بدأت تأخذ اهتماماً ومكانة بين المؤمنين أكثر مما يجب، حتى صارت سبباً للغيرة والتفاخر والتشو يش في الكنيسة، مما جعل الرسول يـقلّل من أهميتها ومنفعتها، ويحوّل اهتمام المؤمنين إلى المواهب الأخرى «وأيضاً أر يكم طر يقاً أفضل» (١ كو١٢: ٣١).

ومجـمـل تـقـر ير بولس الرسول عن هذه الموهبة، هو أنه إذا أحس أحد المؤمنين وهو داخـل الكنيسة بحالة الإلهام والتكلم بالألسن، فعليه أن يصلّي و يسكب قلبه أمام الله بمفرده في الخفاء و يضبط نفسه، فهذا أنفع له إذ يعود إلى بناء نفسه.

أمـا إذا أحـسّ بحـاجـة إلى التعبير عما يتقبله من الله، وكان لديه رسالة حقيقية من الله للكنيسة، فليصلِّ أولاً حتى يمكن أن يترجمها هو بلغة السامعين. «فالآن أيها الإخوة إن جـئـت إلـيـكـم مـتكلماً بألسنة، فماذا أنفعكم إن لم أكلمكم إما بإعلان أو بعلم أو بنبوة أو بتعليم؟،... هكذا أنتم أيضاً إن لم تعطوا باللسان كلاماً يُفهَم، فكيف يُعرَف ما تُكُلِّم به؟» (١ كو١٤: ٦، ٩).

فـإذا تـعـذّر عـلـيـه ذلـك فـلـيترجمها آخر، أما إذا لم يوجد من يترجم، فليصمت في

الكنيسة: «ولكن إن لم يكن مترجم، فليصمت في الكنيسة، وليكلم نفسه والله» (١ كو١٤: ٢٨).

مواهب مترتبة على مواهب: المترجمون والحكّام.

وقد ترتب على موهبة التكلم بألسنة، المنسكبة على الكنيسة، قيام **موهبة الترجمة** ἑρμηνεία γλωσσῶν، كنعمة خاصة وإلهام:

«إن كان أحد يتكلم بلسان، فإثنين إثنين أو على الأكثر ثلاثة ثلاثة، وبترتيب وليترجم واحد» (١ كو١٤: ٢٧).

كما ترتب على موهبة النبوة، قيام **موهبة الحكم الروحي** διακρίσεις πνευμάτων أي التمييز والكشف لمعرفة الحق وحدوده:

«أما الأنبياء، فليتكلم إثنان أو ثلاثة، **وليحكم** الآخرون» (١ كو١٤: ٢٩).

وبواسطة هاتين الموهبتين، أي الترجمة والحكم الروحي، صار لدى الكنيسة قدرة لتتحكم في موهبتي التكلم بالألسن والنبوة، وهنا تتضح يقظة الروح القدس واهتمامه بالكنيسة وتدبيرها وسدّه للثغرات، بإقامة تسلسل في المواهب، وتدرّج في المسئوليات، والمراقبة.

والملاحَظ أن الروح القدس أقام مراقبين على موهبة التكلم بالألسن وموهبة النبوة، ولم يقم مراقباً على موهبة التعليم، والسبب في ذلك أن المعلم يكون صاحياً يقظاً لنفسه ولما يقوله، متوقد الذهن بالنعمة، فوهبة التعليم تنصب أساساً على زيادة الوعي العقلي. كما أن الإلهام الذي يدخله المعلم، يرفع من قدرته على ضبط كلماته وتوجيه تعليمه باستقامة، حسب قصد الروح تماماً. لذلك فمن غير المعقول أن يقيم الروح القدس رقيباً على المعلم، لأن الروح القدس نفسه يكون هو هذا الرقيب الذهني، خصوصاً وأن موهبة التعليم لا تتعدى حدود المعقول.

أما في موهبة النبوة فيكون العقل تحت تأثير الإلهام أكثر من الفهم لأنه يفحص ما

يفوق العقل و يكشف المستورات، فيكون الإنسان أقلّ ضبطاً للكلام والمعاني والتعبيرات، لذلك أصبح لزاماً أن يكون هناك رقيب على النبي حينما يتنبأ.

وكذلك في موهبة الألسن إذ يكون المتكلم مبتلع الذهن، أو حسب تعبير بولس الرسول «يكون الذهن بلا ثمر» (١ كو١٤ : ٤)؛ لذلك أصبح لزاماً أيضاً أن يكون هناك مترجم يصاحب اللسان حينما يتكلم، ليشرح و يُترجم ما يقوله.

وفي الواقع إن قيام هاتين الموهبتين الروحيتين، أي «الترجمة» و«الحكم»، كرقابة على موهبتي التكلم بالألسن والنبوة منشأه ضعف الطبيعة العقلية للإنسان، وعدم كفايتها لتكون في كمال الإلهام الإلهي وكمال الوعي البشري معاً، لذلك فهي تحتاج إلى وسيط... كما أن صعوبة التعبير عما لا يرى، تحتاج حتماً إلى مساندة ومراجعة... لذلك نسمع الإنجيل يشدد دائماً أن «**امتحنوا** الأرواح» (١يو٤ : ١)، و يدعو باستمرار إلى «**تمييز** الأرواح» (١ كو١٢ : ١٠).

كذلك نجد في سرد بولس الرسول لقائمة المواهب وتسلسلها يضيف تمييز الأرواح على موهبة النبوة، وكأنهما ملتزمتان ببعضهما البعض «ولآخر نبوة ولآخر تمييز الأرواح». كما يضيف موهبة الترجمة إلى موهبة التكلم بالألسن، كضرورةٍ حتمية: «ولآخر أنواع ألسنة ولآخر ترجمة ألسنة» (١ كو١٢ : ١٠).

والواقع أن التزام موهبة النبوة بموهبة تمييز الأرواح، والتزام موهبة التكلم بالألسن بموهبة ترجمة الألسن، تظهر لزوميتها لو فحصنا وضع الكنيسة الطبيعي، خصوصاً في عصورها الأولى. فالحياة المسيحية كانت تمارس داخل الكنيسة بحرية روحية كاملة، والجماعة كانت تنمو نمواً مكشوفاً تلقائياً غير مصطنع، غير مدرسي قط. فكان كل من يدفعه الإلهام إلى التكلم أو الشهادة أو تعزية الجماعة، كان مأذوناً له أن يتكلم و يعبِّر عما يحسّه، لذلك أصبح وجود الرقابة الروحية للضبط والتميز والحكم، أمراً في غاية الأهمية. ومن هنا نشأت الضرورة للمواهب الضابطة المترتبة على المواهب، وكان الثقل على أصحاب هذه المواهب شديداً إذ كانوا مسئولين عن تشجيع النمو الروحي وتزكية واضطرام المواهب في المؤمنين؛ وفي نفس الوقت كانوا مسئولين عن

الحد من الإنحرافات، وإنذار الذين بلا ترتيب: «ثم نسألكم أيها الإخوة، أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم و يدبرونكم في الرب و ينذرونكم، وأن تعتبروهم كثيراً جداً في المحبة من أجل عملهم... أنذروا الذين بلا ترتيب... لا تطفئوا الروح، لا تحتقروا النبوات، **امتحنوا** كل شيء!!!» (١تس٥: ١٢، ١٤، ١٩-٢١).



مواهب التعليم

لقد تعددت مواهب التعليم في الكنيسة، بسبب عمق الله وأعماله وغنى نعمته وغزارة أسراره، فلم يوجد بين الناس قط من هو كفء بمفرده أن يستوفي هذه المعرفة الروحية، لذلك سكب الله مواهب متعددة على أشخاص كثيرين، متميزين في الإستعداد والعمق والفهم، حتى تستعلن أسرار المعرفة الإلهية في كافة نواحيها، و يُستكمل الإيمان.

وتنقسم مواهب التعليم أساساً إلى نوعين:

١ ــ موهبة التعليم بكلام **معرفة** λόγος γνώσεως

٢ ــ موهبة التعليم بكلام **حكمة** λόγος σοφίας

«لواحد يعطى بالروح كلام **حكمة**، ولآخر كلام **علم**، بحسب الروح الواحد» (١ كو١٢: ٨).

وفي موضع آخر يشير القديس بولس الرسول إلى الينبوع الواحد الذي تتفجر منه هاتان الموهبتان: «...المسيح، المذخر فيه جميع كنوز **الحكمة والعلم**» (كو٢: ٣).

أما «موهبة الحكمة» في المفهوم المسيحي في القرن الأول، فكانت تنحصر في معنى الإلهام الإلهي، الذي يجعل الإنسان مقتدراً في الحكم على الأمور العملية التي تخص الحياة المسيحية، وعلى تصريف الأمور، وتمييز المواقف، ومعرفة الحق، وتسليم دقائق الحياة للجيل الناشيء. وكانت تسمَّى لدى الآباء الأُوَل، «موهبة إفراز Discretion».

وأما «موهبة العلم γνῶσις»، فكان معناها في القرن الأول مقصوراً على الدراية النظرية الملهمة لمعرفة أصول الديانة، وكانت تقوم على سر استعلان الأمور المختصة بالمسيح كما وردت في العهد القديم، ثم كشف أسرار تدبير الله في التجسد وفي الآلام والصلب والقيامة، وعملها الصميمي في خلاص الإنسان: «إن كنتم قد سمعتم

بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم أنه **بإعلان عرّفني بالسر**، كما سبقت فكتبت بالإيجاز، الذي بحسبه حينما تقرأونه **تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح**، الذي في أجيال أُخر **لم يعرَّف به** بنو البشر، كما قد **أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه، بالروح**» (أف ٣ : ٢ــ٥).

والفرق بين الموهبتين واضح و يتحدد تماماً في موضوع الكلام، فالكلام على الحياة الروحية العملية، والعلاقة الشخصية السرية مع المسيح، والسلوك في الحياة الإجتماعية بما يطابق الإيمان وبمقتضى الوصايا المسيحية؛ غير الكلام النظري عن بنود الإيمان وأساس العقيدة.

وهذا الإختلاف الموضوعي بين موهبة كلام الحكمة وموهبة كلام المعرفة، يقتضي بالضرورة اختلافاً في الإستعداد الطبيعي **بين الأشخاص الموهوبين المنعم عليهم**.

فإن كان يوجد أحياناً من هو كفء للموهبتين معاً، مثل بولس الرسول، إلا أنهما في واقع الأمر مختلفتان، والكنيسة باستمرار تحتاج إليهما بتحديدهما وتخصصهما...

لذلك نجد أن الروح القدس أفرز منذ البدء أشخاصاً مقتدرين، أهّل بعضهم للحكمة العملية، والبعض الآخر للمعرفة النظرية: «لا أزال شاكراً لأجلكم، ذاكراً إياكم في صلواتي كي يعطيكم... روح **الحكمة** والإعلان في **معرفته**» (أف ١ : ١٦، ١٧).

ومعروف أنه بالرغم من أن بولس الرسول يقدّم موهبة الحكمة على موهبة العلم، ربما لأجل سمو الأولى على الثانية، إلا أنه في تدرجهما الطبيعي، تأتي الحكمة بعد الإمتلاء من العلم؛ وهذا ما يشير إليه بولس الرسول بقوله: «ولكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين» و يقصد بالكاملين هنا الذين امتلأوا وكملوا في المعرفة النظرية. ثم يستطرد ليفرق بين حكمة المسيح وحكمة اليونان: «ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين يبطلون، **بل نتكلم بحكمة الله في سرّ**. الحكمة المكتومة التي سبق الله **فعينها قبل الدهور لمجدنا**، التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر»

(١ كو٢: ٦-٨). وهنا يشير بولس الرسول إلى أن حكمة الله المُوهَبة لنا، حكمة عملية تنقلنا إلى المجد، وهي غير حكمة عظماء اليونان النظرية التي تبطل.

ثم في الرسالة إلى العبرانيين يوضح بولس الرسول أكثر، الفرق بين الحكمة العملية والمعرفة النظرية، وذلك بالنسبة للمؤمنين: «قد صرتم متباطئي المسامع (يشير إلى إهمالهم المعرفة النظرية)، لأنكم إذ كان ينبغي أن تكونوا معلّمين (أي كان مفروضاً أن يكونوا مؤهلين لموهبة التعليم نفسها) بسبب طول الزمان، تحتاجون أن يعلّمكم أحد ما هي أركان بداءة أقوال الله (أصول الإيمان الأولية)، وصرتم محتاجين إلى اللبن (المعرفة البسيطة) لا إلى الطعام القوي (الحكمة العميقة العملية)، لأن كل من يتناول اللبن (لا يزال يجهل أصول الإيمان الأولية) هو عديم الخبرة في كلام البر (أي ليست له خبرة عملية في الحكمة والسلوك حسب البر) لأنه طفل (أي مبتدىء في الإيمان النظري)، أما الطعام القوي فللبالغين، الذين بسبب التمرّن (الذين كملوا في المعرفة النظرية وابتدأوا يطبّقون المعرفة على الحياة و يتحكّمون) قد صارت لهم الحواس (الروحية) مدرّبة على التمييز بين الخير والشر (أي بلغوا إلى الحكمة العملية التي تسمى الإفراز= Discretion))» (عب٥: ١١-١٤).

درجات المعلمين:

قد عرفت الكنيسة أربعة درجات من المعلمين «وهو أعطى البعض أن يكونوا **رسلاً، والبعض أنبياء، والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين**» (أف٤: ١٠).

الدرجة الأولى: الرسل:

هؤلاء هم الذين استلموا أصول التعليم من المسيح رأساً؛ كما استلموا موهبة التعليم كأمر إلهي «وعلّموهم بكل ما أوصيتكم به» (مت٢٨: ٢٠).

والرسل يتميزون تميزاً فائقاً عن كافة المعلمين كونهم شركاء رؤية للمسيح، سواء

في أعمـالـه أو كـلمـاتـه، أو آلامه أو مجده؛ فكانت تعاليمهم ذات أصالة فائقة كشهود عيـان في كـل مـا كـانوا يقولونه و يعلِّمون به: «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الـذي رأينـاه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا... الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به، لـكي يكون لكم أيضاً شركة معنا» (١يو١: ١-٣)، «لأننا لم نتبع خرافات مصنَّعة إذ عرَّفـناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاينين عظمته، لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً إذ أقبل إليه صوت كهذا من المجد الأسنى هذا هو ابني الحبيب الذي أنـا سـررت بـه، ونحـن سـمـعـنـا هـذا الـصـوت مـقبلاً من السماء إذ كنا معه في الجبل المقـدس» (٢بـط١: ١٦ــ١٨). وهـذه الـدرجة تشمل الإثنى عشر بمتياس الرسول، والسبعين الذين عيَّنهم الرب، و بولس الرسول.

الدرجة الثانية: الأنبياء:

هؤلاء تجيء رتـبتهم بـعـد الـرسـل، وقـبل المبشرين، بسبب قدرتهم على اللحاق بـالـرسـل والإقـتراب من المسيح بواسطة نعمة الرؤيا ἀποκάλυψις، وانفتاح بصيرتهم التي تؤهلهم لإدراك المعرفة الإلهية ومشيئة الله كشهود عيان، لذلك فتعليمهم عن الأمور المختصة بملكوت الله تجيء أكثر عمقاً من معرفة المبشِّرين والمعلمين الملهَمين. وقد كان تـعـلـيمهم بالفعل أكثر حيوية وتأثيراً في انتشار ملكوت الله، خصوصاً بعد عصر الرسل مباشرة.

ولم تـكـن وظـيـفتهـم في الـكـنـيـسـة ثـابـتـة، لأنهم كـانـوا يجولون من كنيسة إلى أخـرى(١): «ويهـوذا وسـيـلا إذ كـانـا همـا أيـضـاً نـبـيَّين وعـظـا الإخـوة بـكلام كثير وشدداهم. ثم بعد ما صرفا زماناً أُطلقا بسلام» (أع١٥: ٣٢).

«و بينما نحن مقيمون أياماً كثيرة، انحدر من اليهودية نبي اسمه أغابوس، فجاء إلينا وأخـذ مـنـطـقـة بـولـس وربـط يـدي نـفـسـه ورجليه وقال: هذا يقوله الروح القدس،

(١) [٤. كل رسول يأتيكم فاقبلوه كالرب. ٥. ولا يمكث أكثر من يوم واحد، وإذا وُجدت ضرورة فيوماً آخر أيضاً؛ وإن بقي ثلاثة أيام فهو نبي كذاب] (الديداكيه ١١: ٤، ٥).

الرجل الذي له هذه المنطقة، هكذا سيربطه اليهود في أورشليم و يسلّمونه إلى أيدي الأمم» (أع ٢١ : ١٠، ١١).

و يلاحظ أن النبوة في العهد الجديد، اختصت بإلهام مخاطبة النفس وكشف الضمائر، فكان وعظ الأنبياء شديد الوطأة والتأثير: «ولكن إن كان الجميع يتنبأون فدخل أحد غيرمؤمن أو عامي، فإنه يوبَّخ من الجميع، و يُحكَم عليه من الجميع، وهكذا تصير خفايا قلبه ظاهرة، وهكذا يخر على وجهه و يسجد لله منادياً أن الله بالحقيقة فيكم» (١ كو١٤ : ٢٤).

ومن أمثلة الأنبياء المشهورين أيضاً «يوسف الذي دُعي من الرسل برنابا الذي يُترجَم ابن الوعظ ــ وهو لاوي قبرصي الجنس» (أع ٤ : ٣٦). و يلاحظ هنا أن كلمة برنابا تفسيرها «ابن نابا» أي ابن النبوة التي ترجمت باليونانية هكذا:

υἱός παρακλήσεως & υἱός προφητείας .

الدرجة الثالثة: المبشرون:

والمبشر هو أيضاً الإنجيلي، لأن أصل الكلمة واحد، وهذه الدرجة مكرَّمة جداً بسبب ما يلازمها غالباً من استشهاد. هؤلاء لا يعلّمون دقائق الإيمان وإنما ينادون ببشرى الخلاص، و يعلنون مجد المسيح وفخر الإيمان به، و يوضحون أساس الإيمان وعمل المسيح الفدائي لكل الناس، و يذيعون الإنجيل أينما حلّوا. وعمل المبشرين هو في الواقع أساس انتشار المسيحية، و بالتالي أساس الكنيسة كلها. فالإنجيليون هم مؤسسو الكنيسة بالمعنى الحقيقي، لأنهم هم الذين وضعوا أساس الخلاص و بذرة الإيمان، ليس بتعاليمهم وندائهم فحسب، بل و بالأكثر جداً، بدمائهم التي سفكوها فكانت الشاهد على صدق إيمانهم وتعليمهم!...

ومن الأمثلة البارزة لمن نالوا هذه الموهبة الكريمة وتخصصوا فيها «فيلبس المبشِّر إذ كان واحداً من السبعة» (أع ٢١ : ٨). وطبعاً هناك فارق بين من هو حاصل من النعمة على موهبة المبشر، و بين من يتطوَّع ليعمل عمل المبشر «اعمل عمل المبشِّر، تمِّم

خدمتك» (٢تى ٤ : ٥).

وقد احتفظ لنا المؤرخ يوسابيوس القيصري بصورة واقعية لعمل المبشرين، وصِلَتهم بالرعاة والمعلمين في عصر الرسل وما بعده، فيصفهم في كتابه الثالث الفصل السابع والثلاثين هكذا:

[وممن اشتهروا في ذلك الوقت كوادراتس الذي يروي التاريخ عنه أنه اشتهر بموهبة النبوة مع بنات فيلبس. و يوجد كثيرون آخرون غير هؤلاء من اشتهروا في تلك الأيام، الذين **احتلوا المكان الأول بين خلفاء الرسل.** هؤلاء أيضاً إذ كانوا تلاميذ بارزين لتلك الشخصيات العظيمة، فقد **أكملوا أساسات الكنائس** التي وضعها الرسل في كل مكان، **ونادوا بالإنجيل في** مدى واسع، **وبذروا بذار الخلاص** الذي لملكوت السماء في الأرجاء البعيدة والقريبة في كل العالم... إذ بدأوا **يقومون برحلات طويلة** و يتممون **خدمة التبشير،** إذ كانوا قد امتلأوا رغبة في الكرازة بالمسيح لمن لم يسمعوا بعد كلمة الإيمان، **وتوصيل الأناجيل** الإلهية إليهم.

وعندما **وضعوا أساس الإيمان** في البلاد الغربية، **أقاموا غيرهم كرعاة،** وعهدوا إليهم بتغذية من أُدخلوا حديثاً، بينما اتجهوا هم ثانية إلى الممالك والشعوب الأخرى، **مؤازرين بنعمة الله وتعضيده،** لأن أعمالاً عجيبة كثيرة تمت على أيديهم **بقوة روح الله**].

الدرجة الرابعة: المعلّمون:

هؤلاء مسئولون عن المؤمنين الذين دخلوا حديثاً يعلّمونهم الإيمان، و يشرحون لهم الإنجيل، و يثبتون لهم العقيدة. فدورهم يأتي بالضرورة بعد المبشر، لأنهم ليسوا مؤسّسي كنائس ولا هم واضعو أساس الخلاص، وإنما يكمّلون عمل المؤسسين فيبنون نفوس المؤمنين، لذلك فلا غنى لأية كنيسة عنهم، ووظيفتهم ثابتة في كل كنيسة، لا يتنقلون، لأنهم يباشرون نمو بناء نفوس تلاميذهم، يوماً بعد يوم و يسهرون عليهم:

«حسب نعمة الله المعطاة لي كبنّاء حكيم، قد وضعت أساساً **وآخريبني عليه**» (١ كو٣: ١٠).

□ □ □

هذه الدرجات الأربع من المعلمين تجيء مطابقة تماماً لإحتياج الكنيسة. وهي تمثّل صورة واقعية لغنى الروح القدس وغزارة النعمة الموهوبة من السماء لبناء النفس البشرية، بواسطة يسوع المسيح المعلم الإلهي: «الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات **لكي يملأ الكل**. وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء، والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين، لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح» (أف ٤: ١٠ــ١٢).



المواهب العملية

ولكي تستطيع الكنيسة أن تسوس المؤمنين، وتسهر على المواهب، وتضرمها، وتدبّر شئونها في الداخل والخارج، وتضبط نظامها، صارت في أشد الحاجة إلى المواهب العملية، التي سكبها الروح القدس عليها بالفعل في الحين الحسن.

والمواهب العملية في الكنيسة تنقسم إلى قسمين كبيرين:

القسم الأول: ويختص بشئون الكنيسة نفسها وفيه نالت الكنيسة موهبتين عظيمتين:

١ ـــ موهبة **التدبير أي حكم الكنيسة كلها** χάρισμα κυβερνήσεως

٢ ـــ موهبة **خدمة الإحتياجات الجسدية** χάρισμα διακονίας

القسم الثاني: ويختص بالمواهب التي تذيع مجد الله، لتشديد المؤمنين وتقوية معنويات الكنيسة، وهي تنقسم أيضاً إلى نوعين:

١ ـــ عمل قوات ἐνεργήματα δυνάμεων

٢ ـــ مواهب شفاء χαρίσματα ἰαμάτων

«ولآخر موهبة شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات» (١ كو١٢: ٩، ١٠).

وهاتان الموهبتان ولو أنهما حسب الظاهر تبدوان عملاً إضافياً على الإيمان، إلا أنهما كانتا ذا شأن عظيم في تأسيس الكنيسة وتقويتها، وإعلان مجد الله الذي فيها، خصوصاً في أيامها الأولى وفي فترات اضطهادها.

موهبة القيادة (التدبير κυβέρνησις)

أما بخصوص موهبة قيادة الكنيسة وتدبيرها، فأصبحت ضرورة حيوية منذ أول لحظة اجتمع فيها المؤمنون معاً؛ وذلك بسبب كثرة المواهب التي تدفقت على المؤمنين في البداية، والتي احتاجت لمن يسوسها و يضرمها و ينميها.

وقد سكب الروح القدس على بعض الأشخاص هذه الموهبة، فجعلهم محبوبين

وقادرين أن يجمعوا المتفرّقين، و يصالحوا المتخالفين، و يشجّعوا المواهب، و يسندوا الضعفاء، و يقدّموا المستحقين للكرامة.

ولهذه الموهبة يرجع الفضل في إقامة القسوس في الكنيسة أولاً ...

وقد استعارت الكنيسة اسم هذه الوظيفة القيادية أي شيوخ πρεσβύτεροι أو قسوس، من وظيفة الكاهن في المجمع اليهودي قديماً.

ولكن بتدعيم النظام الكنسي وظهور اختصاصاته الشعبية في البلاد اليونانية، استعاروا اسم الوظيفة المعادلة لها في النظام الحكومي اليوناني وهو ἐπίσκοποι أي أساقفة ومعناها الحرفي **النظارة العليا**، أي الهيمنة فوق شئون الكنيسة كلها. وكانت هذه الكلمة أصلاً إسماً لوظيفة المهيمنين على شئون الشعب في المقاطعات التابعة لأثينا قديماً.

ونجد في رسالة بطرس الرسول استخدام الإسمين معاً ــ أي القس والأسقف ــ للتعبير عن وظيفة وعمل الكاهن. فجاءت كلمة قسوس، لتعني إسم الوظيفة التي يقوم بها الكاهن. وكلمة أساقفة، لتعني اختصاصات هذه الوظيفة «أطلب إلى **الشيوخ** (القسوس) الذين بينكم أنا **الشيخ** (القس) رفيقهم، والشاهد لآلام المسيح، وشريك المجد العتيد أن يعلن، ارعوا رعية الله التي بينكم **نظاراً** (أساقفة ἐπισκοποῦντες)، لا عن اضطرار بل عن اختيار» (١بط ٥: ١، ٢).

وبهذا المعنى أيضاً يستخدم سفر الأعمال كلمة قسوس وكلمة أساقفة معاً لنفس الأشخاص باعتبار أن القسوسية اسم وظيفة والأسقفية طبيعة عملها: «ومن ميليتس أرسل إلى أفسس واستدعى **قسوس الكنيسة** فلما جاءوا إليه قال لهم... احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها **أساقفة** ἐπισκόπους لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه» (أع ٢٠: ١٧، ٢٨).

ولكن لا يُفهم من هذا أن كلمة أسقف تعني نظارة إدارية فقط بل هي تفيد معنى رعاية الشعب روحياً، أي حمل مسئولية قيادة وتدبير النفوس لإدخالها ملكوت

السموات، **فعمل** الأسقف ἐπισκοπεῖν يعادل تماماً في مفهوم الكلمة **عمل** الراعي ποιμαίνειν.

ومنذ البداية، كان يقام في كل كنيسة عدّة قسوس لرعاية الشعب وتدبير الكنيسة؛ وبمرور الزمن صار من المحتم إقامة واحد من بينهم يتقدّمهم وصار هذا المتقدم له اختصاص النظارة العليا فاختص بلقب الأسقف دون غيره، ومن هنا بدأت كلمة أسقف تأخذ معنىً منفصلاً عن القس، وبالتالي بدأت اختصاصات الأسقف تتميز عن اختصاصات القس، باعتبار الأسقف «رئيساً» على الكنيسة كلها ومتقدّماً على الكهنة. وقد ظلّت رتبة «مقدّم الكهنة» مستمرة في الكنيسة حتى اليوم إنما بدرجة قس بعد أن انفصلت رتبة الأسقفية عن القسوسية في كافة اختصاصاتها(٢).

---

(٢) [إن مجلس القسوس (الشيوخ) المسيحي، مثل مجلس المشيخة اليهودي الذي اشتُق منه، كان هيئة متحدة شرعية. وكان الأسقفف ــ باعتباره حاكم كنيسته ــ ببساطة قساً بين زملائه القسوس.

ولم يكن للقس المسيحي في البداية ــ شأنه شأن نموذجه اليهودي الأوّلي ــ وظائف ليتورجيّة (أنظر صلاة تكريس القس ــ في التقليد الرسولي لهيبوليتس «*»)، أما وظيفة «الأسقفية» فكانت منذ البدء ليتورجية قبل كل شيء، شأنها شأن «الشمّاسية» (أنظر صلاة تكريس الشمامسة ــ التقليد الرسولي لهيبوليتس «*»).

أي أن تاريخ الأسقفية تضمن تفككاً مطرداً في تفرُّدها بالخدمة الليتورجية، هذا التفكك الذي لم يكن ممكناً تجنّبه إذ أنه بنمو الكنيسة وجب أن يصير هكذا لمجرد ضرورة (التزايد) العددي]:

Gregory Dix (S.P.C.K.) Apost. Trad. of St. Hippolyt. of Rome, pp. lxxix & lxxx.

«*» صلاة لرسامة أسقف (تكريس أسقف)

(مترجمة عن الأصل اليوناني للقوانين الرسولية Apost. Constit.

للقديس هيبوليتُس ــ القرن الثالث)

١ . ياالله وأبو ربنا يسوع المسيح، أبو الرأفات وإله كل تعزية، «الساكن في الأعالي والناظر إلى المتواضعات»، الذي يعرف كل الأشياء قبل كونها.

٢ . أنت الذي حدّدت حدود كنيستك «بكلمة نعمتك»، الذي سبقت فعيّنت منذ البدء جنس البر من ابراهيم، وأقمت رؤساءً وكهنة ولم تترك مَقدِسك بلا خُدّام، الذي سررت منذ تأسيس العالم أن تتمجّد في الذين اخترتهم.

ولكن في البدء لم يكن هناك تفريق بين كلمة القس وكلمة الأسقف في شيء، وكانت هذه الدرجة تتوقف كلياً على «الموهبة» الممنوحة من النعمة للشخص، فالذي يزكّي أي إنسان لدرجة القسوسية أي الأسقفية، لرعاية وتدبير وحكم الكنيسة، هو الروح القدس، بما يسبق ويمنحه للإنسان من مواهب للقيادة والتدبير.

وموهبة القيادة والتدبير، موهبة دقيقة للغاية لأنها ليست موهبة حرة منفردة كبقية المواهب، مثل موهبة النبوة أو البشارة أو التعليم، ولكنها مرتبطة بمسئوليات ثابتة

---

٣ . الآن أيضاً أُسكب قوة الروح الرئاسي، التي من عندك، التي دفعتها إلى ابنك الحبيب يسوع المسيح، التي وهبها لرسلك القديسين الذين أسسوا الكنيسة في مواضع قدسك، لتمجيد وتسبيح اسمك بلا انقطاع.

٤ . أيها الآب «العارف قلوب الجميع»، امنح عبدك هذا الذي اخترته للأسقفية **ليرعى قطيعك** المقدس، و يكمل لك رئاسة الكهنوت، **ويخدم** بلا لوم ليلاً ونهاراً بلا انقطاع، لكي يسترضي وجهك و يقدّم لك **قرابين** كنيستك المقدسة.

٥ . ولكي بروح رئاسة الكهنوت يحوز سلطاناً **ليغفر الخطايا** حسب وصيتك، و يعطي قِسَماً (κλήρους أي الرسامات الخاصة بدرجات الكهنوت) كأمرك، **وليحلّ كل رباط** بسلطانك الذي أعطيته للرسل، و يرضيك بوداعة وقلب نقي، و يصعد إليك رائحة سرور.

٦ . بابنك يسوع المسيح ربنا، الذي لك معه ومع الروح القدس المجد والقوة والكرامة، الآن [وكل أوان] وإلى دهر الدهور. آمين. Ibid., pp. 4-6.

«●» رسامة (تكريس) قس

(مترجمة عن الأصل اليوناني .Apost. Constit)

١ . ياالله وأبو ربنا يسوع المسيح ...

٢ . ...

٣ . ... بلا انقطاع (نفس الفقرات ١ــ٣ في صلاة رسامة الأسقف).

٤ . اطّلع على عبدك هذا الذي اخترته **ليُعطى القسوسية**، واملأه من روح النعمة **والمشورة، ليعضد ويدبّر** شعبك بقلب نقي

٥ . وكما اطّلعت على شعب اختيارك، وأمرت موسى أن يختار شيوخاً، (أولئك) الذين ملأتهم من الروح.

٦ . هكذا الآن يارب امنح أن يبقى روحُ نعمتك بيننا لكي ــ إذ يمتلىء من **أعمال الشفاء وكلمة التعليم، يهذّب** بوداعةٍ شعبك، ويخدمك بفكر نقي ...، و يكمّل الخدمات الكهنوتية لشعبك بغير عيب بمسيحك، الذي لك معه ومع الروح القدس، المجد والكرامة والعبادة إلى الدهور. آمين. Ibid., pp. 13 & 14.

وخطيرة، إذ أن الشخص يكون مسئولاً عن كافة الرعية، بما في ذلك أصحاب المواهب الممتازة. لذلك استلزمت موهبة التدبير كفاءة وإلهاماً خاصين، يؤهّلانها أن تكون على مستوى الأبوة الكاملة لكافة الشعب، وفي نفس الوقت أن تكون على مستوى كافة المواهب الأخرى وليست من دونها (٣).

ومن هنا بدأت شروط اختيار القس أو الأسقف ذات تدقيقات كثيرة، ولكن أهمّها على وجه العموم أن يكون صاحب «موهبة التدبير»، أي يكون له إلهام القيادة وتصريف الأمور والقدرة الروحية التي لا تخطىء في الحكم على الأمور: «يَحكُم في كل شيء، ولا يُحكَم فيه من أحد».

ومن الأمور الواضحة جداً في الكنيسة الأولى أن القس أو الأسقف لم يكن له مفهوم الرئاسة المطلقة على الكنيسة، فالشعب كان يشترك اشتراكاً فعلياً في كافة مسئوليات الكنيسة حتى في أدق الأمور، فلم يكن القسوس أو الأساقفة ينفردون بالتدبير، أو بإصدار الأحكام من دون اجتماع الشعب ومشورته، وخاصة أصحاب المواهب فيه (٤).

---

(٣) [١. اختاروا إذن لأنفسكم أساقفة وشمامسة، لائقين بالرب، رجالاً ودعاء نزيهين، أمناء مزكّين؛ لأنهم يكمّلون أيضاً لكم خدمة الأنبياء والمعلّمين ٢. فلا تحتقروهم إذن، لأن هؤلاء هم المكرّمون بينكم مع الأنبياء والمعلمين]. (الديداكيه ١٥: ١، ٢).

[... لأجل هذا أيضاً أيها الأسقف، أسرع أن تثبت طاهراً في أعمالك كلها، و(أن) تعرف موضعك ورتبتك أنك **مثال الله قدام الناس لما صرت رئيساً على الناس كلهم: الكهنة والملوك والرؤساء والآباء والأولاد والمعلّمين وكل الذين تحت خضوعك**] (دسق ٣: ٥٢).

(٤) [وأما أنت (المخاطب هنا هو الأسقف) فتأمّل الذي يُفرّقونه، وانظر عيشته بحكمة لتعلم من هو، وأيّ نوع هو.

فإذا وجدت الذي قيل لك لأجله حقاً، اصنع معه كتعليم الرب: خذه وحده وليس معك أحد، وبّخه بينك وبينه لكي يتوب.

فإذا لم يطع خذ معك آخر أو اثنين. وهكذا فقل له توانيه واردعه بوداعة وحكمة... فإذا طاب قلبه بكلامكم أنتم الثلاثة، فالخير يكون له. وأيضاً إن لم يسمع من الإكليروس، فقل للكنيسة. فإن لم يُطع الكنيسة، ==

وهذا نراه مطبقاً حتى في كنيسة الرسل بأورشليم التي كانت تضمّهم جميعاً «حينئذ رأى الرسل والمشايخ (القسوس) **مع كل الكنيسة،** أن **يختاروا** رجلين منهم فيرسلوهما إلى أنطاكية» (أع ١٥ : ٢٢).

ولم يكن هذا مجرد تنازل عرفي، ولكن سجّله الرسل في الخطاب الرسمي الذي أرسلوه إلى أنطاكية، فجعلوا بذلك لمشورة الكنيسة الصفة الرسمية الحتمية في التقرير: «الرسل والقسوس **والإخوة...** رأينا وقد **صرنا بنفس واحدة،** أن **نختار** رجلين ونرسلهما إليكم» (أع ١٥ : ٢٣-٢٥).

ومن هذه الصيغة الكنسية الرسمية، يظهر معنى الكنيسة وطبيعتها و بالأخص من حيث تدبيرها.

فموهبة القيادة والتدبير تشمل ضمن صميم عملها وإلهامها، قدرة القس أو الأسقف على إشراك الشعب في التدبير، واستخلاص حكم الله من أفواه الرعية!

وهذا بطبيعة الحال، يُزيد من أهمية وخطورة التدبير في قيادة الكنيسة ورعايتها، و يكشف مدى الإلهام الحقيقي الذي في موهبة التدبير.

والمعروف في الكنيسة الأولى أن موهبة القيادة والتدبير كانت موهبة قائمة بذاتها، وعملها هو الهيمنة على كافة المواهب الموجودة في الكنيسة، من نبوة و بشارة وتعليم وخدمة، وتنسيق عمل أصحاب هذه المواهب وتوجيهها، بالإضافة إلى إمكانيات المدبِّر نفسه، الموهوبة له لبناء النفوس وقيادتها بالروح، أي الرعاية. أي أن موهبة التدبير هي موهبة قائمة أساساً على افتراض وجود مواهب أخرى، وذلك لقيادتها ومباشرة عملها وتنسيق اختصاصاتها، وتشجيعها واضرامها، وامتحانها وتمييزها.

فليكن عندك مثل الأممي والعشار، ولا تقبله في الكنيسة كمسيحي بل استعفِ منه كأممي. فإذا أراد أن يتوب اقبله إليك مثل أممي لأنك لا تقبل إليك الأممي والعشار لكي يشتركا معك قبل أن يتوب الواحد منهما و يرجع عن نفاقه الأول...] (دسق ٨ : ٦ــ ١٢).

وبذلك كانت موهبة التدبير غير مستقلة بكيانها كموهبة منفصلة عن باقي المواهب، ولكنها في نفس الوقت لها عملها الخاص بعد كل المواهب الأخرى وفوقها.

«**أنبوة** فبالنسبة إلى الإيمان، أم **خدمة** في الخدمة، أم **المعلم** في التعليم، أم **الواعظ** في الوعظ... **المدبر فباجتهاد**» (رو١٢: ٦، ٧، ٨).

«... فوضع الله أناساً في الكنيسة، أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلمين، ثم قوّات؛ وبعد ذلك مواهب شفاء، أعواناً **ومدبرين**» (١كو١٢: ٢٨).

وهذا في الواقع وضع إلهي للكنيسة، لأنه يُعطي فرصة لإزدهار المواهب ونموها، وفي نفس الوقت يضبطها ويمنع تعارضها أو تداخلها معاً.

فمن أخطر مسئوليات المدبر أن لا يطغى على أصحاب المواهب، بسبب أمور شخصية أو جهل أو عناد، فيطفىء الروح من الكنيسة: «لا تطفئوا الروح(٥)، لا تحتقروا النبوات(٦)، امتحنوا كل شيء(٧)» (١تس٥: ١٩، ٢٠). لذلك فإن التدبير

---

(٥) [وأما الأنبياء، فدعوهم يشكرون، بقدر ما يريدون] («تعاليم الرسل» الديداكيه ١٠: ٧).

(٦) [وكل نبي يتكلم بالروح (القدس)، لا تجرّبوه ولا تفحصوه، لأن كل خطيئة تُغفر، أما هذه الخطيئة فلن تغفر] (الديداكيه ١١: ٧).

(٧) [١. كل من يأتيكم و يعلّمكم كل الأشياء المتقدم ذكرها فاقبلوه.
٢. ولكن إن كان الذي يعلّم، يغيِّر من نفسه و يعلم تعليماً آخر للهدم، فلا تصغوا إليه؛ أما إذا كان يعلّم من أجل ازدياد البر ومخافة الرب، فاقبلوه كالرب.
٣. أما من جهة الرسل والأنبياء، فطبقاً لأمر الإنجيل تصرّفوا بهذه الطريقة:
٤. كل رسول يأتيكم فاقبلوه كالرب.
٥. ولا يمكث أكثر من يوم واحد، وإذا وُجدت ضرورة فيوماً آخر أيضاً؛ فإن بقي ثلاثة أيام فهو نبي كذّاب.
٦. وفي رحيل الرسول لا يأخذ سوى الخبز للطريق، فإن طلب فضة فهو نبي كذاب.
٨. لكن ليس كل من يتكلم بالروح هو نبي، بل من كانت له طرق حياة الرب. فمن أساليب حياته إذن، يُعرف النبي الكاذب والنبي الحقيقي.
٩. كل نبي يأمر بمائدة بالروح ولا يتعفّف عن الأكل منها، فهو نبي كذّاب.
١٠. وكل نبي يعلّم بالحق ولا يعمل بما يعلّم، فهو نبي كذّاب] (الديداكيه ١١: ١-٦، ٨-١٠).

في الكنيسة لزم أن يكون «موهبة وإلهاماً ونعمة»، وليس قدرة شخصية أو كفاءة ذاتية!

وفي نفس الوقت، لا يمكن أن يستهين أصحاب المواهب بالمدبر، أي القس أو الأسقف، لأنه صاحب «موهبة» أيضاً، وموهبة التدبير لها الهيمنة والإشراف على كافة المواهب قاطبة...

والذي يعطي موهبة التدبير صفتها الإلهية فوق المواهب الأخرى، هو وضع اليد؛ فهي الموهبة الوحيدة التي لا يمكن أن تأخذ عملها وتباشر سلطانها ومسئوليتها داخل الكنيسة، إلا بوضع اليد. فوضع اليد يرفع موهبة التدبير فوق كافة المواهب الأخرى، باعتبار أن وضع اليد بمثابة ختم رسولي لتسجيل موهبة التدبير، وإعطائها **اختصاصات** رسولية.

ولكن هذا الإمتياز الرسولي الفائق لا يعطي المدبرين، قسوساً أو أساقفة، فرصة التعالي على الشعب، بل يزيد من قدرتهم في اقترابهم واتحادهم بالشعب[٨]...

لأن كافة الإمتيازات الروحية التي لموهبة القسوسية أو الأسقفية، لا يظهر مجدها أو إكليلها في الحياة الحاضرة. «أطلب إلى **الشيوخ (القسوس)** الذين بينكم **أنا الشيخ (القس) رفيقهم** والشاهد لآلام المسيح، وشريك المجد العتيد أن يُعلن. ارعوا رعية الله التي بينكم نُظّاراً (أساقفة)، لا عن اضطرار بل بالإختيار؛ ولا لربح قبيح بل بنشاط، **ولا كمن يسود على الأنصبة**، بل صائرين أمثلة للرعية. **ومتى ظهر رئيس الرعاة، تنالون إكليل** المجد الذي لا يبلى» (١ بط ٥ : ١ — ٤).

---

(٨) [٤٤ . ارع القطيع بغير غطرسة ولا ازدراء كأن لك عليهم سلطاناً، لكن كراع صالح تجمع الحملان إلى حضنك وتقوّى الحبالى فكن رحيماً صالحاً وديعاً... ولا مترفع القلب...

٤٥ . ولا تهزأ بالشعب الذي تحتك] (دسق ٤ : ٤٤، ٤٥).

[ولكن لا يهون الملك بأجناده وعساكره الذين هم دونه. لا يهون الرؤساء من هم دونهم... الرؤساء لا شيء إذا لم يكن لهم من يرأسون عليه... ولا يتعال الأسقف على الشمامسة والقسّاء ولا يتعال القسّاء على الشعب لأن قيام الكنيسة بعضها ببعض. لو لم يكن علمانيون على من يكون الأسقف أو القسيس] (قوانين الآباء الرسل: الباب ٤٩).

تداخل موهبة التدبير في موهبة التعليم:

بتقدم الكنيسة في الزمن وظهور تعاليمها واحتكاكها المستمر بالثقافات والفلسفات اليونانية، ابتدأت تواجه مبادىء وأفكاراً وتعاليم غريبة، احتاجت منذ أول ظهورها إلى قدرة كبيرة لحاجاتها وتفنيد أخطائها، وقطع الطريق عليها لمنع انتشارها بين المؤمنين السذّج، فابتدأ التعليم في الكنيسة يحتاج إلى سلطة، وابتدأت السلطة في الكنيسة تحتاج إلى عمق كبير ووعي في التعليم متزايد.

لذلك اضطرت الكنيسة لمواجهة هذا الضغط المتزايد، أن تمزج بين موهبة التعليم وموهبة التدبير بحكم الظروف الصعبة، فجعلت من بعض المعلمين قسوساً.

وبذلك ابتدأت تظهر في الكنيسة فئة جديدة من المدبرين أي القسوس، لهم صفة «التدبير التعليمي» بجوار التدبير الرعوي، هذه الفئة أوضحها بولس الرسول «والبعض رعاة ومعلمين» (أف ٤ : ١١).

وهكذا صار لدى الكنيسة رعاة **مدبّرون (حاكمون)**، ورعاة **معلمون**:

رعاة مدبّرون [٩] πρεσβύτεροι κυβερνῶντες

---

(٩) الرعاة المدبّرون (الأساقفة):

على مدى الدسقولية كلها، نرى أن كل أثقال المؤمنين وتدبير احتياجاتهم الروحية والجسدية ــ كجماعة بصفة عامة وكأفراد بصفة خاصة ــ ملقاة على الأسقف (دسق ٥ : ٣٨ــ٤٠)، يعاونه في ذلك الشمامسة المتّصلون به اتصالاً مباشراً دون وسيط، باعتبارهم «أعين وآذان وفم الأسقف» (٨ : ٥٠).

فعلى الأسقف أن يقوم بالتعليم العام للشعب (٣ : ٢١-٢٣)، والتعليم الفردي للجهّال (٣ : ٢٠ و٣٩ــ٤٥، ٤ : ٣٨)، وإنذار المنافقين (٣ : ٣٠ــ٣٨)، وتقوية الضعفاء (٣ : ٧٠، ١٥ : ١١)، وطلب الضالّين وردّهم وتثبيتهم (٣ : ٣٩، ٤ : ٣٩ و٤٠)، وتشجيع صغار النفوس واليائسين (٤ : ٣٦، ٨ : ٢٠، ١٥ : ١١) وبذله ذاته عنهم (٤ : ٣٧)، وتعزية الثابتين (٣ : ٥٣)، وتجنّب إعثار ناقصي القامة (٣ : ٤٦ــ٤٨، ٤ : ٩ــ١٢ و١٦ و١٧)، وتوبيخ المخطئين (٤ : ١٣، ٨ : ٦ــ٩)، وقبول التائبين (٣ : ٥٣ــ٥٥ و٦٠ــ٦٢) والعفو عنهم (٤ : ١٥ــ٢١، ٨ : ٢٢ــ٢٤)، والحكم باستقامة في القضايا (٣ : ٥٩، ٨ : ١ــ٣ و٥٣ و٦١ــ٨٧)، ومعاقبة المذنبين (٤ : ٦، ٨ : ٦٧ــ٧١ و٨٣ و٨٤)، وردع الأشرار أو =

ثم ابتدأ أن يُشترط في الأساقفة عند اختيارهم، لا موهبة التدبير فحسب بل زيد على ذلك القدرة على التعليم، وذلك بسبب الظروف الصعبة التي بدأت تواجهها الكنيسة في مقاومة التعاليم الغريبة. ولكن لم تشترط الكنيسة في الأسقف أن يكون صاحب «موهبة تعليم»، بل اكتفت فقط أن يكون «**صالحاً للتعليم**» (١تى٣: ٢). لأنه يتعذر فعلاً العثور على إنسان له موهبة التعليم وموهبة التدبير معاً، لإختلاف طبيعة كل من هاتين الموهبتين عن الأخرى.

ولكي يكون الأسقف «صالحاً للتعليم»، يرى الإنجيل أنه ينبغي أن يجتهد بذاته للحصول على المعرفة باجتهاده، وهذا طبعاً يختلف عن صفات الموهبة، لأن «موهبة العلم» لا تعتمد على الإجتهاد الشخصي. وهذا نقرأه بوضوح في الشروط التي يضعها القديس بولس الرسول لصلاحية الأسقف أن يكون الأسقف «ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم، لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح و يوبخ المناقضين» (تى١: ٩).

وهنا يتبين أن أمر انتخاب الأسقف ولياقته لا يتعلق بموهبة التعليم، وإنما بالدراسة

= قطعهم (٨: ٣٧–٤٤)، وسد احتياجات رجال الإكليروس وخدم الكنيسة (٦: ١٧–٢٣)، ورعاية الأرامل (٦: ٢٠، ١٢: ١، ١٧: ١) والأيتام (١٧: ١–٤)، وسدّ أعواز الغرباء، والمتضيِّقين، والمساكين، والجياع والعطاش، والعرايا، والمرضى، والمسجونين، والذين ليس لهم مكان، والمنفيين (٣: ١٦، ٦: ١٧، ١٢: ١٢–١٧).

وواضح من تعاملات الأسقف – السابق ذكرها – مع شعبه على اختلاف طوائفهم فرداً فرداً، أن إيبارشية الأسقف كانت محدودة – كنيسة أو قرية أو مدينة واحدة (أنظر دسق٣: ١ و٣)؛ إذ أن نظام الأسقفية الواحدة على عدة مراكز رعوية Monarchical Episcopate لم يكن قد وُجد بعد.

(١٠) الرعاة المعلّمون (القسوس):

أما القسوس، فالدسقولية لا تتكلم بشأنهم كثيراً. و يظهر دورهم أنهم معلّمون للكنيسة كجماعة (المقدمة: ٣، ٦: ١٠ و٢١)، بالإضافة إلى قيامهم بتعليم الموعوظين وتعميدهم (١٥: ٣٦)؛ كما أنهم مشيرو الأسقف (٦: ٢١)، وأعضاء في مجلس الحكم (٨: ٦٢).

المستمرة والقراءة والتحصيل الشخصي، حتى يكون «**قادراً**» أن يعظ و يوبّخ و يناقض التعليم الغريب(١١).

ولكن هذه القدرة الجديدة المطلوبة من الأسقف، لا تعني أنه يمكنها بأي حال من الأحوال أن تلغي مواهب التعليم التي يمنحها الروح القدس لأفراد الشعب، لأن موهبة التعليم التي ينالها الموهوبون بالنعمة إيجابية مطلقة لبناء الإيمان؛ أما القدرة على التعليم التي يتحصل عليها الأسقف من القراءة والدراسة، فهي لمجرد التمييز بين التعليم الصحيح والخطأ.

وحينما يشير بولس الرسول، إلى أهمية قدرة الأسقف على أن «يفصل كلمة الحق بالإستقامة» (٢تى٢: ١٥)، يستخدم كلمة «يفصل» أو «يقطع» وهي كلمة ذات أصل ومدلول طقسي قديم فهي نفس الكلمة المستخدمة في طقس «تقطيع» الخروف على المذبح، وتفيد التقسيم الصحيح وفصل ما يصح أن يقدَّم لله، مما لا يصح تقديمه.

وهنا نجد أن بولس الرسول يجعل «الكلمة» تحل محل «الخروف» فيقول: «يفصِّل (أو يقطِّع) كلمة الحق» وطبعاً المسيح هو المرموز إليه سواء في الخروف أو «كلمة الحق» أي أن الأسقف يلزم أن يكون واعياً تماماً للكلام الذي يطابق شخص المسيح ولاهوته، فأصبحت كلمة «يقطع» أو «يفصل» هنا ذات مدلول لاهوتي صرف(١٢).

---

(١١) [وليكن الأسقف غير شرير، صابر القلب في التعليم، يعلّم كل حين، و يدرس ويجتهد في الكتب الربانية، و يستمر في القراءة ليفسّر الكتب بتأنٍ...] (دسق٣: ٢١).
[اهتم بالكلمة أيها الأسقف، لكي إذا كانت لك قدرة فسّر الكتب كلها ــ كل حرف (فيها)، لكي تُشبع شعبك وتسقيه من نور الناموس بغنى، بواسطة كثرة تعليمك «اضيئوا بنور المعرفة ــ قال الرب ــ مادام الزمان»] (دسق٣: ٢٣؛ أنظر كذلك الفقرات ٣: ٣٠ــ ٤٠).

(١٢) [...(الأسقف)... و يفسّر الإنجيل باتفاق مع الأنبياء والناموس، هكذا أيضاً فليكن تفسير الناموس والأنبياء متفقاً مع الإنجيل ــ لأن الرب قال «فتّشوا في الكتب فهي تشهد لأجلي» وأيضاً: «لأن موسى كتب من أجلي». =

فالأسقف هو حارس التعليم الصحيح، أكثر منه معلم، وهو عليه أن يميِّز الكلام، أكثر مما يتكلم.

وهذا يطابق وظيفته تماماً «كناظر من أعلى»، أي كمن يشرف على كل ما يقال في الكنيسة.

فإذا ابتدأ الأسقف يعلِّم بنفسه، فإنه في الحقيقة يكون قد نزل قليلاً عن مستواه كأسقف إلى مستوى المعلِّم، حيث يُحتمل أن يكون تحت مراقبة غيره وحكم آخرين، خصوصاً إذا دخل في مجال التنبؤ.

ولكن بختام العصر الرسولي تقريباً، وبسبب قيام انحرافات وبدع إيمانية خطيرة بدأت تهدد الكنائس، مالت الكنيسة أكثر إلى ضرورة الجمع بين موهبتي التعليم والتدبير «أما الشيوخ (القسوس) **المدبّرون حسناً**، فليُحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة، ولاسيا الذين **يتعبون في الكلمة والتعليم**» (١تى٥: ١٧).

أما بعد انتهاء العصر الرسولي، فقد صار من المحتم على الأسقف أن يكون معلِّماً قبل كل شيء، بسبب دخول الكنيسة في حرب مع الهراطقة والمعلمين الكذبة، الذين لم يكفوا أبداً حتى اليوم.

انتقال اختصاصات الرسل في الحل والربط، إلى الأساقفة بوضع اليد:

لقد وهب الرب الرسل موهبة أخرى فوق كل المواهب وهي موهبة الحل والربط، التي هي مغفرة الخطايا وعدم مغفرتها.

وتعتبر هذه الموهبة حابسة لكافة المواهب بسبب نفاذ مفعولها على مستوى سمائي، فالحل والربط أو الغفران وعدم الغفران الذي يجريه الرسول على الأرض يصير نافذ المفعول في السماء، هذا السلطان الخطير أعطى للكنيسة امتداداً سرياً ودخولاً صميمياً في الحياة الأخرى الأبدية. كما أمدَّ الرسل بقوة فائقة لرفع ثقل الخطايا وآثارها من

= ولكن قبل كل شيء، (عليه أن) يميِّز جيداً الناموس الحقيقي من الناموس الثاني، ويُظهر ما هو الناموس قدام المؤمنين، وما هو رباط الناموس الثاني لغير المؤمنين ـــ لكي لا يكون أحد تحت الرباطات] (دسق٣: ٢١، ٢٢).

ضمائر الشعب، كنعمةٍ وهبة عالية من هبات المسيح الفائقة الوصف. فإبن الإنسان الذي له وحده السلطان أن يغفر الخطايا على الأرض، سلَّم الرسل هذا السلطان عينه، كإمتداد لوجوده وبرهان على عمله الدائم في الكنيسة «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت٢٨: ٢٠).

ولقد ظهرت قيمة هذا السلطان الذي للحل والربط أكثر فأكثر في محيط التدبير الكنسي، حينما واجهت الكنيسة مواقف حرجة وصعبة، إزاء معلمين ومدبرين وأساقفة مبتدعين خارجين عن الإيمان الصحيح.

لذلك صار من الضروري، بل ومن المحتم، أن يسلِّم الرسل سلطان الحل والربط للأساقفة بوضع اليد الرسولية، حتى يباشروا تدبير الكنيسة بنفس القوة والسلطان الرسولي المسلَّم من المسيح نفسه(١٣).

ومن أمثلة رؤساء الكنائس الذين نالوا هذا السلطان الرسولي بوضع اليد، برنابا وتيموثاوس وسلوانس وأندرونيكوس وسيلا ومرقس، وبقية الذين عيَّنهم الرسل أساقفة بوضع اليد، فصاروا واعتُبروا أساقفة رسوليين، الذين تسلسل منهم بقية الأساقفة من جيل إلى جيل.

ولكن لم تنتقل «موهبة الرسولية» نفسها إلى الأساقفة بوضع اليد، إنما الذي انتقل إليهم هو اختصاصات الرسل وليس مواهبهم.

فـ«موهبة الرسولية»، كانت بحد ذاتها موهبة فريدة أعطاها المسيح لأفراد معينين ولم تتكرر في الكنيسة، وقد كانت هذه الموهبة فريدة فعلاً لأنها جمعت في ذاتها كافة المواهب. فالرسل كانوا أنبياء وبشيرين، ومعلمين وأصحاب لغات، وذوي كلام

---

(١٣) [... فإن لك السلطان أن تدين الذين أخطأوا، لأنكم (أيها الأساقفة)، أنتم الذين قال لكم: «إن الذي تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، والذي تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السموات. أحكم أيها الأسقف بسلطان **كمثل الله** ــ لكن الذين يتوبون اقبلهم إليك...] (دسق٣: ٥٢، ٥٣).

حكمة وكلام علم، وأصحاب تمييز أرواح وحكاماً ومدبِّرين، وشهداء، وفوق ذلك كله تقدسوا برؤية الرب وسماع كلامه «أنتم أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به» (يو١٥: ٣).

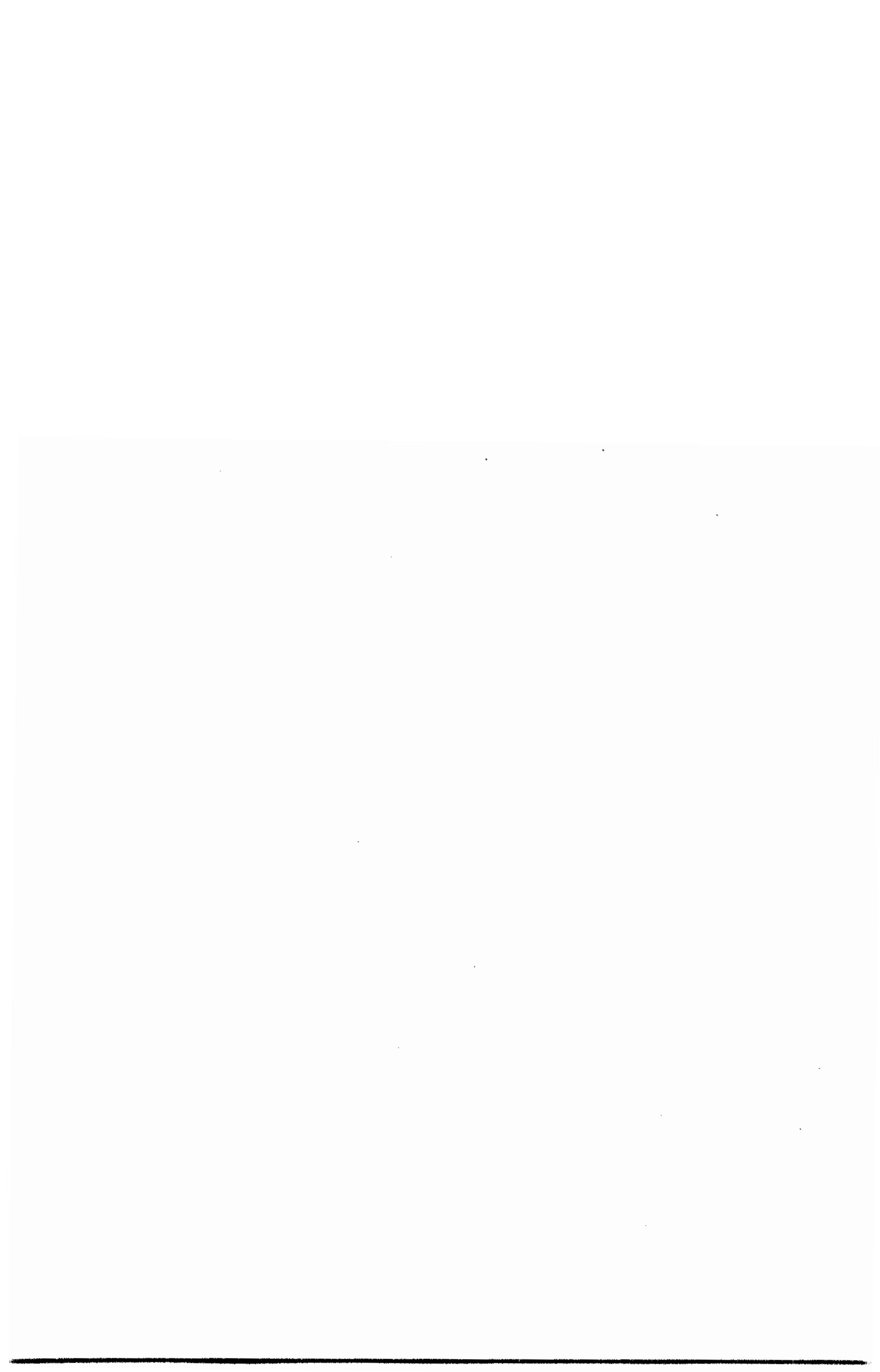
هذه المواهب كلها توزعت بعد ذلك فصار من العسير أن تجد بعد الرسل أسقفاً يحمل أكثر من موهبة!...

لذلك فوضع يد الرسولية، لم تنقل مواهب الرسل للأساقفة وإنما نقلت إليهم اختصاصاتهم والتزاماتهم فقط؛ وأهمَّها حفظ الإيمان، والتعليم الصحيح، وتدبير الرعية، وفصل كلمة الحق باستقامة، والفقر، والإستعداد للإستشهاد.

أما مواهب الرسولية وإلهاماتها، فظلت من اختصاص الروح القدس يمنحها لواحد بقدر، ولآخر بقدر آخر؛ كمسرة الله، واستعداد الشخص واستحقاقه. □

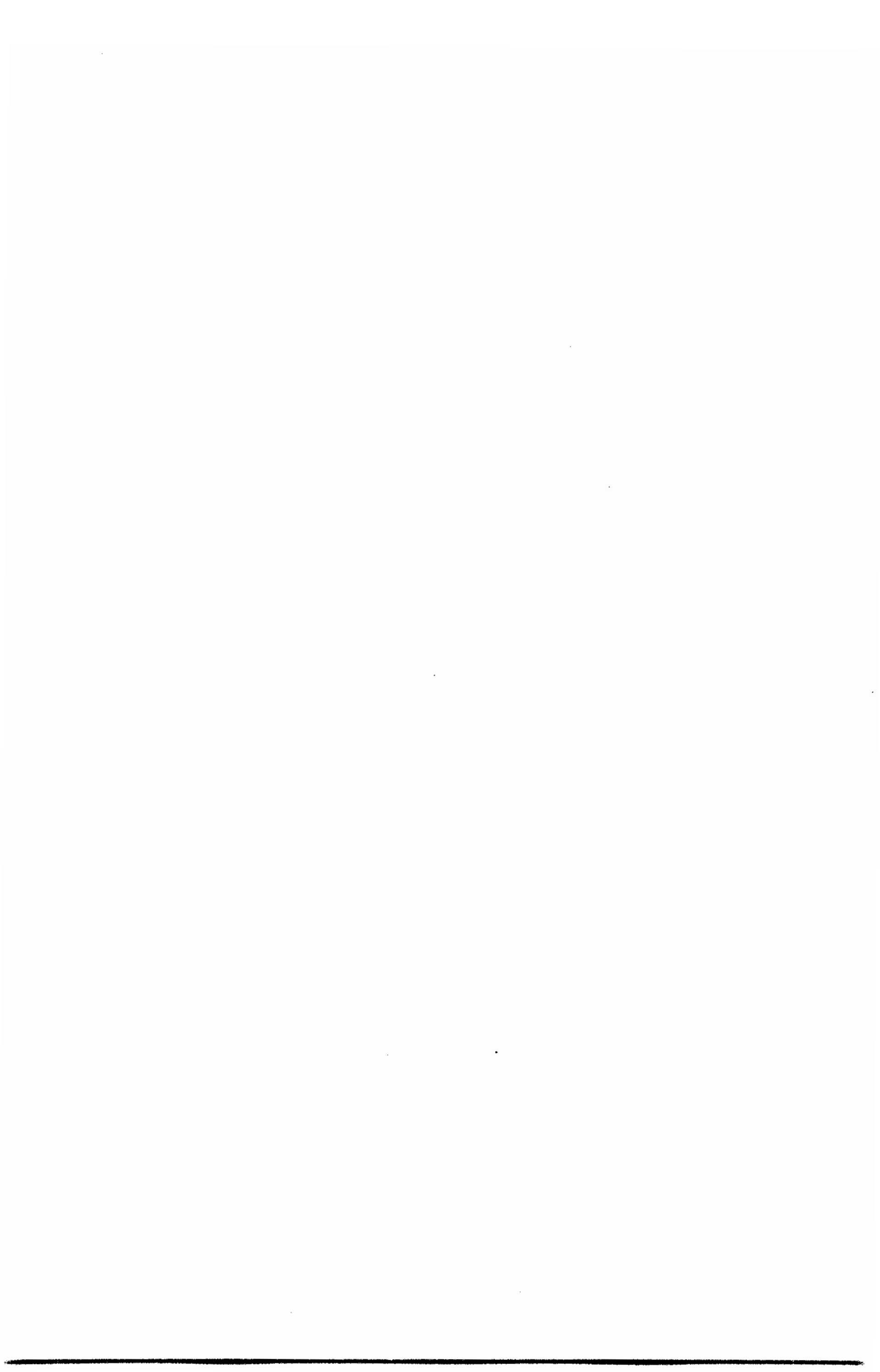
* * * * *





الروح القدس
وحركات التبشير المعاصرة

أغسطس سنة ١٩٧٦



الروح القدس وحركات التبشير المعاصرة

يموج العالم اليوم بحركات روحية كثيرة ذات طابع تبشيري، يصحبها أحياناً مواهب، مثل موهبة الشفاء، وإخراج الشياطين، والتكلم بألسنة، وغير ذلك، و يشترك في هذه الحركات جماعات من كل الكنائس: بروتستانتية وكاثوليكية وأرثوذكسية (خلقيدونية) مع كهنة وأساقفة وكاردينالات.

و يلزم أن نعبِّر للقارىء عن موقفنا من هذه الحركات:

أولاً:

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة تقليدية محافظة، تقبل تاريخياً ولكنها لا تعترف لاهوتياً بأية حركة روحية خارجة عنها، لأن الموافقة اللاهوتية تلتزم حتماً بموافقة عقائدية مسبقة. ولكن الكنيسة القبطية ليست منعزلة فهي تقيس نفسها على حركة الروح في كافة أنحاء العالم لكي لا تكون أقل بل أكثر دائماً.

ثانياً:

من جهة المواهب، كان من تقليد الكنيسة وواجباتها الأساسية، أن كل موهبة خارج الأسرار السبعة التقليدية تظهر في الشعب، يلزم أن تتحقق منها الكنيسة بمعرفتها في الحال؛ فإذا تأكدت من صحتها، أعلنت ذلك وأدخلت صاحبها ضمن الدرجات الكهنوتية[1]، إذا لم يوجد ما يمنعه عن ذلك، لتصير خدمته من داخل الكنيسة وتحت ملاحظتها[2]. أما إذا تحققت من عدم صحتها منعت صاحبها من القيام بأي اتصال

---

(١) القوانين الرسولية لهيبوليتس «١٠»: [إذا قُيِّد معترف بالسلسلة وأُلقي في السجن من أجل الإسم، فلا ينبغي أن توضع عليه اليد ليكون شماساً أو كاهناً لأنه أصبح مالكاً لوظيفة (كرامة τιμή) الكهنوت باعترافه ولكن إذا اختير ليكون أسقفاً ينبغي أن توضع عليه اليد].

أنظر: The Apost. Trad., by Greg. Dix, p. 18.

(٢) القوانين الرسولية لهيبوليتس «١٥»: [إذا أخذ أحد العلمانيين موهبة الشفاء باستعلان، يعتبر كاهناً بدون وضع اليد عليه لأن الأمر ظاهر بحد ذاته (لأن العمل نفسه سيظهر ذلك)].

بالشعب وأعلنت ذلك. وأي إبطاء في ذلك يصيب الكنيسة ببلبلة.

ثالثاً:

ما يتردد اليوم بخصوص هذه المواهب، نود أن نعلن أن في حالة ظهور مواهب روحية مفاجئة (تؤمّن الكنيسة على صحتها بعد فحصها) في أي شخص مؤمن نال المعمودية ومارس بقية الأسرار، لا يكون ذلك برهاناً على ضعف أو بطلان الأسرار أو عدم فاعليتها؛ بل على العكس فإن هذا يعتبر فعلاً إضافياً من أفعال الروح القدس، أُضيف على عمل الروح في الأسرار، ليهيىء الشخص لعمل إضافي للخدمة، أو التبشير، أو الشهادة، أو لمجرد الإعلان عن حقيقة عمل الروح القدس ووجوده في الهيكل البشري الجديد، لإثبات صحة الإنجيل وحقيقة الروح القدس نفسه.

رابعاً:

لا يسمى عمل الروح القدس الإضافي هنا «معمودية» بأي حال من الأحوال، بل يسمى **امتلاءً بأفعال إضافية للروح القدس** كقول الكتاب للمؤمنين في أفسس: «امتلئوا بالروح مكلّمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب» (أف ٥: ١٨، ١٩)، **أو يسمى إضرام الموهبة** التي في الإنسان أصلاً كقول بولس الرسول لتيموثاوس: «أذكرك أن تضرم أيضاً موهبة الله التي فيك بوضع يديّ لأن الله لم يعطنا روح **الفشل** بل روح **القوة** والمحبة والنصح» (٢تى ١: ٦، ٧)، «لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي القسوسية. اهتم بهذا وكن فيه لكي يكون **تقدمك ظاهراً** في كل شيء. لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك لأنك **إذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً**» (١تى ٤: ١٤—١٦).

و يلزم أن يدرك كل أرثوذكسي أن كلمة «المعمودية بالروح القدس» التي تقال اليوم على كل إنسان يمتلىء بفعل الروح القدس، محاولة خبيثة للإنتقاص من سر المعمودية. فلو أدرك القارىء أن كلمة «المعمودية بالروح القدس» لا تستقيم هكذا بمفردها، إذ يلزم أن يفهم أنها **معمودية بالروح القدس للمسيح**، لأن الذي يعتمد

بالروح **يعتمد لموت المسيح وقيامته**، وهكذا يستحيل أن تتكرر المعمودية (٣). كذلك يتضح أن كلمة معمودية بالروح لا تقتصر على مفاعيل ظاهرة بل تشمل اتحاداً سرياً بموت المسيح وقيامته ونوال سر الحياة الأبدية.

ويمكن مقارنة عمل الروح القدس في سر المعمودية، ثم عمله بعد ذلك عندما يتقبل الإنسان مفاعيل جديدة (حيث تضرم الموهبة الأولى وتصير متقدة بغيرة للخدمة والحب والبذل) بما تم في حياة المسيح. ففي المعمودية في الأردن حل الروح القدسَ على المسيح، فاقتاده للجهاد الشخصي والتجربة مع الشيطان، ثم على جبل التجلي ظهر بنور ومجد ظاهري وشهادة من الآب مسموعة؛ هكذا يعمل فينا الروح القدس أولاً في الداخل و بعد ذلك في الخارج، أولاً نرتوي نحن وثانياً نروي الآخرين.

خامساً:

وامتداداً من النقطتين السالفتين، أي أن مواهب الروح القدس التي تظهر على المؤمنين بعد نوالهم الأسرار الكنسية التقليدية هي مواهب إضافية أو أفعال ممتدة من فعل أو **موهبة الأسرار السابقة**، «اضرم الموهبة **التي فيك**»، يتبين لنا بوضوح أن هذه المواهب هي أفعال إضافية يعطيها الروح أو لا يعطيها، وقد يأخذها إنسان ولا يأخذها آخر؛ فهي ليست حتمية. لذلك **فالسعي الزائد إليها أو الإلحاح الشديد لنوالها** وخصوصاً من الأشخاص الذين لم يقع عليهم اختيار الله للخدمة يعتبر انحرافاً خطيراً قد يفسد الإيمان و يوقع الإنسان إما في خطر اليأس في حالة عدم النوال، أو في خطر العجرفة والإستظهار في حالة نوال هذه المواهب الإضافية، إذ يشعر في نفسه كأنه نالها بذراعه و بدون الكنيسة!!

أما بالنسبة للذين اختارهم الله للخدمة، أو تقدموا هم لحمل نيرها في الكهنوت والشموسية، فإن السعي الحثيث (بالصلاة المتخصصة)، لإضرام الموهبة التي فيهم التي

(٣) أي أن الإنسان بالمعمودية يجوز الموت فعلاً و يقوم للحياة الأبدية فعلاً فهل يمكن أن يموت الإنسان مرتين أو يقوم مرتين؟ إن تكرار المعمودية فوق أنه جهل بلاهوت الخلاص، هو أيضاً تلويث لقانون الإيمان: [ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا...].

أخذوها بوضع اليد، ليتقد فيهم فعل الروح وقوته، يعتبر واجباً مستمراً والتزاماً كنسياً، إذا أهملوه يحسبه عليهم الكتاب على لسان بولس الرسول أنه «روح فشل» حلّ فيهم عوض «روح القوة»، وأنه تقهقر في حمل مسئولية الكرازة عوض «لكي يكون **تقدمك** ظاهراً»، وإهمال للخلاص «تخلص نفسك والذين يسمعونك».

سادساً:

وامتداداً من النقطة السالفة يتضح أن هناك خطراً واضحاً على الذين ينالون المواهب الفائقة الإضافية من جهة الإحساس بالتميز، وكأنهم نالوا هذه المواهب لأنهم أفضل من غيرهم، والحقيقة أنه فضلاً عن أن نوال المواهب **الفائقة** الإضافية هو واجب بالنسبة للخادم إلا أنه نير أيضاً، «فكل من أُعطي كثيراً يُطلب منه كثير ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر» (لو١٢: ٤٨)؛ ليس من جهة الثمر فقط بل ومن جهة سمة الروح القدس الأساسية وهي التواضع **الفائق**، والذي يتحتم أن يظهر في العلائق بالرؤساء والزملاء والأبناء.

لأن من شأن المواهب الفائقة أنها تزيد من الإحساس بالقوة الروحية والإستنارة الإنجيلية والتفوق في السلطان الروحي، وخصوصاً عندما تصير الكلمة بالصلاة نافذة المفعول، أو الخدمة مؤثرة بصورة سرية فائقة، أو باختصار عندما يصير مع الكلمة الروحية فعل روحي معين فائق. فإذا قارن الإنسان نفسه بغيره ممن ليس فيهم هذا الفعل الفائق يصيبه سهم الشيطان فيغتر أو يتعالى «ولئلا أرتفع بفرط الإعلانات أُعطيتُ شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني لئلا أرتفع» (٢كو١٢: ٧)، فيستصعب الشخص الروحاني واجبات الخضوع لمن هم ليسوا في مستواه، أو يستصغر من فعل الأسرار في حد ذاتها، أو يتعالى على كنيسته ورؤسائها وأسرارها. هنا ينبغي أن يلتفت الإنسان المغرور بمواهبه العلنية أن هناك أفعالاً روحية ومواهب فائقة غير منظورة وغير معلنة أو ليست على مستوى الآية والمعجزة، وهي في نفس الوقت أعلى من الآية والمعجزة، مثل فعل المحبة الإلهية وفعل الصبر أو البذل أو التواضع الإلهي، أو فعل الإستنارة والتميز بالروح، هذه كلها أفعال فائقة للروح القدس ولكن ليست على

مستوى العلانية الواضحة. ومن الأمور التي ينبغي أن ترسخ في أذهان ذوي المواهب، أن أي دينونة يقيمها الإنسان على غيره من جهة أفضليته على الآخرين، أو اهتمامه بمواهبه أكثر من اهتمامه بأسرار الكنيسة الثابتة، كفيلة بأن تَحوُل بينه و بين مصدر قوته وتنقلب موهبته إلى تجربة قد تجره إلى الهلاك.

لذلك أصبح من الضروري جداً لذوي المواهب أن لا يكتفوا بمواهبهم، وأن يدينوا أنفسهم دائماً ولا يخفوا ضعفاتهم وراء مواهبهم، و يتعلموا من بولس الرسول كيف يقمعون الجسد!! ولا يظهروا للناس أنهم وحدهم المتكلمون بفم الله، لأن ليس فعل الآيات أو التنبؤ أو مواهب الشفاء أو إخراج الشياطين أو عمل الآيات والمعجزات قادر بحد ذاته أن يضمن لنا الخلاص، فالمسيح حذَّر جداً من جهة هذا الأمر بقوله: «كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب **أليس باسمك تنبأنا و باسمك أخرجنا شياطين و باسمك صنعنا قوات كثيرة؟** فحينئذ أصرح لهم **إني لم أعرفكم قط** اذهبوا عني **يافاعلي الإثم**» (مت ٧: ٢٢، ٢٣).

ولكن ليس من المعقول إطلاقاً أنه بسبب هذه المخاطر التي ترافق أصحاب المواهب أن يهرب الخدام من المواهب أو تستغني الكنيسة عن المواهب. وهنا يتضاعف العبء على المسئولين في الكنيسة حتى لا تؤول المواهب إلى عثرات فينطفىء الروح في الكنيسة.

مواهب الكلمة ومواهب الفعل:

واضح في العمل الكرازي أنه يوجد مجالان لعمل الروح القدس:

١ . **مجال الكلمة:** وهنا يعطي الروح القدس استنارة وفهماً ومعرفة بأصول الخلاص والفداء والتبرير من واقع كلمة الإنجيل وكتابات الأنبياء والآباء الملهمة، هنا عمل الروح القدس ينصب في كشف سر المسيح كما يقول بولس الرسول: «إنه **بإعلان عرَّفني بالسر كما سبقتُ فكتبتُ** بالإيجاز الذي بحسبه **حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح**، الذي في أجيال أُخر لم يعرّف به بنو البشر كما قد **أُعلن** الآن لرسله القديسين وأنبيائه **بالروح**» (أف ٣: ٣-٥).

وهنا يعمل الروح القدس في الكارزين بواسطة مواهب الكلمة لكل ما يلزم للبشارة بالإنجيل لإقناع الفكر لإطاعة الإيمان «يذكركم بكل ما قلته لكم». أي أن عمل الروح القدس يتجه في المبشرين بالكلمة لإقناع فكري وروحي **لإنارة الإنجيل في الذهن** للذين قبلوا الإيمان، أما الذين رفضوا الإيمان فلا تصبح مواهب الكلمة ذات تأثير بالنسبة لهم: «الذين فيهم إله هذا الدهر (الشيطان) قد **أعمى أذهان** غير المؤمنين لئلا تضيء لهم **إنارة إنجيل** مجد المسيح الذي هو صورة الله» (٢كو٤: ٤).

أي أن **مواهب الكلمة لازمة وحتمية بالنسبة للمؤمنين**، وهذا هو الذي نسميه بالوعظ التعليمي لبناء الإيمان وتغذية القلب بالمعرفة الإلهية لنمو الحب الإلهي والإستزادة من الإرتواء لتكميل العشرة مع الله.

٢ . مجال الفعل: وهنا لا يعطي الروح القدس شيئاً للكارزين، ولكن يعمل بنفسه إنما من خلال خدمة الكارز بالإنجيل حيث يلهب جو الكرازة بتأثير فائق على كل ما يتصوره العقل.

فمجال الخدمة يكون مشحوناً بتأثير فعّال مبكّت بشدة، حيث تكون الكلمات بسيطة للغاية وليس فيها ما يدعو للتأثير الشديد، ولكن يصحبها قوة خارقة غير عادية للإقناع بدون محاجاة أو ضغط، هنا الروح القدس يكون حاضراً ولا يصعب أن يحسه الجميع برهبة وخوف وبفرح شديد أيضاً. و يشير بولس الرسول إلى هذا **الفعل باعتباره قوة مباشرة من الروح القدس لجعل «الكلمة» فعالة** ونافذة المفعول: **«بالإنجيل الذي صرت أنا خادماً له** حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي **حسب فعل قوته»** (أف٣: ٦، ٧).

هنا الروح القدس يعمل في القلوب بقوة مباشرة وليس في العقول حيث **يحدث التبكيت بشدة، والضغط المتواصل على الضمير للإعتراف بكل الخطايا الثقيلة والمخبوءة، والإستسلام للرب لتقديم الحياة بكل لهفة وإصرار.**

ومواهب **الفعل** تمتد لتشمل كل الآيات والمعجزات والأعمال الخارقة، لا كأنها استعراضات لقوة الروح القدس ولكن للشهادة للكلمة، ولتثبيت صدق الإنجيل

وتمجيد الرب، وذلك لجذب الخطاة لطاعة الإنجيل لمجد الله.

لذلك، فإن كانت مواهب «**الكلمة**» لازمة جداً لنمو المؤمنين في الإيمان والمعرفة والحب والحياة مع الله، **فمواهب** «**الفعل**» لازمة جداً لغير المؤمنين وللمؤمنين البعيدين عن حياة التقوى، كما يقول بولس الرسول: «ولكن إن كان الجميع يتنبأون (الوعظ الروحي المبكت) فدخل أحد **غير مؤمن أو عامي** فإنه **يوبخ** من الجميع، **يُحكم عليه** من الجميع وهكذا **تصير خفايا قلبه ظاهرة** وهكذا! **يخرّ على وجهه** و يسجد لله منادياً أن **الله بالحقيقة فيكم**» (١كو١٤: ٢٤، ٢٥).

وإن كنا نلاحظ أحياناً أن «**مواهب الكلمة**» تكون لفئة من الكارزين متخصصة في مجال المؤمنين للوعظ الإنجيلي وشرح الكلمة للبناء، وأن «**مواهب الفعل**» لفئة أخرى من الكارزين متخصصة في وعظ التوبة لتبكيت الشاردين والباردين والمناداة للبعيدين وغير المؤمنين بقوة سرية فائقة؛ إلا أن كثيراً من الأحيان أيضاً **نجد مواهب** «**الكلمة**» **ومواهب** «**الفعل**» **يعملان معاً** للدعوة والملء، للتوبة والبناء، لتسليم الحياة والنمو في المعرفة معاً، كما يقول بولس الرسول: «حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشراً **لإنجيل** الله ككاهن **ليكون قربان الأمم مقبولاً ومقدساً بالروح القدس**... لأجل إطاعة الأمم **بالقول والفعل** بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله» (رو١٥: ١٦ــ١٩).

لذلك فالكنيسة التي تضعف فيها مواهب «**فعل**» الروح القدس تقل فيها مباشرة القدرة على التبكيت والتوبة والتبشير لمؤمنين جدد. أما الحصول على مواهب «**فعل**» الروح القدس فلا تأتي للكاهن والكارز بالدراسة والإجتهاد في المعرفة، ولكن بالدخول في مجال الروح القدس مباشرة، للتبكيت الشخصي والتوبة وتسليم الحياة بالصلاة الحارة المتواترة والإعتراف الشامل بالروح الصادق، حتى يصبح الكارز إناءً حاملاً للروح، لأن «مواهب الفعل» ليست شيئاً آخر سوى حضور الروح القدس المتكلم والعامل «روح الحق يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع **يتكلم به ويخبركم** بأمور آتية. ذاك يمجدني لأنه **يأخذ مما لي ويخبركم**»

(يو١٦: ١٣، ١٤).

سابعاً: نوعان أساسيان للملء الروحي:

كذلك من الأمور التي أصبح من الضروري أن يعرفها المتشوقون للملء الروحي أن هناك نوعين للإمتلاء من الروح:

١ ــ نوع **ينبع في الإنسان** للإنسان ذاته وهذا أعلنه المسيح للسامرية: «من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه **يصير ,, فيه ،، ينبوع** ماء ينبع إلى حياة أبدية» (يو٤: ١٤). وهذا الملء الشخصي هو الذي يعطي المواهب الشخصية اللائقة بالنفوس الهادئة المحبة للعزلة والإختلاء، مثل المحبة والإتضاع والإستنارة والعشرة الملتهبة مع الرب والصلاة العميقة والدراسة والتأمل في أقوال الله، مع النصرة الكاملة على الأهواء والشهوات وقمع الجسد.

٢ ــ أما النوع الثاني **فهو ينبع ,, من ،، الإنسان** للآخرين، وهذا أعلنه المسيح في اليوم الأخير من عيد المظال قائلاً: «من آمن بي كما قال الكتاب **تجري ,, من ،، بطنه أنهار ماء حي.** قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد» (يو٧: ٣٨، ٣٩).

وهذا الملء واضح أنه ليس شخصياً فهو للآخرين. وهذا هو الملء الذي تصاحبه مواهب البشارة والخدمة والرعاية والتعليم والنبوة والوعظ والتبكيت بالروح وتمييز الأرواح والآيات.

ولكن ليس معنى هذا أنه يوجد تحديد قاطع مانع، فربما يمتلىء الإنسان من النوعين أو يبدأ بواحد و يكمل بالآخر، وفي معظم الحالات يختار الروح القدس للإنسان ما يناسبه من الملء والمواهب. ولكن المهم أن لا يفتخر أصحاب الملء الواحد على الملء الآخر، والأهم أن يوجد لدى الكارزين ملء على كل حال.

كذلك يستحيل أن يعطي الروح القدس مواهب لإنسان وهو في أعماق نفسه لا يشعر بحاجة حقيقية إليها، أو لخادم يشتهيها وهو لا يستطيع أن يتاجر بها.

والمواهب في حد ذاتها ليست أهدافاً نجري وراءها بل هي أدوات ممتازة ومؤهلات فائقة لمهنة العبادة الشريفة أخذاً وعطاءً، لذلك فكل من ليست العبادة الحقة غايته الصادقة ومهنته الشريفة. فالمؤهلات أي المواهب تبدو بالنسبة له متعاً وكماليات مرفوضة.

ثامناً: اللاهوت والخبرات الروحية الفردية:

ما هو اللاهوت وما هي الخبرات الروحية؟

١ ـ اللاهوت في أبسط تعريف له هو استعلان صفات الله وطبيعته في مقولات واضحة قاطعة مفهومة وقابلة للإدراك العقلي. هذه المقولات ثابتة غير متغيرة Static. لذلك فهي أحكام لا تنقض، كأن يقول الله على لسان موسى في سفر التثنية: «هذه هي الوصايا والفرائض والأحكام التي أمر الرب إلهكم أن أعلمكم لتعملوها... اسمع ياإسرائيل **الرب إلهنا رب واحد**» (تث٦: ١، ٤) أو أن يقول الرب يسوع المسيح: «**أنا والآب واحد**» (يو١٠: ٣٠).

٢ ـ أما الخبرات الروحية الفردية في أبسط تعريف لها فهي استعلان مشيئة الله وقصده في قلب الإنسان والإعلان عن عمله. وفي هذه الخبرات يتقابل الفرد مع الله في الصلاة أو بالإلهام أو الرؤية. وهذه الخبرات إما تخص الفرد في نفسه أو تخص الجماعة أو الكنيسة. وهذه المقابلة مع الله لا تقف عند حدود ثابتة بل تتغير من يوم إلى يوم ومن موقف إلى موقف؛ فهي غير ثابتة، متغيرة، متحركة Dynamic، كقول بولس الرسول: «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة **نتغير إلى تلك الصورة** عينها **من مجد إلى مجد** كما من الرب الروح» (٢كو٣: ١٨). وعن خبرته الخاصة يقول: «إنه لا يوافقني أن أفتخر، فإني آتي إلى مناظر الرب وإعلاناته. أعرف إنساناً... اختطف إلى الفردوس **وسمع كلمات لا يُنطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها**» (٢كو١٢: ١ـ٤).

وليس ما يقوم به الكاهن أو الخادم من وعظ كل يوم إلا خبرة روحية خاصة في إطار أحكام اللاهوت العامة أخذها لنفسه ليحيا بها و يعطيها للشعب جميعاً... ولكل

كاهن وواعظ خبرته الخاصة.

وهكذا بينما أحكام اللاهوت ثابتة وعامة يخضع لها الجميع، باعتبارها استعلانات مصدقة أتت إلينا من الله بإستعلان فائق سابق، فنتلاقى فيها جميعاً كحقيقة ذات سلطان، كقانون يتحتم الخضوع له خضوعاً مذعناً كاملاً، نجد الخبرات الروحية استعلانات شخصية فردية لا تلتزم بها الجماعة، وإن كانت أحياناً تقبلها الجماعة وتقننها كخبرة القديس أنطونيوس مثلاً وخبرة القديس باخوميوس. «فالتوحد» بدأ كإلهام وخبرة فردية شخصية خالصة عند أنطونيوس الشاب العلماني، ونظام الشركة بدأ كإلهام وخبرة فردية شخصية خالصة عند باخوم الجندي المسرّح من الخدمة، ولكن بعد نجاح خبرة كل منهما وهما علمانيان أميّان، أخذت بها الكنيسة فصار نظام التوحد ونظام الشركة في العبادة طقسين كنسيين رسميين.

ولقد كانت الكنيسة القبطية أول كنيسة في العالم تحتضن هذه الخبرة الروحية الشخصية العلمانية وتدخلها داخل الكنيسة وتصيرها طقساً كنسياً رسمياً. وعن الكنيسة القبطية أخذت كافة كنائس العالم هذا الوعي التدبيري المتسع الحكيم الذي ظل يخدم الكنيسة ألف وستمائة سنة. علماً بأن البابا الذي شهد هذا الإلتحام بين «التوحد» و«الشركة» كنظامين علمانيين رسميين و بين الكنيسة كحارسة على اللاهوت والعقيدة والعبادة، هو أثناسيوس أب الباباوات وأب العقيدة وحامي الإيمان القويم!!

وهكذا نشأ في مصر أول معانقة رسمية بين اللاهوت العقائدي يُمثله أثناسيوس الرسولي البابا الإسكندري، ولاهوت الخبرة الروحية الشخصية العلمانية و يُمثله القديسان أنطونيوس و باخوميوس.

وماذا نشأ عن ذلك الإلتحام؟

نشأ لاهوت عقائدي (كهنوتى) **ذو خبرة روحية** (علمانية) عند الباباوات والكنيسة.

ونشأ لاهوت روحي شخصي **ذو أصالة لاهوتية عقائدية** عند القديسين وسكان البراري...

ومنذ ذلك الحين وكل من الفريقين ــ فريق اللاهوت العقائدي و يُمثله الكهنوت برئاسة البابوات وفريق لاهوت الخبرة الروحية و يُمثله طغمة الرهبان العلمانيين ــ يحمل مسئولية هذه المصالحة العظمى بين فرعي اللاهوت اللذين يقوم عليهما جسم الكنيسة عقلاً وروحاً، كهنوتياً وعلمانية !!

أما هذا الإنسجام الإلهي المنقطع النظير بين لاهوت العقيدة ولاهوت الخبرة الروحية الذي نشأ في مصر مبكراً جداً فقد صدّرته مصر إلى كافة أنحاء العالم عندما أملى أثناسيوس قانون الإيمان الأرثوذكسي على العالم كله، وعندما وضع كل من أنطونيوس و باخوميوس الخطوط الكاملة لمنهج التوحد الرهباني والشركة الرهبانية.

ولا يفوتنا هنا أن نؤكد مرة أخرى أن الرهبنة القبطية نشأت كحركة علمانية صرف (٤)، **ولعل إصرار القديس باخوميوس أب الشركة في العالم كله أن يظل علمانياً بدون درجة الشموسية بالرغم من إلحاح البابا أثناسيوس عليه مما اضطره إلى الهروب من وجهه ليبقى علمانياً حتى الموت، هذا الإصرار العنيد ينطوي على سر الأهمية البالغة لدور العلمانية في الحياة الكنسية، هذا الدور الذي كان يريد أن يؤمّنه القديس باخوميوس للطقس الرهباني بعيداً عن الضغط الرئاسي الكهنوتي للإبقاء على النظام العلماني الرهباني الحر حفاظاً على نقاوة الحياة الروحانية الملهمة بالروح القدس في شكلها الرهباني البسيط المتضع كجزء أساسي في البناء الإيماني العام، على أن يبقى مؤازِراً ومكمِّلاً للدور الكهنوتي الرئاسي (الهيرارشي).**

وهذا الإتجاه بحد ذاته أخصب الفكر اللاهوتي الكنسي على ممر العصور، إذ نعلم يقيناً من التاريخ الرهباني أن القديسين الرهبان اضطلعوا بدور الأنبياء للكنيسة إعلاناً

---

(٤) لا تزال الكنيسة القبطية متمسكة بهذا التقليد إذ تذكر الرهبان في كل صلواتها بعد الكهنة والشمامسة، أما في قراءة التحليل فلا تذكر الرهبان إطلاقاً باعتبارهم من طغمة الشعب: [عبيدك يارب خدّام هذا اليوم القمامصة والقسوس والشمامسة والإكليروس **والشعب**...].

(تحليل الخدام ــ القداس الإلهي).

للحق الإنجيلي والحياة بمقتضاه، فتأيد اللاهوت بالخبرات الروحية الفردية الملهمة، وفي نفس الوقت حُفظت الخبرات الروحية الفردية في أمان خلال نموها الدائم داخل الإطار اللاهوتى المحكم!!(٥).

وهكذا رسخ في التقليد الشرقي أن أية محاولة لإستقلال الحركات الروحانية القائمة على خبرات شخصية عن مضمون اللاهوت وأحكامه ووصاية رجال اللاهوت المسئولين، خطر كل الخطر ينذر بالسقوط و بتصدع الألفة التقليدية بين اللاهوت والخبرة الروحية الفردية.

كذلك فإن ترفع اللاهوتيين التقليديين عن الخبرة الروحية الشخصية الملهمة بالروح القدس خطر ينذر بجمود اللاهوت وحرمانه من صوت الله في الأشخاص الملهمين، كما ينذر بجفاف المقولات اللاهوتية مما يؤدي حتماً إلى ضمور الروح في الكنيسة.

وهكذا استقر في التقليد الكنسي أنه **لا لاهوت بدون خبرات روحية (علمانية) ولا خبرات روحية بدون لاهوت (كهنوت).**

لأن هذا وذاك إنما هما عقل الكنيسة وقلبها.

تاسعاً: العطش الروحي وأوان الملء:

يشهد هذا الجيل ربما في العالم كله عطشاً للروح منقطع النظير، فبقدر ما تفنن الشيطان في غواية الشباب وأسقاهم من نقع الخطيئة والخلاعة وأعمى أذهان المؤمنين وغير المؤمنين عن إنارة إنجيل المسيح، إلا أن الروح في وسط هذه السنين الماجنة أبقى له بقية خرجت تطلب وجه الرب بإلحاح وجوع وعطش شديد، شيء لم يسبق أن رآه العالم، ولعل الله ذكر رحمته أيضاً لمصر من وسط هذا الغضب كقول حبقوق النبي: **«يارب قد سمعت خبرك فجزعت. يارب عملك في وسط السنين أحيه. في**

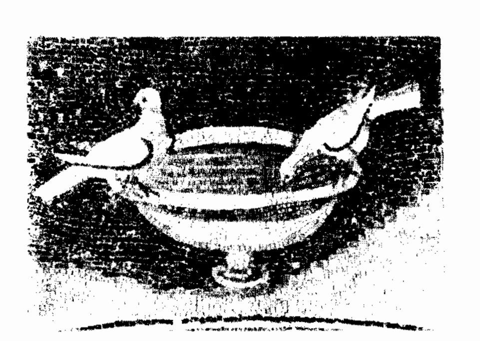
(٥) على أن الرهبنة كحركة علمانية روحانية ملهمة بالروح القدس، حافظة وملهمة للتراث الكنسي، ظلت تضعف على مر الزمن بقدر تداخلها في الرئاسات الكهنوتية وخضوعها الذليل لشهوة الكهنوت.

وسط السنين عرِّف. في الغضب اذكر الرحمة» (حب٣: ٢).

فهذه الجموع الحاشدة من الشباب التي تجتمع في الكنائس إنما تعبِّر عن العطش الروحي الذي أصبح يلح طالباً الملء، وهذا في الحقيقة هو بدء المدّ الكبير الذي وعد به الله على لسان إشعياء النبي أن يكون في الأيام الأخيرة: «لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر» (إش١١: ٩)، حيث ينسكب الروح مجاناً ليشرب منه كل عطشان إلى معرفة الله: «أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه والذي ليس له فضة، تعالوا اشتروا وكلوا، هلموا اشتروا بلا فضة و بلا ثمن خمراً ولبناً» (إش٥٥: ١).

فطوبى للذي يعطش الآن لأنه زمان الملء، وطوبى لمن يشرب ويمتلىء
كقول الروح في سفر الرؤيا: «من يعطش فليأتِ.
ومن يُرِد فليأخذ ماء حياة مجاناً»
(رؤ٢٢: ١٧).

□ □ □





ماذا حدث يوم الخمسين؟

عيد الخمسين يونية ١٩٨١

بمناسبة مرور ١٦٠٠ سنة على انعقاد المجمع المسكوني الثاني بالقسطنطينية لتقرير لاهوت الروح القدس — مايو سنة ٣٨١م



ماذا حدث يوم الخمسين؟

□ □ □

إذا استثنينا المظاهر والملابسات التي صاحبت حلول الروح القدس في ذلك اليوم ــ وهي التي يركّز عليها بعض المنشغلين بيوم الخمسين، فيُضعفون من مضمون أفعال الروح القدس الداخلية في كيان التلاميذ وتفكيرهم وسلوكهم ــ نجد أن هذه الأفعال بحدّ ذاتها، هي أهم ما يحتاج إليه أيّ إنسان يشتاق إلى التوبة واقتناء الروح القدس.

مفاعيل يوم الخمسين:

إن أول ما يسترعي انتباه قارىء سفر الأعمال، هو سرعة التبدُّل المدهشة في سلوك التلاميذ بعد حلول الروح القدس عليهم، إذ انطلقوا بقوة للشهادة بقيامة المسيح؛ فإذا أردنا أن نعرف سرّ ذلك ــ وهذا يهمنا للغاية ــ يلزم أن نعرف أن الروح القدس هو:

أولاً: روح القيامة:

أي الروح الذي أقام يسوع المسيح من بين الأموات بقوة ومجد عظيم. هذا الروح نفسه ــ الحاملُ لمجد القيامة غير المنظورة، ولقوة القيامة الحقيقية ــ دخل أعماق التلاميذ عندما حلَّ عليهم، فاستُعلنت قيامة المسيح لهم على مستوى الواقع الكياني، فسَرى في **أجسادهم وأرواحهم وعقولهم**، أقول أجسادهم، لأن قيامة المسيح ذاتها هي قيامة بالجسد نفسه الذي تألَّم جداً وجُرِحَ جروح الموت النازفة؛ هذه القيامة بالجسد خصَّ جسد التلاميذ منها دفعة قوية جعلتهم يؤمنون و يثقون **بقيامة الأجساد.**

أما أرواحهم فمسَّتها نار الروح القدس نار طبيعة الله الآكلة، فرفعت عنها كلَّ الإحساس بالعجز واليأس والإرتباط بالجسد والأرض، **فأحسُّوا بقيامة الروح أيضاً** مع الجسد ليستوطنوا بمقتضاها السماء و يأخذوا ميراث السمائيين مع المسيح المقام؛ فمنذ

ذلك اليوم تغرَّب التلاميذ عن بيوتهم وأوطانهم، لأنهم استوطنوا السماء فعلاً. لذلك نسمع باندهاش أن هؤلاء الخائفين لم يعُدْ يُرهبهم أيُّ تهديد أو سجن أو ضرب أو قتل، بل كان ذلك يُبهجهم: «وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه» (أع٥: ٤١)؛ لماذا؟ لأن روح القيامة من بين الأموات رفعهم إلى جهة الأمان، ليكونوا دائماً مع زمرة الأرواح في موطن النور.

كذلك فإن الروح الذي أقام يسوع المسيح من بين الأموات، أخذ يفتح عقولهم ليفهموا أسباب هذه القيامة وسرَّها العجيب؛ فروح القيامة الذي سكن جسد التلاميذ وروحهم، سكن عقلهم، وهو نفسه «روح الحق»، لذلك بدأ يعرِّفهم «جميع الحق» (يو١٦: ١٣) من جهة المصالحة التي تمَّت لحساب البشر عندما ارتفع المسيح وجلس عن يمين العظمة في السموات بجسده؛ هكذا أدرك التلاميذ أن القيامة التي صارت فيهم أعطتهم مع المسيح وفي المسيح، سرَّ المصالحة مع الآب.

وهكذا إذ كملت كل مفاعيل القيامة في كيانهم الجسدي والروحي والفكري، انطلقوا في الحال يبشِّرون بقيامة المسيح من بين الأموات، بقوة وحكمة، وإقناع لا يقاوَم، وفي نفس الوقت، بفرح أذهل كل من سمعهم ورآهم، إذ كانوا دائماً في حالة بساطة وابتهاج قلبٍ، دون أيَّة مظاهر من تلك التي نسمع عنها الآن عند الذين ينتمون إلى يوم الخمسين.

ثانياً: روح المحبة، أو روح رفع الحواجز:

فالذي يمنع المحبة، هي الحواجز...

أ: رفع حاجز العداوة مع الله:

حينما سكب الله الروح القدس بغنىً في قلوب التلاميذ يوم الخمسين، كان هو هو روح المحبة الإلهية، الروح الذي به «أحبَّ الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣: ١٦)، وهو أيضاً روح الحياة في المسيح يسوع. لذلك فإن أول ما انتفع به التلاميذ من هذا الإنسكاب، هو أنهم شعروا بسقوط حمل الخطايا عن الجسد، وقشور النجاسة من الأعين، وانكسار رُبُط

ناموس الخطيئة العامل في الأعضاء؛ فشعروا أنهم دخلوا مجال حرِّية أولاد الله، وأحسُّوا بحب الله الغامر، فامتلأوا شكراً وتمجيداً وتسبيحاً وشعروا بقربهم الشديد من الله.

ب: رفع حاجز العداوة مع الشعوب:

ولأن روح محبة الله لا يبقى في قلب المحبوب بلا فعل، لذلك بدأ للحال في كسر الحواجز التي تفصلهم عن كل الناس والشعوب بلا تمييز، لأن الروح القدس الذي أرسله المسيح من عند الآب أُرسل أصلاً للعالم ليصالح الله به العالم لنفسه، بعد أن رفع المسيح حجاب الخطيئة المتوسِّط بين الله والعالم بالصليب، لذلك شعر التلاميذ ــ بالروح الساكن فيهم ــ أن كل القيود والحواجز التي تفصلهم عن كافة الشعوب والطبقات والأجناس، قد سقطت في الحال: «لأن كلكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح، ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبدٌ ولا حرٌّ، ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع» (غل ٣: ٢٧).

هذا الإنفتاح على كافة طبقات الناس وشعوب العالم، لم يَتَأْتَ للتلاميذ كاقتناع عقلي ليفكَّ روابط ذلك التعصُّب الشديد ــ بل كقوة حب إلهي، انسكبت في قلوبهم بفيض غامر.

جـ: رفع الحاجز للتخاطب مع الأمم:

لم يستطع التلاميذ أن يحتملوا طاقة هذا الحب الغامر نحو الآخرين، فطفقوا يتكلَّمون بألسنة هذه الشعوب وكأنهم وُلدوا فيها. هذا هو روح الحب الإلهي الذي سكن قلبهم فحطَّم للحال هذا الحاجز ونطق فيهم بكل ألسنة الأمم.

د: رفع الحاجز للعبادة المشتركة مع الشعوب:

كان التكلُّم بألسنة الأمم، تعبيراً قوياً دامغاً عن أصالة ومعنى هذا الحب، ودعوةً لخدمة هذه الشعوب. وهكذا انطلقوا ليؤسِّسوا هيكلاً جديداً، ليس لسليمان، بل للمسيح في كافة أنحاء العالم.

ونحن نندهش حينما نفحص هذا التسلسل، **فروح المحبة الإلهية** لما انسكب عليهم في

ذلك اليوم، رفع أولاً **حاجز الخطيئة** الذي كان يفصلهم عن الله الآب، ثم رُفِعَ بالتالي **حاجز العداوة والبغضة والتعالي من نحو الآخرين** وكل شعوب الأرض، ثم **انكسر حاجز عدم التخاطب مع الأمم** لما أعطاهم الروح أن ينطقوا بألسنة هذه الشعوب المكروهة، ثم **انكسر حاجز حظر العبادة المشتركة** عندما أقنعهم بتأسيس كنيسة المسيح في شتى أنحاء المسكونة.

ثالثاً: روح الله القدوس، أو روح التقديس:

بحلول الروح القدس على التلاميذ، دخلوا في مجال القداسة الفعلية، لا من حيث الجسد فقط، بل وكلِّ الكيان أيضاً، فحُسِبوا إلى مدى الدهر «الرسل القديسين»، وهذا تعبيرٌ عن التخصص الكلي لله، اللقبُ الذي كان لا يحصل عليه إلا رئيس الكهنة، منقوشاً على التاج «قدسٌ للرب» (خر٢٨: ٣٦)، أو الآباءُ البطاركة الأوائل، أو الأنبياء. لكن هذا لم يصر لقباً للتلاميذ، بل طبيعة جديدة لكيان بشري مخصَّص كلِّيًّا لله؛ لماذا؟ لأن الذي سكن قلوب التلاميذ هو روح الله القدوس، ويستحيل أن يحل الله في هيكل دون أن يقدّسه: «أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم؟» (١ كو٣: ١٦). لذلك صارت القداسة بالنسبة للتلاميذ هي النتيجة المباشرة لحلول الله فيهم يوم الخمسين؛ وكانت هذه بحد ذاتها أعظم هبة للتلاميذ ولكل العالم، لأن الله لم يعد غائباً أو مجهولاً أو مخيفاً للإنسان فيما بعد، بل حاضراً حضوراً فعلياً أحسَّ به التلاميذ وأدركوه ــ وهو الذي كان غير المدرَك ــ لا بالإدراك العقلي الذي يعتمد على الحواس أو التصوُّر، بل بإدراك الكيان للكيان؛ الله صار موجوداً في أعماقهم كحقيقةٍ مدركةٍ أشد من إدراكهم لحقيقة أنفسهم، فكل مجد الله وعظمته اللانهائية مع كل بساطته وحبه صارت تُلهب قلوبهم كالنار. فالحضرة الإلهية بكل ما عُرِفَ عنها من خصائص، صارت هي بعينها التي تكشف عن الله الذي فيهم؛ وكانت النتيجة المباشرة هي هذا السلوك الفائق في القداسة، هذه المحبة، وهذا الإلهام الذي كتبوا به كل ما أحسُّوه وأدركوه عن الله في الأناجيل، التي تكشف عن عمق القداسة التي كانوا يعيشون بها، و يفكّرون و يسلكون و يتأملون فيها.

رابعاً: روح المسيح، أو روح الفداء:

لما تأكد التلاميذ أن المسيح سيُصلب فعلاً و يرحل عنهم، ملأ الحزن قلوبهم، لأن روح المسيح كان غائباً عنهم؛ ولما رأوه قد صُلب ومات فعلاً، ملأ الخوف والهلع والهرب قلوبهم، لأن روح المسيح كان غائباً أيضاً؛ ولما دفن وقبر لثلاثة أيام، أنهى اليأس كلُّ اليأس على رجائهم في المسيّا الفادي؛ ولما قام فعلاً من الموت وظهر لهم، شكُّوا وظلّ إيمانهم بطيئاً برغم كل تأكيداته لهم، لأن روح المسيح لم يكن قد حلّ فيهم بعد.

ولكن لما حلّ الروح القدس يوم الخمسين، انقشعت كل هذه المجهولات المعتمة عن عقولهم، وتبدَّدت المخاوف والشكوك؛ لأن الروح القدس الذي حلَّ فيهم **هو روح المسيح الفادي**، الذي حمل معه إليهم المسيحَ مولوداً، ومصلوباً، وقائماً من بين الأموات، وصاعداً إلى الآب وعلى صليبه كلُّ أحمال خطايا البشرية، فأدركوا كل معنى الفداء؛ فالمسيح الذي غاب عنهم بالصعود وهم في حيرة مما سيعملون و يقولون، عاد إليهم هو نفسه يوم الخمسين بكل قوةٍ وعمل الفداء الذي صنعه، ليسلِّمه إليهم بالروح القدس، لأن بالروح القدس أُكملَ الفداء، أُكملت القيامة، ومنذ ذلك اليوم والمسيح الفادي قائمٌ وموجود (لا في قلب التلاميذ فحسب، بل وفي قلب الكنيسة) بكل قوة الفداء وعمله، متكلماً في أفواههم بالروح القدس عن كل ما يخص الخلاص والفداء، والمصالحة التي أكملها والتي صارت لهم وفيهم.

هذا الحلول الدائم الذي صار للمسيح في قلوب التلاميذ بالإيمان، بواسطة الروح القدس، صار تاريخاً جديداً للكنيسة في قلب كل إنسان يقبل الروح القدس، حيث يصير عمل الفداء عطية فعَّالة لتكميل الخلاص كل يوم، لأن وعده: «ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر» (مت٢٨ : ٢٠)، كان ليس من أجل تعزيتنا فقط، بل أيضاً من أجل تكميل خلاصنا بالكشف المتواصل لمفاعيل الفداء الذي يكمِّله في قلوبنا كل يوم.

*

ولكن الروح القدس هو هو روح المسيح، روح الإبن:

لهذا، ومنذ يوم الخمسين قبل التلاميذ الروح الذي ينطق فيهم ياأبّا الآب، لأن الروح القدس ينطق فينا بفم المسيح مخاطباً الآب بدالة البنين، لهذا فإنه **من عمق الفداء، اقترب التلاميذ جداً من الحدود التي تجمع بين المسيح والله. فالمسيح الذي قدَّم الفداء للآب موجود ومستعلن في قلوب التلاميذ بالروح القدس «روح الإبن»، والآب الذي قَبِلَ الفداء موجود ومُستعلن في قلوب التلاميذ «بروح الله الآب».**

من هنا صار استعلان حدود الفداء، هو استعلان الآب والإبن بالروح القدس، الذي يكشف هذه الحدود السرِّية التي بلا حدود ليُستعلن الثالوث لأول مرة كحقيقةٍ قائمة بالروح القدس في قلوب التلاميذ.

لذلك فإن في استعلان سر الفداء، استُعلنت حدود علاقة الآب بالإبن من أجل المفدين؛ وهكذا لولا الفداء وحلول الروح القدس، ما استطعنا أن ندرك سر الثالوث؛ فالفداء أعطانا حق حلول الروح القدس يوم الخمسين، وفي الفداء كَشَفَ لنا الروح القدس ــ الذي هو روح الآب وروح الإبن ــ عمل الآب والإبن. وهكذا أصبح يومُ الخمسين يومَ استعلان سر الفداء بأعماقه الهائلة، وبالتالي استعلان سر الثالوث الفاعل في الفداء وانكشاف مسرَّة الآب ومسرَّة الإبن ومسرَّة الروح القدس، لخلاص الإنسان.

وبعد يوم الخمسين ــ بل وربما في نفس اليوم ــ بدأ التلاميذ التعميد «باسم الآب والإبن والروح القدس»، وبوضع أيدي التلاميذ حلّ الروح القدس على الأمم أيضاً، فأُدركَ عن يقين وبرهان ــ بواسطة عمل الروح القدس الناطق في المعمَّدين ــ أن الفداء صار لجميع الأمم وليس لليهود فحسب.

وهكذا صار مسيح الجليل والأردن، واليهودية والسامرة وأورشليم، مسيح العالم كله وإلى أقصى الأرض؛ وبدأ الروح القدس يشهد للمسيح ويمجِّده في كل العالم بفم التلاميذ ومَن بَعْدَهم.

خامساً: روح سكب المواهب بغنىً، ولكن على قياس المسيح:

السؤال الذي يلزم أن نبدأ به هذا الموضوع هو لماذا حلَّ الروح القدس يوم الخمسين، ولماذا لم يحل قبل أو أثناء خدمة المسيح؟

هنا الجواب يوضح سر العلاقة الصميمية بين عمل المسيح وعمل الروح القدس، ويحدِّد حلول الروح القدس في يوم الخمسين كضرورة حتمية:

+ لأن الروح القدس يلزم لكي يحلّ ويمنح مواهب أن يكون هناك قياسٌ محدَّد لهذه المواهب يخدم فداءَ الإنسان وتكميل خلاصه. أي كان يستحيل أن يحل الروح القدس قبل أن يكمِّل المسيح تعاليمه و يرسم نموذج الحياة المسيحية وأصول الصلاح، والصفات التي يمكن أن يعيش بها الإنسان وهو في حالة التبني لله. كذلك كان يلزم تكميل كل عناصر الفداء لكي يقدِّمها الروح القدس كأفعالٍ حية لحياتنا.

فلما جاء المسيح ووضع نموذج الإنسان الكامل، وأكمل الفداء وانطلق إلى السماء، أرسل الروح القدس من عند الآب لكي يحلَّ في قلوبنا ويملأنا بروح الحياة، ويهبنا كل صفات المسيح وإيمانه وفكره؛ وهذه هي بعينها مواهب الروح القدس.

+ فمواهب الروح القدس هي نموذج لصفات المسيح، إذا نلناها استطعنا أن نعلن المسيح ونُظهر صفاته، وبهذا يكون الروح القدس قد اضطلع بمهمته الأولى والعظمى، وهي أن يمجِّد المسيح «ذاك يمجِّدني»، «يأخذ مما لي ويخبركم» (يو١٦: ١٤).

+ ثم يضطلع بتلقيننا كلَّ أفكار المسيح «أما نحن فلنا فكر المسيح» (١كو٢: ١٦)، فالروح القدس وهو روح المسيح «يعلِّمنا و يذكِّرنا بكل ما قاله لنا المسيح»، والروح القدس سمَّاه المسيح «روح الحق»، علماً بأن المسيح قال عن ذاته: «أنا هو الحق» (يو١٤: ٦)، وهكذا إذ يحل الروح القدس يعلِّمنا «جميع الحق» أي كل ما للمسيح!! و باختصار يجعلنا مثل المسيح، في كل شيء.

+ وهكذا تتحدَّد معالم وحدود مواهب الروح القدس بصفات المسيح، بمعنى أن كل موهبة ينالها إنسان ولا تكون مطابقة للمسيح عملاً وفكراً وسلوكاً لنصير مثله، تكون

غريبة عن الروح القدس، أي لا تُحسب موهبة صادقة.

لأن الروح القدس هو روح المسيح، ويمتنع أن يعطينا شيئاً بخلاف ما للمسيح: «تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩)، و«يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه» (مت ١٠: ٢٥)!!

+ ولهذا أيضاً قيل إن الله «لا يعطي الروح القدس بمكيال» (راجع يو٣: ٣٤)، لماذا؟ لأن صفات المسيح من جهة حبّه، وصبره، واحتماله، وتواضعه، وآلامه، وطاعته، إنما هي بغير حدود. لذلك كان عمل الروح القدس في التلاميذ يزداد كل يوم بلا كيل، ليسدَّ أعواز البشرية المتعطّلة عن الخلاص، وليقدّم النموذج الكامل للمسيح.

+ الجهل بالإنجيل وبالمسيح، يمنع الملء من الروح:

لأن الروح القدس مرتبط بالمسيح، وقد تحدَّد عمله أن يمجِّد المسيح و يعلنه، تحتَّم على الإنسان أن يكون عارفاً بالمسيح عالماً صفاته؛ وإلا فإن مثل هذه العطايا ستخدُم مجد الإنسان وليس مجد المسيح. وهنا يمتنع الروح القدس أن يعطي الملء الحقيقي الذي يعمل لحساب المسيح فقط؛ لأن الإمتلاء بالروح القدس هو بداية مسيرة الإقتداء بحياة المسيح، للشهادة له، وذلك بتطبيق تعاليمه ووصاياه، والسلوك بحسب صفاته، ليكون الإنسان الممتلىء بالروح، له فكر المسيح، ومحبة المسيح، وطاعة المسيح، حاملاً صليبه حسب الوصية، مقتفياً آثار الرب وأعماله، ليكون نوراً للعالم، بالنور الذي فيه.

+ وكما كان الصليب مركز إشعاع نور المسيح، والمحور الأساسي الذي تدور حوله حياة المسيح وفداؤه وكلُّ صفاته وأعماله؛ ولأن الروح القدس هو روح المسيح الذي لا يمكن أن يحلّ في قلوبنا أو يُستعلن بدون الصليب، لذلك يستحيل أن يعطينا الروح شكل المسيح «الإنسان الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو٣: ١٠)، إذا كان صليب آلام المسيح غائباً عن تقديرنا وتفكيرنا أو احتمالنا، أو مستثقَلاً أو مكروهاً.

أما جوهر الصليب فهو المحبة، المحبة الباذلة. فإن كان لا ملء من الروح القدس

بدون صليب، فلأنه لا ملء من الروح القدس بدون محبة، محبةٍ عاملة بقوة الروح القدس لحمل الصليب في كل الإتجاهات، سواء تجاه أعداء ظالمين، أو تجاه خطأة مساكين، أو فقراء معوزين.

والمحبة العاملة بالروح القدس لحمل الصليب، قوتها بلا حدود، احتمالها بلا حدود، عطاؤها بلا حدود، ونورها بلا حدود.

وهكذا تبدو مواهب الروح القدس جِدِّية أقصى ما يكون الجِد، غريبة عن مظاهر الإنفعالات غير الرزينة أو المُعثِرة.

+ أما إذا تأهَّلنا لأن ندخل دائرة صليب المسيح، ووُضِعَ علينا أن نحمل نيره، ذلك حينما تنقلب موازين الحق، فسوف يكشف لنا الروح القدس عن سرِّ ذلك المشهد المثير، حيث قيافا جالسٌ على عظمة كرسي الحكم والمسيح مرفوعٌ على صليب الهوان والموت.

+ وإذ تضيق نفوسنا عندما يُطبقُ علينا الظلم، ويقترب منا شبح الموت ونصرخُ «إلهي إلهي لماذا تركتني»، نكون قد بلغنا نهاية الشوط مع الروح القدس ليعطى ملءَ سرِّ القيامة وقوتها، وينفخ فينا نسمة باردة من الحياة الأبدية تردُّ إلينا ثقتنا ورجاءنا بالدهر الآتى.

+ ويكفينا أن الرب أكَّد لنا قيامته بذات الجسد المُثخَّن بالجراح المميتة، ليؤكِّد لنا نصرة الحياة على الموت، والقيامة على الهاوية، في صميم جسدنا، هذا الذي يئن الآن عن عجز من ثقل أتعاب هذا الدهر وأهوال الموت. فروح القيامة من الموت يسكن منذ الآن أجسادنا الضعيفة هذه، مؤكداً قيامتها مع الروح.

* * *

وهكذا انطلق التلاميذ يوم الخمسين، وفي قلبهم أثمن عطية نالها الإنسان على الأرض، عطية الروح القدس الذي لم يكفّ عن تمجيد المسيح منذ ذلك اليوم وحتى هذه الساعة،

بقوةٍ لا تعانَد، ورجاء لا يخزى، وحبٍ قاهر،

وفرحٍ لا يُنطق به!



الفهرس الموضوعي للكتاب

□ □ □

٢ . لاهوت الروح القدس

٧ . عمل الروح القدس في الكنيسة

٨ . الروح القدس والأسرار

٩ . الروح القدس والوحي

